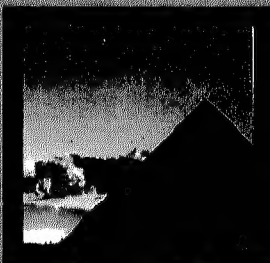
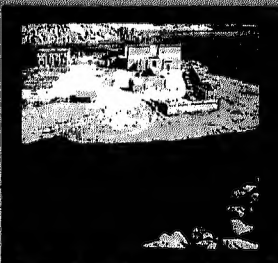
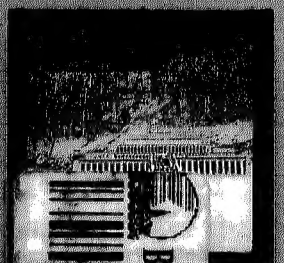
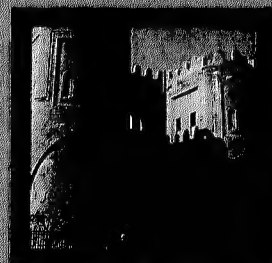


العالم بأصابع مصرية

د. السيد بهنسى



العالم بأصابع مصرية

العالم بأصابع مصرية

د. السيد بهنسى

جميع حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة
للمؤلف ، وغير مسموح بطبع أى جزء من أجزاء
هذا الكتاب ، أو نقله على أى هيئة أو بأى
وسيلة ، إلا بإذن كتابى من المؤلف .

بسم الله الرحمن الرحيم

(ادخلوا مصر إن شاء الله آمين)

صدق الله العظيم

إهداء

إلى بيتنا القديم بجوار قلعة صلاح الدين
إلى كل دروب هذا الحى التى صارت شرايينى
إلى نبض وعبق وذكريات كل شىء فى هذا المكان
وإلى سنوات العمر الجميل يوم كانت
كل الأحلام قادمة

قبل ان تقرأ هذا الكتاب

* * *

بعيداً .. بعيداً .. منذ أكثر من خمسة آلاف عام ، وفى أحضان بقعة مصرية بالقرب من قرية ميت رهينة بالجيزة الآن ، بدأ من مدينة منف تاريخ هذا العالم .

وعبر هذه الرحلة الطويلة من ذلك التاريخ الممتد قادم المصريين مشوار العالم قروناً طويلة ، وقدموا أقدم تقويم وأول أبجدية وأول إمبراطورية مختلفة الشعوب وأقدم مكتبة وأهم الرياضات وأقدم جامعة وأشهر الروايات وأقدم دساتير الادوية وإثنين من عجائب الدنيا السبع ، بل فى مصر وبالتحديد فى الاسكندرية تغيرت علاقة الشمس بالارض .

وإذا كان تفوق قدماء المصريين يعد شرفاً لنا ، فإن إبهارنا للعالم لم يقف - كما يدعى البعض - عند ذلك الزمن البعيد .. ففى العصر الحديث كانت مصر أول دولة تشترك فى الاولبياد من خارج أوروبا وأمريكا ، وأنشأت أول خط سكة حديد فى الشرق وكانت أول دولة عربية وأفريقية عرفت الصحافة والسينما وقدمت أول رواية عربية ومنها حصل اثنان على جائزة نوبل وكانت أول دولة اسلامية فى افريقيا وبنيت أول اسطول بحرى فى الاسلام وأنشأت أول مجمع للغة العربية ، ومنها خرج أول شرقى يعبر المانش وسبقت افريقيا والعرب فى أغلب الرياضات ، وأنجبت المصرى الذى قال له هتلر " كنت أتمنى لو كنت ألمانيا "

إنها مصر التى كرمها الله فى القرآن الكريم ، وأوى اليها أبو الانبياء ابراهيم عليه السلام وخرج منها بنسب يعتز به الاسلام ، وعلى أرضها نشأ يوسف عليه السلام بعد مؤامرة اخوته عليه ، وفيها نشأ موسى عليه السلام وتلقى رسالة ربه ، واحتمى بها عيسى عليه السلام من بطش بنى إسرائيل ، وتزوج منها الرسول عليه الصلاة والسلام وأوصى بأهلها خيراً .

وكى تنبت مشاعرنا ، لابد أن نعرف أين الجنود ، وهذا مادفعنى لأضع هذا الكتاب ، فقد لاحظت أننا نعرف من تاريخ العالم أكثر مما نعرف عن أنفسنا ، وأقل بكثير مما يعرف ذلك العالم عنا .. لا أدري هل ألفنا الطريق فأصبحنا لاثيرنا التفاهيل !!!

هل تعودنا الملامح فلم يعد هناك جديد للعيون ؟! إن نقطة البداية تبدأ دائماً من داخلنا ، يجب ان نعرف أولاً من نحن ؟ قبل أن نحدد ماذا نريد .. وهذا ماحاول ان يجيب عليه الكتاب ، وهو بعض من فيض كثير وصفحات من كتاب كبير اسمه مصر . ولا يفوتنى أن أتقدم بتقديرى وعرفانى لكل الكتاب الذين سبقونى فى الكتابة عن مصر وأعانتنى مؤلفاتهم كثيراً فى صياغة هذا العمل .

والآن .. هذا كتابى يقدم مصر اليك .. وأرجو ان يكون الله قد وفقنى فيما قدمت ..

مع احترامى وتقديرى ،،،

المعادى يوليو ١٩٩٣

د. السيد بهنسى

مصر فى القرآن الكريم

* * *

حظيت مصر فى القرآن الكريم بوصف وتكريم عظيم ، وأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام صوراً رائعة بما حباها الله من فضل .. وذكر الكندى فى تعليقه على بعض الآيات فيها قوله " لا يعلم بلد فى أقطار الأرض أثنى الله عليه فى القرآن بمثل هذا الثناء ولا وصفه بمثل هذا الوصف ولا شهد له بالكرم غير مصر " .

وإذا كان البعض قد ذكر أن مصر جاءت فى القرآن الكريم فى حوالى ثلاثين موضعاً ، فقد ذكر جلال الدين السيوطى فى كتابه " حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة " عن ابن زولاخ أن مصر ذكرت فى القرآن فى ثمانية وعشرين موضعاً ، وقال بل فى أكثر من ثلاثين وقع فيها ذكر مصر من القرآن صريحاً أو كتابةً ، إلا أننا نرى أن عدد الآيات التى جاء فيها ذكر مصر تتجاوز أضعاف هذا الرقم بكثير .

فقد جاءت مصر صراحة ونصاً فى أربع آيات قرآنية هى :

- " وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً وأجعلوا بيوتكم قبله وأقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة (يونس - ٨٧)

- " وقال الذى إشتراه من مصر لإمرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون " (يوسف - ٢١)

- " فلما دخلوا على يوسف أبى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين " (يوسف - ٩٩) .

- " ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم ليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى أفلا تبصرون " (الزخرف - ٥١) .

كما جاء ذكر مصر بصورة غير مباشرة عن طريق ذكر أماكن أو أشخاص أو أحداث فى مصر فى آيات كثيرة :

- " والتين والزيتون وطور سينين " (التين ، ١ ، ٢) .

- " وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين " (المؤمنون - ٢٠) .

وقد ذكر في هاتين الآيتين طور سينين أو طور سيناء ، والمقصود به جبل الطور
بسيناء .

وفي قصة يوسف عليه السلام والتي دارت أغلب أحداثها في مصر ، جاء ذكر مصر
بشكل غير مباشر في آيات كثيرة ، ففي سورة يوسف جاءت في الآيات ٢٣ : ٦٢ ، ٦٧ ،
٨٢ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٩ : ١٠٠ ، وعلى سبيل المثال :
" وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا
لنراها في ضلال مبين " (يوسف - ٣٠) .
" وقال الذي ظن أنه ناج منهما أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في
السجن بضع سنين " (يوسف - ٤٢) .
" وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين " (يوسف - ٥٤) .
" فلما دخلوا عليه قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف
لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين " (يوسف - ٨٨)
وهنا نجد في الآيات ذكر العزيز وامراته وأحداث أخرى جرت في مصر .

وفي قصة موسى عليه السلام جاءت مصر في آيات كثيرة ، فبعد أن ولد أوحى الله
الى أمه أن ترضيه في اليم .. واليم في اللغة العربية البحر أو النهر وهو كذلك في اللغة
المصرية القديمة ، على أن الذي يستوقف النظر هنا أن لفظ اليم ورد في القرآن ثمان
مرات لم يذكر في احداها في غير ما يخص مصر حيث ذكر بمفهوم النيل ثلاث مرات
وأطلق على البحر الذي غرق فيه فرعون خمس مرات :

- " فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا " (الاعراف - ١٣٦) .
- " أن اقدفيه في التابوت فاقدفيه في اليم " (طه - ٣٩) .
- " فليلقه اليم بالساحل يأخذه عو لى وعو له " (طه - ٣٩) .
- " فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم في اليم ماغشيهم " (طه - ٧٨) .
- " لنحرقنه ثم لنسفنه في اليم نسفاً " (طه - ٩٧) .
- " فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني " (القصص - ٧) .
- " فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم " (القصص - ٤٠) .

" فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم " (الذاريات - ٤٠) .

وقد ورد ذكر مصر بصورة غير مباشرة فى قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه فى ٢٧ سورة هى سور البقرة وآل عمران والاعراف والانفال ويونس وهود وابراهيم والاسراء وطه والمؤمنون والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت وص وغافر والزخرف والدخان وق والذاريات والقمر والتحريم والحاقة والمزمل والنازعات والبروج والفجر ، فعلى سبيل المثال جاء ذكر فرعون وامراته وقومه فى اكثر من سبعين آية مثل :

" وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولداً وهم لا يشعرون " (القصص - ٩) .
 " إذها الى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى " (طه ٤٣ - ٤٤) .

" إن فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم " (القصص - ٤) .

كما جاء ذكر أماكن أحداث جرت فى مصر فى آيات كثيرة روت قصة موسى عليه السلام منها :

" ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه " (القصص - ١٥) .
 " فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين " (القصص - ٢١)
 وتشير هاتان الآيتان الى المدينة المصرية التى كان يعيش فيها موسى وحادث قتله لأحد المصريين .

" فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله أنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا إني أنست نارا لعلى أيتكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ، فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين " (القصص ٢٩ - ٣٠) .
 " إني أنا ربك فاخلع نعليك إناك بالواد المقدس طوى " (طه - ١٢) .

وتدل هاتان الآيتان على تلك البقعة المباركة من سيناء والتي تلقى فيها موسى رسالة ربه.

كما جاء ذكر غرق فرعون في سورة يونس :
 " فالיום ننجيك ببندك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون "
 (يونس - ٩٢) .

كما جاءت قصة موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف ، ويذكر بعض المؤرخين أن موسى وعد بلقاء الخضر في مصر حيث لقيه في بعض رحلاته شرقي الدلتا ، حيث يجتمع البحران المتوسط والاحمر ويوشك أن تجمع بينهما بحيرات المنزلة والبلاح والبحيرات المرة وبحيرة التمساح أو يكون ذلك عند احد مصبات النيل وهو "مجمع البحرين" الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، حيث أن من الماثور من سيرة موسى انه لم يغادر مصر إلا الى مدين اولا ثم مع بنى اسرائيل متوجهاً الى فلسطين .
 " وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين أو امضى حقبا " (الكهف - ٦٠) .

كما قدر الله لنبيه عيسى بن مريم ان يهبط مصر حين كان في المهد :
 " وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناها إلى ربه ذات قرار ومعين " (المؤمنون - ٥٠) .

وقد أجمعت التفسيرات على أن " الربوة " الواردة في الآية هي مصر ، وإن كان البعض قد اختلف في تحديد المكان فالبعض يقول انها المنطقة بين عين شمس ومصر القديمة ، بينما يقول البعض انها قرية البهنسا في المنيا ، ويقول البعض أن المقصود بالربوة مصر بشكل عام .

كيف كانت مصر قبل أن يبدأ التاريخ ؟

تعد مصر هي الدولة الوحيدة في العالم التي يمكن تتبع تاريخها وحضارتها منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى الآن ويقدر العلماء ظهور الانسان على أرض مصر لأول مرة منذ نحو مائة ألف سنة قبل العصر التاريخي ، وكانت الحضارة في أول أمرها غاية في البساطة ثم أخذت تنمو وترتقى ببطء شديد حتى بدأ العصر التاريخي عام ٢٢٠٠ ق م .. ويرجع الفضل في كشف حضارة مصر في عصر ما قبل التاريخ الى جهود العلماء والمنقبين الذين قاموا ببحوثهم في مناطق مختلفة من مصر ، في الفيوم والبدارى بأسبوط ونقادة بقنا والمعادي وحلوان وغيرها من المدن التي كانت مراكز الحضارة منذ آلاف السنين .

وينقسم عصر ما قبل التاريخ في مصر الى عدة عصور تعرف بالعصور الحجرية لصناعة الانسان معظم أنواعه من الحجر ، وهذه العصور هي :-

١- العصر الحجري القديم

٢- العصر الحجري المتوسط

٣- العصر الحجري الحديث

فكيف كانت مصر منذ أكثر من مائة ألف عام .. ؟

منذ آلاف السنين ، أتى على أوروبا حين من الدهر غطى الثلج أراضيها وعطل الحياة ، وفي نفس الوقت كان شمال افريقيا بما فيه مصر كثير المطر ، وكان من أثر ذلك أن نمت على الهضاب والصحارى في مصر أعشاب كثيرة وأشجار متفرقة وعاش فيها حيوانات كالوعل والغزال والاعناب البرية والبقرة الوحشية والضباع ، وكان وادي النيل مليئاً بالمستنقعات لكثرة طغيان النهر وفيضانه وكثرت التماسيح والفيلة وعجول البحر والافاعي .

وقد فضل المصريون الأوائل أن يعيشوا فوق الهضاب هرباً من الحيوانات الضارية ولطغيان النهر ، وشقوا كهولاً في الصخور يأوون اليها ، ويقيمون المواقد عند مداخلها وعاشوا على الفطرة يجمعون الثمار من الاشجار ، ويصيرون الطير والحيوان ، وصنعوا أدوات غاية في البساطة تعينهم على هذه الحياة من حجر الصوان أهمها البلطة والسكين والمنشار ودبابيس ذات مقابض خشبية ، وكانت أدوات خشنة كبيرة

الحجم ثم أخذ حجمها يتضاؤل ونوعها يتحسن بمرور الزمن ، كما عرف المصري القديم كيف يوقد النار ويطهو الطعام .. ويعرف هذا العصر بالعصر الحجري القديم ، ووجدت آثار هذه الفترة في كوم أمبو وحلوان والغيم وسقارة .

وظل المصريون على هذه الحال عشرات الآلاف من السنين تغيرت خلالها الأحوال المناخية فقل سقوط المطر ، وقلت الحشائش على الهضاب وهجرها الحيوان ، وردم الطمي المتخلف من فيضان النيل معظم المستنقعات ، وهبط المصريون إلى الوادي حيث النبات الوفير وصيد البر والبحر ، ثم أخذوا بالتدريج يعتمدون على ماء النهر لا على المطر كما كانوا يفعلون من قبل ، وأهتوا إلى زراعة الأرض ، وأخذوا يتتبعون أنوار نمو الزرع وبذلك بدأت حضارة المصريين تعتمد على الزراعة بدلا من الاعتماد على الصيد .

وبمعرفة المصريين للزراعة اضطروا للاستقرار والثبات ، وتركوا حياة الترحال وأخذت القبائل تجتمع وتقيم قرى لسكنائها ومهد هذا لقيام المدن .. وكانت القرية تتكون من أكواخ من الغاب وأغصان الشجر وتطل على الخارج بالطين وتسقف بحصير من الغاب أو بجلد الحيوان ، وكان يوضع موقد في مدخل الكوخ ترص بجواره قدور مختلفة الأحجام يحفظ الماء في بعضها ويخزن الطعام والفلال في البعض الآخر .

وفي هذا العصر تعددت الأدوات والآلات تبعاً للانتقال من حياة الرعى والصيد إلى الحياة الزراعية ، وتنوعت المواد المستخدمة في صناعتها وتحسن نوعها ، فقد صنعوا أسنة الحراة الدقيقة ورموس الفؤوس اللازمة للزراعة ، والمكاشط الخاصة بصناعة الجلد ، والمدي والمناشير ، كما استعملت العظام في عمل أسنة الخطاطيف والأبر وغيرها من الصناعات الدقيقة ، وبرع المصريون في ذلك العصر في صناعة أنيتهم من الفخار ذي اللونين الأحمر والأسود ، وصنعوا نماذج جميلة من الأطباق والأكواب والأباريق ، وكانت أدوات الزينة في هذا العصر بسيطة مصنوعة من عظام الحيوانات أو الطين المحروق .

وكان المصريون ذلك العصر يدفنون موتاهم فى مداخل قريبة من القرى وعلى حافة الصحراء لتكون بعيدة عن فيضان النيل ، وكان القبر عبارة عن حفرة بسيطة قريبة من سطح الارض ، وكانوا يضعون مع المتوفى بعض الحبوب وأوان تحوى الطعام والشراب وأدوات الزينة والأدوات التى كان يستعملها فى حياته مما يدل على أنهم كانوا يعتقدون فى حياة أخرى بعد الحياة الدنيا .. وقد عثر على آثار هذا العصر فى أماكن كثيرة أهمها حلوان والسبيل شمال كوم امبو والغيم .

وفى العصر التالى عرف المصريون معادن عديدة كالذهب والنحاس والحديد والبرونز وأخذوا يستخدمونها فى صناعة أدواتهم وحليهم ، وكان أهم معدن انتفعوا به هو النحاس وأهم مناجمه فى شبه جزيرة سيناء .. وقد صنع المصريون من النحاس المقصات والأزاميل والخناجر والخطاطيف ، وبلغوا فى صناعة هذه الآلات درجة عالية من الإتقان ، أما الذهب والفضة فقد استخدموهما فى صناعة الحلى وأدوات الزينة ، ومن الصناعات التى ارتقت فى ذلك العصر نسج الأقمشة والتجارة وصناعة الجلود والمعادن ، وبلغت الأواني الفخارية درجة فائقة من الجمال حيث تعددت ألوانها وأنواعها وصارت تزين بنقوش جميلة ، وبدأ المصريون يصنعون خزانات من الزجاج .

وامتدت يد التحسين الى المساكن فلم تعد أكواخاً من البوص ، وإنما صارت مستطيلة الشكل من اللبن ، وتفرش بالحصير ، وتؤثث بأسرة من الخشب ووسائد من القماش أو الجلد المحشو بالقش ، كما بدأ فى هذا العصر إستئناس الحيوان ، واتبع هذا الاستقرار قيام أقاليم منظمة يحكمها رؤساء أقوياء ، وقد استمر هذا العصر حتى بداية العصر التاريخى الذى يبدأ فى ٣٢٠٠ ق م ، ووجدت آثاره فى أماكن كثيرة أهمها نقادة والبدارى ودير تاسا والغيم .

أول أبجدية في العالم * * *

كانت مصر أول دولة ابتدعت الكتابة في العالم ، وكانت أول من أوجد الابجدية ، وأول من اخترع القلم ، وأول من أوجد برديات ووثائق المنسوجات .

فقد سبق المصريون جميع شعوب العالم في استعمال الكتابة ، ويمكن القول بأنّها ظهرت قبل عصر الاسرات حيث وجدت بعض الآثار المون عليها كتابات ، وكانت هذه الكتابة في أول أمرها صوراً ، إذ كانوا يعبرون عن الشيء برسم صورته ، ثم تطورت الكتابة تدريجياً فلم تعد مقصورة على الصور التي تعبر عن أشياء فردية وانما استعملوا حروفاً أبجدية يكتبون بها كل مايدور بخلدهم من تعبيرات وكلمات يصعب تصويرها .

والهيروغليفية (ومعناها الكتابة المنقوشة المقدسة) هو الاسم الذي أطلقه الاغريق على الكتابة المصرية القديمة عندما شاهدها لأول مرة ، وقد ظلت الهيروغليفية مستخدمة كاسلوب أو نمط في الكتابة الدينية وعلى جدران المباني التذكارية ، واستمر ذلك الى مابعد فترات المرحلتين التاليتين ويعرفان بالهيرايطيقية والديموطيقية وهما ينحدران من الهيروغليفية .

والهيروغليفية هي كتابة تصويرية صوتية رمزية تتألف من صور بعض الحيوان والنبات والأثاث والأبوات والأسلحة وغيرها .. وهي كتابة معقدة إذ قد تستعمل رموزها تارة للتعبير عن الاصوات وتارة أخرى للتعبير عن الافكار ، ولما كانت الحركات غير مبينة فلا يمكن النطق بالكلمات إلا على وجه التقريب ، ويرجع التباين في قراءة أسماء الاعلام الى ذلك لتعدد الطرق التي اتبعها الاثريون في كتابتها .. والاصل أن تكتب الهيروغليفية عمودياً من أعلى الى أسفل لكنها منذ زمن كانت تكتب أفقياً أيضاً من اليمين الى اليسار في العادة ، وقد تكتب من اليسار الى اليمين ، وفي كلتا الحالتين تكتب الرموز بحيث تكون أشكال الانسان والحيوان متجهة نحو أول السطر .

وقد تفرع من الهيروغليفية أسلوبان للكتابة هما : الهيرايطيقية أو كتابة الكهنة وهي

أسلوب مبسط للكتابة نشأ لغرض التغلب على صعوبة اللغة الهيروغليفية لعجز بعض الكتاب أو قلة خبرتهم ، فاختصرت إشاراتهما حتى خلت من العلامات التصويرية ، وكانت تستخدم فى تدوين الرسائل الادارية والخاصة ، وفى كتابة النصوص الدينية والأدبية والعلمية .. والأسلوب الثانى هو الكتابة الديموطيقية وكانت تستعمل فى كتابة اللغة العامية .

وقد كان لاكتشاف حجر رشيد عام ١٧٩٩م أهمية كبرى ، فقد احتوى على نص مدون بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ، فكان بمثابة مفتاح لاكتشاف أصول الكتابة الهيروغليفية .

وقد قضى الفتح العربى لمصر على اللغة المصرية القديمة وكتابتها ، إذ دخل المصريون فى الاسلام وبدأوا يتعلمون اللغة العربية وكتابتها ، وبتعاقب السنين نسيت اللغة والكتابة القديمة نسياناً تاماً ، وأصبح الناس يرون آثار مصر القديمة وما عليها من نقوش وكتابات فلا يفهمون لها معنى .

وكان القلم الذى يستخدمه المصريون فى الكتابة مصنوعاً من قصبه رفيعة الساق ، شديدة الامتصاص ، يبلغ طولها عادة نحو تسع بوصات ، وبعد تدليكها أو الطرق على أحد طرفيها طرماً هيناً بمطرقة خفيفة يهترىء نسيج بنائها الداخلى قليلاً ، وبعد ذلك تحتفظ بكمية وافية من المداد تكفى لكتابة عدد كبير من الكلمات تبعاً لحجمها قبل أن تملأ من جديد .

وقد استخدم قدماء المصريين المداد الاسود والاحمر فى الكتابة .. والمداد الاسود الذى استخدمه الكتاب المصريون شديداً الثبات الى حد احتفاظ اللون الاسود بدرجة قوامته فلا تتغير بعد آلاف السنين ، وهو مصنوع من الفحم ، وعادة من السناج الناعم ويمزج بالماء ، ولزيادة تماسكه أضافوا اليه مادة مناسبة مثل الصمغ .. والمداد الاحمر صنعوه بنفس الطريقة وكان يحضر من صمغ مستمد من أحد الاكاسيد الحمراء ، وكان يستخدم لتمييز العناوين ودروس الموضوعات وبداية الفقرات الجديدة .

وكان قدماء المصريين أول من استخدم ورق البردى ، وكانت كتبهم على هيئة لفائف ، وظل نبات البردى الدعامة الأساسية للكتاب في مصر منذ تم اكتشافه قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام ، وقد عرف في بلاد الاغريق في القرن السابع قبل الميلاد ، وفي روما ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد ، وظلت أوروبا تستعمله حتى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى .

وكان قدماء المصريين يكتبون على وجه واحد فقط من الورق ويتركون الوجه الآخر ، وقد عثر على كثير من قطع الخزف والفخار في جهات مختلفة من مصر كان أفراد الطبقة الفقيرة يسجلون عليها كتاباتهم لرخص ثمنها ، ولعدم استطاعتهم الحصول على ورق البردى ، وهذه القطع البسيطة المتناثرة ساعدت العلماء على معرفة الكثير عن حياة المصريين في ذلك العصر .

أول جامعة فى العالم

* * *

جامعة " أون " المصرية هى أول جامعة أنشئت فى العالم وذلك عام ٤٢٤٠ ق . م ويقال انه فى جامعة " أون " تعلم موسى عليه السلام ويوسف الصديق وأفلاطون ، وقد أقام تحوتمس الثالث مسلتين عند مدخل الجامعة نقلتا الى لندن ونيويورك فيما بعد .

وقد توصل الكهنة فى هذه الجامعة الى أقدم تقويم نجى عرفه التاريخ ولايزال يؤخذ به حتى الآن فى التقويم الميلاى .

ومما يذكر ان " أون " أو " هليوبوليس " كانت احدى العواصم المصرية القديمة ، وتقع فى شمال ضاحية المطرية الآن ، ولم يبق من آثارها الا المسلة المعروفة باسمها وهى الباقية من معبدها الذى بناه الملك سنوسرت الاول .

وفى العصر الحديث عندما أنشئت جامعة عين شمس عام ١٩٥٠ تم اختيار المسلة والصقرين شعاراً للجامعة وهى رمز عبادة الشمس فى هذه المنطقة التى نشطت فيها دراسة الفلك وغيرها من العلوم .

أما أول جامعة مصرية فى العصر الحديث فتعود فكرتها الى مصطفى كامل عندما كتب فى جريدة اللواء فى ٢٦ اكتوبر ١٩٠٤ مقالا ينادى فيه بذلك ، ثم عاد الى الموضوع ثانية فى يناير ١٩٠٥ واقترح أن تسمى الجامعة " كلية محمد على " بمناسبة مرور مائة عام على ولاية محمد على عرش مصر .

وفى عام ١٩٠٦ عندما أرادت الأمة تكريم مصطفى كامل بمناسبة عودته الى الوطن ، تكونت لجنة للاكتتاب ، وكان الغرض منها إقامة وليمة كبرى له ، وعندما علم مصطفى كامل بذلك أرسل من باريس خطابا بتاريخ ٢٤ سبتمبر طلب فيه ان تقوم لجنة الاكتتاب بدعوة الامة كلها لتأسيس كلية أهلية من تبرعات من أبناء الاغنياء والفقراء على السواء .. وبالفعل بدأت عملية الاكتتاب وكانت القائمة الاولى للمكتتبين مجموعها (٤٥٨٥ جنيها) جمعت من ١٦ شخصا ، ثم توالى التبرعات من مختلف المصريين .

وفى ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ أفتتحت الجامعة الاهلية رسميا بحضور الخديو عباس حلمى فى حفلة رسمية اقيمت بقاعة مجلس شورى القوانين .. وبدأت الدراسة بالجامعة إبتداء من مساء ذلك اليوم ، وكانت فى نطاق ضيق حيث نظمت على هيئة محاضرات بعد الظهر من كل يوم وكانت تلقى فى الموضوعات الآتية :

الحضارة الاسلامية - الحضارة القديمة فى مصر والشرق - الجغرافيا والتاريخ عند العرب - آداب اللغتين الفرنسية والانجليزية ، وفى العام التالى أضيفت دراسات جديدة فى علوم الطبيعة والرياضة .

وفى عام ١٩٠٨ غادرت مصر أولى بعثات الجامعة الى أكبر جامعات أوربا وكانت تتألف من أحد عشر طالب وحتى ١٥ فبراير ١٩١٠ بلغ عدد الطلاب ٤٠٣ منهم ٨٦ من الاناث بينهم ٣٥ مصرية والباقيات أجنبيات ولم تكتف المرأة المصرية بالاستماع الى المحاضرات فقط ، حيث قامت لبيبة هاشم فى عام ١٩١١ بالقاء محاضرة فى التربية وتبعها نبوية موسى فحاضرت النساء عن المرأة والأمة .

وكان أول مقر للجامعة الاهلية بقصر جناكيس بلؤل شارع قصر العيني (الجامعة الامريكه الآن) ثم انتقلت الى قصر محمد صدقى باشا بشارع الفلكى .. وفى عام ١٩١٤ أوقفت الاميرة فاطمة اسماعيل على الجامعة ستمائة فدان وتنازلت لها عن ستة أفدنة بالتقضى ليقام عليها مبنى الجامعة .. وقد وضع حجر الاساس لبناء الجامعة فى ٣٠ مارس ١٩١٤ ، ثم قامت الحرب العالمية الاولى فتوقف إتمام بناء الجامعة ثم استولت عليه الحكومة مقابل جزء من الارض التى قدمتها الى الجامعة فى المكان الحالى .

وكان أول من تولى ادارة الجامعة الاهلية الامير أحمد فؤاد ثم حسين رشدى باشا عام ١٩١٣ وحتى عام ١٩١٦ ثم الامير يوسف كمال حتى ١٩١٧ ثم عاد حسين رشدى باشا فى هذا العام وظل مديرا لها حتى ١٩٢٥ .

وفى عام ١٩٢٣ أصدر وزير المعارف قراراً بتشكيل لجنة لوضع نظام الدراسة لاقسام الجامعة الاربعة الآداب والعلوم والطب والحقوق ، وفى مارس ١٩٢٥ صدر مرسوم بإنشاء الجامعة المصرية وكان أول رئيس لها هو احمد لطفى السيد من عام ١٩٢٥ حتى ١٩٤١ .

وفى سنة ١٩٤٠ أطلق على الجامعة المصرية اسم جامعة فؤاد الاول ، وفى عام ١٩٥٣ صدر مرسوم بتعديل الاسم الى جامعة القاهرة .

أقدم تقويم فى العالم

* * *

كان قدماء المصريين أول من قاس طول السنة الشمسية بدقة بالغة ، وأهدوا للعالم أقدم تقويم أصبح فيما بعد مقياساً لجميع التقاويم التالية ، وذلك منذ أكثر من سبعة آلاف عام .

ذلك أن عشق مصر للنيل دفع أهلها الى رصد موعد فيضانه ، ووجدوا أن أول بشائر المياه السمرء التى يحملها النيل من متابعه الى مصر تظهر مع مطلع نجم ثابت استطع بوضوح فى سماء معبد " أون " هليوبوليس " فى نفس اللحظة التى تشرق فيها الشمس ، وهو نجم " سيروس " " الشعرى اليمانية " - ويغلب الظن أن كهنة هذه المدينة هم الذين وضعوا التقويم حيث اشتهروا برصد الشمس والنجوم - وقام قدماء المصريين باحصاء عد الايام التى تمر بين كل مرة يظهر فيها هذا النجم وبين ظهوره فى المرة التالية واستطاعوا تحديد طول نوره الفلكية أو الدورة الشمسية بدقة متناهية فوجدوها ٣٦٥ يوماً ، فقسّموا السنة الى اثني عشر شهراً كل منها ثلاثون يوماً وليها خمسة أيام نسيء فى نهاية كل سنة جعلوها أعياداً ومواسماً ، ثم أضافوا يوماً كاملاً كل أربع سنوات نتيجة لوجود كسر مقداره ربع يوم فى طول السنة .

وقد استخدم قدماء المصريين منذ حوالى ٣٥٠٠ عام آلات لتحديد ساعات النهار وهى ساعات شمسية لقياس امتداد الظل كما استخدموا ساعات مائية لقياس ساعات الليل وهى عبارة عن أحواض حجرية كبيرة كان ينقش على جدرانها الداخلية مقياس متدرج للساعات .

وقسم قدماء المصريين السنة الى ثلاثة فصول هى فصل الفيضان وفصل البذر ، وفصل الحصاد كل واحد منها أربعة اشهر ، وقسموا اليوم الى أربع وعشرين ساعة .

وقد انتقل التقويم الشمسى من مصر ليحل محل التقويم القمرى الذى كان سائداً عند مختلف الشعوب الآسيوية . كما نقله اليهود عند خروجهم من مصر ليظهر التقويم العبرى ، وانتقل الى أوروبا عندما أهدت كليبواترا التقويم المصرى إلى يوليوس قيصر ،

وكلفت العالم المصرى " سوسيجين " بنقل التقويم المصرى للرومان ليحل محل تقويمهم
القمرى ، ثم قام البابا جريجورى الثالث عام ١٥٨٢ بادخال تعديل طفيف فسمى
بالتقويم الجريجورى وهو التقويم الذى يستخدم فى العالم الآن ، وهو فى جوهره عمل
مصرى صميم أهده الفراعنة للعالم كله .

المصريون .. أول من عرف صناعة الزجاج

* * *

فقد وجدت في مقابر قدماء المصريين أقدم آثار للزجاج ، حيث كانوا يصنعون قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام بعض أنواع الخزف والتعاويذ الزجاجية ، وما زالت هذه الآثار محفوظة في المتاحف ودر الآثار بجميع أنحاء العالم

وقد وجد في مصر قضيب من الزجاج عليه نقوش ترجع الى عهد الملك " امنمحات الثالث " الذي حكم مصر فيما بين عامي ١٨٤٩ - ١٨٠١ ق.م ، وما زال هذا القضيب الزجاجي محفوظاً في متحف برلين ، ويعد أقدم أثر للزجاج يعرف المؤرخون تاريخ صناعته .

وحوالي عام ١٥٠٠ ق.م استطاع المصريون القدماء أن يبتكروا طريقة عملية لصناعة الاواني الزجاجية .. فكانوا يصنعون من الرمل والجير كتلا على هيئة الاواني المطلوبة ، ويجعلون في نهايتها قضباناً من المعدن يسكون بها ، ثم يمسسون هذه الكتل في الزجاج المصهور حتى يغلغلها غطاء كاف من هذا الزجاج ، وبعد ذلك يتركونها حتى تبرد ثم يفتتون الكتل في داخل الاواني الزجاجية ويستخرجونها لتبقى الاواني جوفاء ، وأحياناً كانوا يستخدمون النقوش حتى تبدو الاواني من الخارج وكأنها مصنوعة من الحجر .

وقد افطن المصريون القدماء في صناعة الاواني بهذه الطريقة واستطاعوا أن يصنعوا بعض الابواب الزجاجية الدقيقة لإستعمالها في القصور الملكية ، فصنعوا أوان وزجاجات لحفظ الدهون ومواد الدهون ، كما صنعوا أطباقاً وكؤوساً وأقداحاً زجاجية.

وفي متحف " متروبوليتان " للفن بنيويورك كأس خاصة بالملك تحتمس الثالث ، ويرجع تاريخها الى ما قبل الميلاد بالف وأربعمائه وخمسين عاماً ، وهي من الآثار الرائعة التي تدل على براعة قدماء المصريين في هذه الصناعة الدقيقة ، وهذه الكأس مصنوعة على هيئة زهرة اللوتس وهي من الزجاج الأزرق الفيروزي وتحليها أشرطة من الذهب الخالص .

وقد بلغت دقة هذه الصناعة فى ذلك العصر أن جميع الآثار المصرية القديمة من المصنوعات الزجاجية صغيرة الحجم نسبياً حتى أن الزجاجات التى وجدت فى مقابرهم لم يتعد طولها خمس بوسات .

وإذا كانت عملية الطلاء بالمينا من أقدم العمليات المعروفة فى تزيين الاوانى بوجه عام ، عندما استخدمها المصريون منذ أكثر من خمسة آلاف عام فى تزيين أوانيهم الخزفية .. فإليهم أيضاً يعود الفضل فى تزيين الاوانى باستعمال خيوط رقيقة من الزجاج الملون قبل الميلاد بحوالى ألف وخمسمائة عام كما يعود اليهم فضل عملية الحفر على الزجاج حيث وجدت كأس زجاجية محفور عليها صورة تحتمس الثالث فرعون مصر .

وقد دأب المصريون على اعتبار الزجاج بديلاً للمجوهرات والاحجار الكريمة ، وأحياناً كانوا يصنعون حلبيهم وأنوات زيتتهم من الزجاج المعتم ذى اللون الواحد لتكون اقرب شبيها بالاحجار النفيسة النادرة ، أما الخزف والجعارين فكانوا يعدونها كالمجوهرات الثمينة ، وقد صنعوها أيضاً من الزجاج بصبها فى قوالب خاصة .

ومن مصر القديمة انتشرت صناعة الزجاج سريعاً الى بقية البلاد المطلة على البحر الابيض المتوسط ، حيث لم يذكر التاريخ شيئاً عن صناعة الزجاج فى هذه البلاد قبل ذلك الحين ، فقد عرف الفينيقيون أسرار صناعة الزجاج من مصر وكانوا أول من تاجر فيه ، ولوانهم لم يبلغوا فيه ما بلغه الصناع المصريون من مهارة .

استعمل الرومان الزجاج لأول مرة حين جاء يوليوس قيصر الى مصر وضمها الى الامبراطورية الرومانية وفرض عليها الجزية ، وكانت المصنوعات الزجاجية المتنوعة المصرية ضمن هذه الجزية التى كانت ترسل كل عام الى روما ، وحين رأى الامبراطور نيرون تقدم صناعة الزجاج فى مصر ، استقدم الى روما صناعاتاً مصريين لينشئوا ببلاده أول مصنع للزجاج ويعددها دخلت هذه الصناعة الى سائر أنحاء الدولة الرومانية .

الملك الذى بدأ به عصر التاريخ

* * *

الملك مينا .. ذلك أن المصريين الأقدمين كانوا يعيشون فى قبائل متفرقة اتخذت كل منها حيواناً أو نباتاً رمزاً لها وإلهاً يحميها ، ولما هبطوا الوادى وزرعوا الأرض وأستقروا حولها انشأوا قرى ومدناً لكل منها حاكم يحكمها ورمز من حيوان أو نبات يعبد سكانها .. ثم أخذت المدن والقرى التى تعبد إلهاً واحداً تندمج فى بعضها ونشأت من اندماجها مقاطعات واسعة يحكم كل منها حاكم .

وعندما كان يظهر زعيم قوى كان يعمل على ضم الاقاليم المجاورة له ، وبعد وقت استطاع أحد أقاليم الوجه البحرى ، وهو إقليم الصقر وعاصمته مدينة دمنهور الحالية أن يقوم بتوحيد الدلتا فى مملكة واحدة هى مملكة الشمال ثم اتسع نطاق هذه الوحدة فضم مصر كلها حوالى عام ٤٢٤٠ ق.م ، وكانت عاصمة هذه المملكة تقع بين الشمال والجنوب وهى " أون " هليوبوليس - وهى تسمية اغريقية معناها مدينة الشمس - وقد سادت عبادة الشمس فى هذا العهد ، وظهر فى هذه المملكة التقويم الشمسى الذى لا يزال العالم يتبعه حتى الآن .. غير أن هذا الاتحاد لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما وقع الانقسام مرة أخرى وظهرت فى مصر مملكتان إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب .

وكانت عاصمة مملكة الشمال مدينة " بوتو " غرب الدلتا ومكانها الآن تل الفراعين (قرب مدينة بسوق بمحافظة كفر الشيخ) واتخذ سكانها نبات البردى الذى كان ينمو بكثرة فى مستنقعاتها شعاراً لهم ، وكان ملوكها يلبسون تاجاً أحمر .. أما مملكة الجنوب فكان عاصمتها مدينة " نخن " ومكانها الآن مدينة الكوم الأحمر (بين مدينتى إدفو وإسنا) وكان شعار سكانها اللوتس ، وكان ملوكها يلبسون تاجاً أبيض .

واستمر هذا الوضع حتى تربع على عرش مملكة الجنوب الملك مينا (نعرمر) واستطاع توحيد الوجهين البحرى والقبلى حوالى عام ٢٢٠٠ ق.م ، وبعد المؤرخون عهده بدء العصر التاريخى ، وأسس الأسرة الأولى فى الاسرات المصرية الثلاثين .. وارتنى التاج الأحمر والتاج الأبيض مجتمعين فيما يعرف بالتاج المزدوج (بشتن) وجعل من الاقليمين وحدة كاملة تخضع لأول حكومة مركزية فى التاريخ ، وتخضع لنظم وقوانين وتقاليد واحدة ، وأرسى بذلك أول فكرة للوحدة عرفها العالم .

وأختار الملك مينا مكاناً يتوسط الوجهين وشيد مدينة حصينة تحتل مكاناً متوسطاً
وسماها " القلعة البيضاء " أو الجدار الأبيض " ثم أطلق عليها المصريون " من نفر "
أى " النصب الجميل " ثم سميت في زمن اليونان " ممقيس " ثم سماها العرب " منف "
ومكانها بالقرب من قرية " ميت رمينة " بمركز البدرشين بالجيزة الآن ، واتخذ منها
عاصمة لمصر وجعلها مركزاً إدارياً ، وحرص بعد أن أتم توحيد البلاد على تأديب
الليبيين الذين كانوا يغزون غرب الدلتا وهزمهم واتجه نحو بلاد النوبة جنوبى مصر
وحارب سكانها الذين كانوا يسيطرون على بعض جهات من مصر .

ومن الجدير بالذكر أن لوحة الملك مينا - مؤسس أول أسرة ملكية حكمت مصر -
هى أقدم سجل تاريخى لأقدم شخصية تاريخية عرف اسم صاحبها حيث تسجل هذه
اللوحة على وجهها نقوشاً تصور الكفاح الذى قام به الملك والنصر الذى تم له .

إن أولى حويات التاريخ لم تبدأ كتابتها إلا فى عهد الملك مينا ، وهى الحويات التى
تضمنت سرداً لكافة الاحداث الهامة كالاحتفالات الملكية الدينية أو الانتصارات الحربية
، وبعد أن حكم الملك مينا مصر زمناً طويلاً توفى ودفن فى أبيدوس " العراة المدفونة "
بمركز البلينا الآن وهى مسقط رأسه .

فرعون

* * *

لقب أطلق على ملوك مصر من الاسرة الاولى التى أسسها مينا الى سقوط آخر ملوك الاسرة الثلاثين فى عهد البطالمة ، وكلمة فرعون معناها " البيت العالى " ، وكان أصل الكلمة من مقطعين (بر - عا) ثم نطقها البطالمة (فرعا) ثم (فرعو) ثم أصبحت (فرعون) .

وفى البداية كان يكنى بتلك العبارة عن قصر فرعون دون شخصه ، أو يكنى بها أحيانا عما يتصل من شئون القصر وحاشيته ، على أن دلالة اللفظ على شخص الملك نفسه لم تثبت إلا منذ الاسرة الثامنة عشرة على عهد اخناتون إذ لقب بذلك على بعض آثاره ، فلما كانت الاسرة التاسعة عشرة - وهى أسرة رمسيس الثانى - ذاع اللقب فيما ورد عن الملك .

ولم يذكر القرآن الكريم فرعون الا فيما روى من نبا موسى ، ولم يذكره مرة واحدة فيما أورده من سيرة يوسف عليه السلام ، وتلك دقة الاعجاز ، فلم يكن لقب فرعون بدلالته على ملوك مصر ذائعا فى ذلك الزمان من عهد يوسف ، ولم يكن الملك الذى دخل يوسف فى خدمته مصرية - كان من الهكسوس - فيستحق لقباً اختص به الملوك من المصريين بل كان أجنبيا يناصبهم العداء .

أشهر الروايات العالمية .. أصلها فرعونى * * *

إن المؤلف الحقيقى لأشهر الروائع القصصية فى العالم مثل كليله ودمنه وألف ليله وليمه وكونت دى مونت كرىستو وشمشون ودليله هو ذلك الكاتب الفرعونى .. والذي يقطع بهذا البرديات الموزعة على مختلف أنحاء العالم والتي ترى أن أصل كل هذه القصص فرعونياً .. وإليك الدليل :-

يقرأ العالم حكايات " كليله ودمنه " على أنها حكايات كتبها الفيلسوف الهندى بيدبا " وترجمها ابن المقفع ، وتكمن جاذبيتها فى ورود القصة على لسان الحيوان ، ولكن أقدم نص تاريخى لهذا النوع من القصص كان بقلم الكاتب المصرى القديم وينتمى الى أقلام متعددة للحكيم " كاجنى " والأديب " كايروس " والمعلم " نصرى " والحكيم " حوردرى " .. كتب معظمها عام ٢٨٥٠ قبل الميلاد ، وكانت تدرس فى مدارس الدولة الوسطى ، ومن عناوينها " الثعلب والأوز - الذئب راعى الغنم - التمساح العجوز - الاسد والغزالة الجميلة - جيش القطط وقلعة الفئران .. وتروى القصة الاخيرة أن القطط حاصرت قلعة تحتوى بها الفئران ، فقررت الفئران أن تتحالف مع الكلاب على أساس أن القطط هى العدو المشترك لهما ، ودخلت الكلاب وهزمت القطط ، ولكنها بعد هزيمتها أقنعت الكلاب بالتعاون معها فى إلتهاام الفئران وتم بالفعل عقد تحالف كانت ضحيته الفئران .

والقصه كما ترى هى أقدم نموذج للأدب الذى يستخدم الحيوان ليصور عالم الانسان ، كما أن الأدب العالمى اختار نفس الصفات التى استخدمها الكاتب المصرى للحيوان ، فالتمساح رمز للغدر ، والكلب رمز للوفاء ، والثعلب يعبر عن المكر ، والصقر رمز السمو ، والخنزير رمز الوضاعة .

مثال آخر يؤكد عبقرية الكاتب المصرى وهى قضية " مابعد الموت " ، فقد حفظ لنا التاريخ عملين خالدين " رسالة الغفران " لأبى العلاء المعرى و " الجحيم " للشاعر الايطالى دانتي ، ولكن أصل هذين العملين هو الحكيم " أنسى " مؤلف كتاب " الموتى " منذ أربعة آلاف سنة ، ويوجد هذا النص فى بردية عرضها أربعين سنتيمترا وطولها ثلاثين مترا ، وتوجد الآن بالمتحف البريطانى .. وفى هذه البردية يزعم أنى انه مات

وسافر الى العالم الآخر ثم عاد ليروى التجربة ، ويصف رحلة الروح يوما بيوم ، منذ تفارق الجسد الى أن يتم تحنيطه ، وتجرى له المراسم الجنائزية ، ثم رحلة المومياء الى الشاطئ الغربى للنيل حيث يتم دفنها ، ثم إنتقال الروح فى مركب الشمس عبر الفضاء حتى تصل الى " المحكمة التحضيرية " التى يتصدر منصتها إثنا عشر قاضياً يمثلون بروج السماء الاثنى عشر ، وفيها يتعرف الميت على البرج الذى كان مسيطراً عليه ، ثم يروى الرحلة الى السماوات السبع ، ويصف كل منها بالتفصيل وما تحتوى عليه ، ثم يصل الى المحطة الاخيرة ، وهى محكمة الآخرة حيث تربيع الاله " أوزير " على عرشه السماوى ، ثم يسجل المحاكمة والنيران والملكين اللذين يسجلان الحسنات والسيئات والاستئلة والاجوبة والدفاع ، ثم يصدر الاله حكمه بتسجيل ولادة أنى فى عالم الخاود ، ثم يتحدث بعد ذلك عن الجنة وما فيها والجحيم وزبانيته .

ومن روائع قصص قدماء المصريين قصة " البحار الفريق " التى تعود الى الأسرة الثانية عشرة وهى القصة التى نسج منها العرب قصة " السندباد البحرى " ، وحكاياها الانجليز فى قصة " روبنسون كروزو " الشهيرة .. ويروى هذه القصة بحار مصرى قام برحلة فى البحر الاحمر ، تحطمت خلالها سفينته بعد أن هبت عليها عاصفة ، وغرق كل من فيها وحملته الامواج الى شاطئ جزيرة ، ثم يروى قصته فى هذه الجزيرة ، حتى أتت اليه سفينة ذات يوم حملته مرة اخرى الى الوطن .

مثال آخر وهى قصة " على بابا والاربعة حرامى " الشهيرة والتى تدور حول حيلة ذكية تلخص فى إخفاء عدد من المقاتلين داخل براميل تحملها قافلة من الخيل ، ويرى كثير من مؤرخى الادب أن القصة مأخوذة من ملحمة " حرب طروادة " اليونانية التى كتبها هوميروس حيث أخفى اليونانيون جنودهم داخل حصان خشبى سحبه الاعداء الى حصنهم ثم خرجوا الجند منه واستيلاهم على الحصن ، وفات المؤرخون أن الاصل الاول لكل من القصتين يعود تاريخه الى عام ١٤٥٠ قبل الميلاد ، وانه مسجل فى بردية " هاريس " المصرية التى يحتفظ بها فى الوقت الحاضر المتحف البريطانى (تحت رقم ٥٠٠) كتب هذه البردية القائد المصرى " تحوتى " ووجهها الى تحتمس الثالث من فلسطين .. وتدور القصة حول " تحوتى " من ضباط تحتمس الثالث وكان مكلفا بالاستيلاء على يافا ولكنها استعصت عليه ، فأخذ يفكر فى خطة مؤداها

أن أرسل الى أمير يافا جاسوسا يخطر به بأن " تحوتى " قد تمرد على سيده " تحتمس " وأنه يريد التحالف معه ، وأنه أحضر من مصر ثروة من الهدايا ومنها صولجان تحتمس السحرى الذى تكفى ضربة منه كى تفقد الاعداء الوعى ، واقتنع الامير بالكلام وقبل دعوة " تحوتى " خارج الحصن الى وليمة أقامها خصيصاً لتكريمه ، وبعد أن أخذت الخمر بعقله طلب الصولجان ، فاذا بتحوتى يهوى بهراوه ضخمة على رأسه وقبض على جميع حرس الامير ، ثم أسرع ينفذ الجزء الثانى من الخطة ، فأحضر مائتى قدر ووضع داخل كل منها جندياً مسلحاً ، وحمل كل إثنين من القدر هصان ، ثم تخفى فى زى سائس وقاد القافلة الى الحصن ومعه عدد من جنود الامير الأسير ، وأمام باب الحصن زعم أن القافلة تحمل هدايا لأمير يافا ، وفتح الحراس الابواب له ، ودخلت القافلة الى ساحة القلعة ، ثم فجأة خرج المقاتلون من القدر واستولوا على القلعة .

أما قصه شمشون ودليلة ، فقد وجدت أصولها فى " عملاق جزيرة الشياطين " مدونة على قطع متفرقة من لوحات " الاستراكا " ومنقوشة على الاحجار فى حفريات سقارة ، وقد قام بترجمتها أكثر من كاتب على مختلف العصور من بينهم " مارش " فى كتابه " حكايات الزمن القديم " و " بروكسبانك " فى أساطير الفراعنة ، وسليم حسن فى " تراجم الادب فى الدولة القديمة " .. وتحكى القصة أنه كان يوجد فى جزيرة نائية عملاق ضخم الجسم ، أسود ، بشع المنظر ، ذوقه خارقة مما جعل الجميع يخافون الاقتراب من الجزيرة ، وكان العملاق يعيش وحيداً ، ولا يوجد معه سوى الافاعى والزواحف الضخمة ، وذات يوم يجرف تيار النهر أنقاض قارب تعلق به حسناء ، وكاد يفتك بها تمساح ، وما أن شاهد العملاق التمساح حتى رفعه بيديه القويتين ثم ألقي به بعيداً ثم حمل الحسناء بين يديه ، وبعد أن شكرته أخذ يتودد اليها ولكنها أبت حتى مجرد النظر اليه لبشاعته ، وخيرها بين أن تتزوجه أو يلقى بها الى التماسيح ، ولاتجد الفتاة مفرأ من التودد إليه حتى باح لها بسر قوته وهو قلبه الكبير الذى لم يسمعه جسده فاحتفظ به بين غصون قمة السنديانة الكبيرة ، وان ثعبان ضخم يحرسه.

وانتظرت الفتاة حتى وصل الفيضان وارتفعت مياه النهر الى الشاطىء ، وغمرت جذع السنديانة ، وابتعدت الحية الى أعلى التل ، وابتعدت التماسيح عن الشاطىء ووصلت الى السلة التى يوجد بها قلب العملاق وفكت رباطها فجرفتها الامواج

وحطمتها الصخور .. ثم ذهبت فى الصباح لتستحم فى ماء النهر ، وصرخت مدعية أن أحد التماسيح قد هاجمها ، وأشارت الى تمساح ضخم ولم يستطع العمالق هذه المرة أن يرفعه .. بل قتله التمساح .

كما أثبت التاريخ أن أصل حكايات ألف ليلة وليلة مصرية ، ففى برديات " وستكار " التى ترجع الى النبلة القديمة ٢٨٠٠ قبل الميلاد والتى تعتبر من أشهر البرديات التى أبدع فيها الأديب المصرى ، فخرج من عالم الواقع الى عالم الديال ، كما تعتبر هذه القصص تطوراً فى أدب القصة بالخروج بها من إطار أساطير العقيدة الى حياة المجتمع .. وهى قصص متتابعة رويت على ألسنة الامراء التسعة من أولاد الملك ذروفر فى مجالس سمره ومنها قصة " قرط الاميرة والساحر " .. وتروى أن الملك سنفرور خرج للتنزه فى بحيرة القصر مع الاميرة فى سفينته ذات المقصورة الذهبية ، وقام بالتجديف عشرون وصيفة من أجمل العذارى ، وكان يجدفن بمجاديف مكسوة بالذهب على أنغام القيثارا ، ثم تروى القصة كيف فقدت الاميرة قرطها فى الماء ، وكان على شكل سمكة بينما كانت تتغزل فى جمالها على وجه الماء ، وحزنت الاميرة فاستدعى سنفرور ساحر معبد آمون الذى تلا عزائمه السحرية ، ثم ضرب سفح الماء بعصاه فانشقت مياه البحيرة وانكشف قاعها وظهر القرط الذهبى ، ونزل سنفرور والتقطه وعين فرعون الساحر ساحراً خاصاً للقصر .

كما دلت الابحاث أن أصل قصة سندريلا هى قصة " رانوبى الجميلة " وهى ضمن برديات شستر بالمتحف البريطانى ، وهى تنور فى مدينة منف حيث كان يعيش تاجر ثرى " سنوفر " فى قصره مع زوجته وابنته رانوبى ، وتصاب الأم بمرض خطير ، وقبل موتها تهدى ابنتها صندوقاً به حذاء نفيس من جلد الغزال الذهبى ، وتشير اليها الى أنه سوف يكون سبباً فى حفظها .. ثم يتزوج الاب من امرأة أخرى أنجبت بنتين أقل جمالا من رانوبى التى عولمت منهن معاملة سيئة ، .. وفى أحد أعياد الربيع يعلن أن ابن فرعون سوف يختار عروساً من فتيات منف الجميلات .. وذهبت أختاها الى الحفل ، ورفضت زوجة أبيها إصطحابها ، وشعرت رانوبى بالرغبة فى التنزه ، ثم فتحت الصندوق الذى يوجد به حذاء أمها ، وأرادت إرتداؤه فهاها قذارة قدميها ، فذهبت لغسلهما ، فاذا بنسر ينقض ليخطف إحدى فردي الحذاء ويطلق بعيدا ، حتى مر بمكان المهرجان فأفزعت الطبول فسقط منه الحذاء بين يدي الامير الذى أعجبه الحذاء

الرقيق والاحجار الكريمة التى رصعته ، وإذا به يتخيل صاحبتة ، وشعر أنه اختار صاحبة هذا الحذاء .

وتمر الايام ، وهو يزور البيوت والقصور للبحث ، وتدعوه زوجة والد رادوبى لتعرض عليه ابنتيهما اللتين تقيسان الحذاء فلا يلائمهما ، ثم يلح الأمير رادوبى ، وتخبره زوجة اباهما أنها إبنة البستانى ، فيخرج اليها الامير ويطلب منها أن تقيس الحذاء ، فاذا به نفس مقاسها ، وتذهب رادوبى وتحضر الفردة الأخرى لتثبت أنها سيدة القصر ثم تتم القصة بأن يتزوجها الامير ..

أول بناء حجرى ضخّم عرفه العالم * * *

هرم سقارة (هرم زوسر) وضع تصميمه امنحتب (أول مهندس معمارى فى التاريخ) وشيد للملك زوسر مؤسس الاسرة الثالثة .. ومما يذكر أنه عثر على أول قبر للملك زوسر فى " ميت خلاف " القريبة من العرابة المدفونة (بجرجا الآن) وهو على شكل مصطبة غير أن زوسر لم يرض أن يكون مقره الاخير هناك ، ويرجح أن امنحتب قد وجه نظره الى منطقة سقارة القريبة من محاجر طره حيث يسهل قطع الاحجار وبناء المصاطب ، وكان غرض زوسر أن يشرف قبره على قبور رجال بلاطه وعظماء بولته ويكون أول بناء ترسل الشمس أشعتها عليه من كل جوانبه عندما تشرق كل صباح .

وقد وضع امنحتب - الذى كان وزيراً للملك زوسر ويعد أحد نوابغ العالم - تصميمه ليكون أضخم من أى قبر شيد قبله لأى ملك من الملوك ، وكانت الفكرة الجريئة الاولى فى تشييد هذا القبر أن يكون مبنياً بكتل من الحجر بدلا من الطوب ، ومن ثم شيد مصطبة كبيرة من الحجر الجيرى الذى قطعه من المحاجر القريبة ، ثم كسا جدرانه الخارجية بأحجار جيرية من النوع الابيض الممتاز الذى كان المصريون القدماء يحصلون عليه من محاجر طره فى الناحية الشرقية للنيل ، وقد شيد تحت تلك المصطبة ممرات وحجرات جانبية تتوسطها حجرة كبيرة استخدم فى تشييدها أحجار الجرانيت لتكون حجرة دفن الملك .

ولم يقف امنحتب عند هذا الحد ، بل عاد وطور تصميمه ليميز قبر زوسر عن غيره من القبور ففكر فى أن يرتفع بالبناء وذلك عن طريق بناء مصطبة فوق أخرى مراعيًا أن تقل كل واحدة فى الحجم عما تحتها حتى أصبح الشكل النهائى لقبر زوسر هرمًا مدرجاً ذا ست درجات ويبلغ ارتفاعه حوالى ٢٠٠ قدم .. وبذلك أصبح امنحتب أول مهندس معمارى فى التاريخ شيد قبراً يشبه الهرم فى شكله العام ، ولم يكتف بهذا بل أحاط الهرم بسور كبير بارتفاع عشرة امتار ، وشيد داخل السور عدة مبان كان بعضها مخصصاً لاقامة العيد الثلاثينى للملك زوسر وبعضها الآخر كان قبراً رمزياً أو معابد تتصل بالاعباد ، كما شيد شمال الهرم معبداً قامت فيه تماثيل الملوك .

وتعد مجموعة الهرم المدرج من أهم ما خلفته مصر الفرعونية من آثار وهي تبين لنا الخطوات الأولى للمصريين عندما انتقلوا من البناء بالطوب الى البناء بالحجر .

وقد دفن الملك زوسر في هرمه هذا ، وتقديراً منه وعرفاناً بمكانة مهندسه ، فقد أمر بكتابة اسم امنحتب على تماثيله وهذا تقدير لم يعرف له نظير لان الملك كان إلهاً معبوداً من الشعب ..

ومما يذكر أيضاً عن امنحتب أنه تولى وظائف عدة فقد كان مشرفاً على إدارة قصر الملك الى جانب أنه كان حائزاً للقب رئيس المثالين ، وكان الرجل الأول بعد زوسر أى أنه كان حاكماً لأحد الاقاليم وكان كبيراً لكهنة الشمس في مدينة أون .. وكان امنحتب بارعاً في الدين والسحر والطب والهندسة وبلغ من شدة تعلق المصريين به وحسن تقديرهم له أن رفعوه بعد موته بمئات السنين الى مرتبة الآلهة وسموه " إله الطب " .

أقدم دساتير الأدوية فى العالم * * *

كان لقدماء المصريين السبق فى مجال الطب والدواء حيث يعد أمحوتب أول طبيب فى العالم وأشهر من مارس الطب عند قدماء المصريين الذين اعتبروه إلهاً ، وأقاموا له المعابد والتماثيل وقدموا اليه القرابين ، ومن أشهر المعابد معبد " ممفيس " ويعود الفضل فى اكتشاف مقبرته الى العالم الاثرى المشهور الانجليزى الدكتور " ايمرى " الذى كان استاذاً للأثار القديمة فى جامعة لندن .

وبالإضافة الى كون أمحوتب أول طبيب فى العالم فقد كان مشهوراً بعلوم الهندسة ، وعمل كحكيم فى بلاط الملك " زوسر " صاحب الهرم المدرج ، ونظراً لحكمته المفرطة فقد اقترن اسم أمحوتب بالهة الحكمة " ايبس " .

وتدل الاكتشافات الأثرية على أن حضارة قدماء المصريين كانت من أشهر الحضارات التى ازدهرت فيها علوم الطب والصيدلة فهناك سجل عظيم طوله ٢٥٠ قدماً وعرضه ١٢ بوصة كتب فى عهد النبى موسى عليه السلام يحتوى على العديد من الأدوية الشافية وطرق تحضيرها وكيفية معالجة الامراض بها ، كما أظهرت الاكتشافات الأثرية وجود آلات جراحية تدل على تقدم فن الجراحة عندهم ، وظهرت مستندات تثبت أنهم عرفوا المئات من الأدوية النباتية معظمها معروف لدينا الآن ، ولعل براعة الفراعنة فى التحنيط أكبر دليل على طول باعهم فى معرفة علمى التشريح والكيمياء ، كما عرفوا المقيئات والمسهلات ومدرات البول ، وأقاموا مدارس خاصة لتعليم الطب أهمها " مدرسة " أون (هليوبوليس) ومدرسة " سايس للمقابلات " ومدرسة " طيبة " المشهورة بمكتبتها العظيمة .

وقدماء المصريين هم أول من اكتشف أدوية التخدير لمنع الألم كما برعوا فى العمليات الجراحية كالختان والخصى وتجبير الكسور والنقب (فتح الدماغ) كما كانوا أول من مارس جراحة التجميل .

وهناك عدد من البرديات الهامة التى تدل على براعة المصريين فى هذا المجال أشهرها " بردية كاهون " وقد اكتشفت عام ١٨٨٩ بمدينة كاهون الفرعونية بالفيوم وتعود الى الأسرة الثامنة عشرة (١٩٠٠ ق . م) وجزء منها مخصص للطب البيطرى ، وتحتوى على ٣٥ وصفة طبية لامراض النساء والتوليد وتشخيص قدرة الانجاب عند المرأة وجنس الطفل .. وأيضا بردية " أنوين سميث " وقد اكتشفت فى الاقصر عام ١٨٦١ وذكرت فيها ٤٨ حالة من الجروح والكسور والاورام والقرح وكيفية معالجتها .

وتعد بردية " ايبرس " أشهر البرديات قاطبة واكتشفها العالم الالماني ايبرس فى الاقصر وهى الآن فى متحف ليبزج ، وتحتوى على ٨١١ وصفة طبية طولها ٢٠ مترا وعرضها ٣٠ سم وتشتمل على اسماء الادوية الخاصة بكل عضو من أعضاء الجسم ، بالإضافة الى وصف تشريحى لجسم الانسان ، وتعود الى عام ١٥٥٠ ق . م ، كما تدل هذه البردية على مهارة الفراعنة فى تحنيط الموتى ، وأنهم تعرفوا على وظيفة القلب والوعية الدموية .

ومن البرديات الهامة بردية " هيرست " التى عثر عليها فى دير البلاص عام ١٩٠١ وتحتوى على ٢٦٠ وصفة طبية ويعود تاريخها أيضا الى ١٥٥٠ ق . م .. وبردية لندن وتوجد فى متحف لندن منذ عام ١٨٦٠ وتحتوى على ٦٣ وصفة سحرية لمعالجة أمراض العيون والحروق وأمراض النساء ، وبردية برلين التى تم العثور عليها قرب اهرام سقاره وهى بمتحف برلين منذ عام ١٨٨٦ وتحتوى على ١٧٠ وصفة طبية .

وتعتبر البرديات أقدم مؤلف يضم الوصفات الطبية وطرق تحضيرها ، ولذلك فهى تعد أقدم دساتير الادوية فى تاريخ العالم .

الوحيدة الباقية من عجائب الدنيا السبع * * *

تعتبر أهرام الجيزة وأبو الهول الوحيدة بين عجائب الدنيا السبع التي ظلت قائمة حتى الآن .. ومن الجدير بالذكر أن مصر يوجد بها إثنان من عجائب الدنيا السبع هما الاهرام ومنارة الاسكندرية .

ومما يذكر أن هناك عصر أطلق عليه اسم عصر بناء الاهرام وهو يبدأ بقيام الأسرة الثالثة وينتهي بانتهاء الأسرة السادسة ، وقد أطلق عليه هذا الاسم لكثرة ماشيده ملوك تلك الاسر من الاهرام التي لاتزال باقية الى اليوم ، شاهدة بما بلغه ملوك ذلك الزمان من قوة ، وما وصل اليه الشعب من مدنية وحضارة ، على أن بناء الاهرام لم يقف تماما بسقوط الأسرة السادسة بل إنه استمر بدرجة أقل حتى نهاية الأسرة الثانية عشرة .. وهناك حوالى ٧٠ هرمًا معروفاً أقدمها هرم زوسر المدرج فى سقارة .

كان المصريون فى عصر ما قبل التاريخ يدفنون موتاهم فى حفر فى الأرض ، ثم تدرج بعد ذلك بناء المقابر ، فشيد الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة قبرا على هيئة مصطبة كبيرة بعيت خلف قرب أبيدوس ، ثم بنى قبرا آخر من الحجر على هيئة ست مصاطب ، ثم أخذ المصريون يدخلون التحسينات على الهرم المدرج لاختفاء تدرج الصخور ونشأ ما يعرف بالهرم الكامل .. وقد بنى الملك سنفرؤ مؤسس الأسرة الرابعة لنفسه هرمين بجهة " ميدوم " بين منف والفيوم ، وهو على نمط الهرم المدرج ويسميه الناس " الهرم الكاذب " لعدم انتظام شكله .

ثم خلف خوفو سنفرؤ فى الحكم ، وبدأ فى بناء أول أعظم الاهرام وأضخمها وأشهرها ، وكان ذلك على الضفة الغربية للنيل ، وهى أهرام ملوك الأسرة الرابعة خوفو وخفرع ومنقرع ، وهذه الاهرام منشأة على قواعد مربعة ، ولكل منها أربعة جوانب مثلثة الشكل ، تقابل الجهات الأصلية الأربع ، وتميل على سطح الأرض بزاوية قدرها ٥٠ درجة تقريبا ، وتلتقى هذه الجوانب فى قمة مدببة .. وقد أثبتت الابحاث العلمية

الحديثة أن الهرم الأكبر على الأقل لم يشيد لمجرد الترف ، وإنما صممت أبعاده وخطوطه بحيث تكشف عن حقائق علمية لم يتوصل العلم إليها إلا في عهود قريبة .

ولقد بنى خوفو هرمه (أكبر مقبرة في التاريخ) على قاعدة مساحتها ١٣ فدانا وارتفاعه ١٤٦م تقريباً ثم تحطم جزء من قمته فصار الآن ١٣٧م ، وطول كل جانب من جوانبه ٢٢٢م .. ويقع مدخل الهرم من الواجهة البحرية في مواجهة النجم القطبي الذي لا يغيب عن الأفق الشمالي ، وكان خوفو يعتقد أن هذا النجم الذي لا يقل يضمّن لروحه الخلود والدوام ، والمدخل على إرتفاع ١٥ متراً من القاعدة ، وتوجد غرفة دفن الملك على ارتفاع ٤٢ متراً من سفح الأرض والغرفة كلها من الجرانيت الداكن ، ارتفاعها ستة أمتار وجرّسها خمسة أمتار وطولها عشرة أمتار ونصف متر ، ولا يوجد بها إلا تابوت فارغ من الجرانيت ليس له غطاء ، وبها منفذان للهواء يصلان الى خارج الهرم .. ويعلو الغرفة خمس حجرات صغيرة بعضها فوق بعض ، وهي حجرات فارغة لتخفف ضغط البناء على حجرة الملك .

وقد استغرق بناء هذا الهرم عشرين عاماً ، واستخدم في بناءه مائة ألف عامل كان يستبدل بهم غيرهم كل عام .. ويقدر عدد الأحجار التي استخدمت في بنائه بمليونين وثمانمائة ألف حجر ، يزن الواحد منها طنّين ونصف ، وكانت هذه الأحجار بعد قطعها تحمل الى حيث يبني الهرم على زحافات تجرى على أحجار مستديرة ، ثم ترفع بالبرك من أسفل الى أعلى ، ويدل استعمال المصريين لهذه الطريقة على ما توصلوا اليه من مهارة في فن البناء ، ويعد أن تم بناء الهرم كسّى بأحجار بيضاء ملساء ولكنها أزيلت عن الهرم في بعض العصور التالية .

وكان العمل في بناء الأهرام يجري في أوقات الفيضان ، حيث تكون الأرض مغمورة بالمياه والفلاحون بغير عمل .

ثم جاء الملك خفرع ، ورأى أن يقلد أباه فبنى هرماً آخر بجوار الهرم الأكبر ، أقل منه حجماً حيث يبلغ ارتفاعه ١٤٣م ، وبسبب تساقط أحجار قمته أصبح ارتفاعه الآن ١٣٦م ، وهو ينحدر إنحداراً شديداً ، وهو يقوم على هضبة أكثر ارتفاعاً ولذلك فإن

قمته ترتفع أكثر من هرم خوفو ، ومن أهم ما يميز هذا الهرم الفطاء الذى يكسو قمته والتي مازالت تحتفظ بطبيعتها الاصلية ، وقاعدته محلاة بالجرانيت الاحمر .. ويقال أن عهد خفرع كان مليئاً بالخلافات ولذلك لم يترك أثراً تذكر غير هرمه .

وتولى حكم مصر بعد خفرع ابنه منقرع ، وبنى الهرم الثالث وكان إرتفاعه ٦٦ متراً ، وإرتفاعه الآن ٦٣ متراً ، وكان يسمى " نتريت " أى الالهى " ، ويختلف عن الهرمين فى أن كسوته من حجر الجرانيت الاحمر ، ولكن هذه الكسوة لم تكمل لان الملك مات فجأة ، وقد عثر الباحثون على بقايا تابوت خشبي فى حجرة الدفن فى الهرم كما عثروا فى معبد الوادى على تمثال واحد للملك وزوجته وأبنوات فنية على درجة عالية من الاتقان .

وكان ملحقاً بكل هرم معبد خبائزى للطقوس ، وعدد من المصاطب دفن فيها النبلاء المقربون من الملك .

ومما ينبغى ذكره أنه يوجد فى العالم منشآت أخرى تشبه الاهرام الفرعونية ، ولكنها ليست كاملة فى هندستها ، ولا تبلغ مبلغها من الضخامة ، فقد شيد الآشوريون أهراماً أقيمت على قممها معابد للطقوس الجنائزية والدينية ، كما أن هناك أهراماً أخرى بنتها قبائل " المايا " فى امريكا الوسطى وفى المكسيك ، وحاول الرومان أن يقلدوا الفراعنة وبنوا أهراماً صغيرة فى روما .

مراكب الشمس

* * *

اكتشفها المصري كمال الملاخ بجوار الهرم الاكبر عام ١٩٥٤ بعد بحث استغرق أكثر من أربع سنوات .. ويعد هذا الكشف أضخم كشف أثرى بعد اكتشاف كارتر لمقبرة توت عنخ آمون في وادي الملوك بالاقصر .

وقد بدأ البحث عن هذه المراكب بعد حادث وقوع تلميذ صغير في فجوة كانت فارغة وراء الاستراحة الملكية شرق شمال الهرم الاكبر ، وبدأ بعد ذلك الاهتمام بتسوير هذه الفجوات ، لبدأ الاهتمام بالكشف عما بها .

ومما يذكر أن الشمس كانت هي الكيان الاكبر لقدماء المصريين ، وكانت ذات أثر عظيم في حياتهم ، وربط المصري مصيره بمصيرها ، فهي معبوده الأول والاكبر ويرتبط خلوده بخلودها .. واعتقد المصري أنه لكي يصل الى العالم الخالد كان عليه أن يبقى جسده بعيداً عن أن يفنى حتى يحفظ به روحه ، وقد حفظ جسده عن طريق التحنيط ، أما الروح فطالما أن اعتقاد المصري راسخ في أنه لا أمل في خلوده إلا ببقاء جسده وروحه وازواجهما في زيارات متعاقبة تحددتها شرائع دينهم ، فقد راح الفراعنة يسمعون حول اهراماتهم عدداً من المراكب داخل مخابى منحوتة في صخرة الهضبة انقام عليها الهرم ، حتى إذا ما جاء الكاهن الاكبر كل صباح وتلا بجوارها تعويذة معينة فإنهم يتخيلون أن قوة سحرية غير منظورة ستدفع المركب لتسبح في محيط الفضاء حاملة الروح لتتبع مركب الشمس التي تخيلوا انها أيضاً تنتقل في مجراها عن طريق مركب من ذهب طوله ٧٥٠ ذراعاً مصرياً (الذراع طوله ٥٣سم) .

وقد اكتشف كمال الملاخ ٣ فجوات لمراكب الشمس محفورة في ربة أهرام الجيزة إثنان منهما لمركبي الشمس الخاصتين بالملك خوفو ، الشرقية في رحلة الشمس نهراً والغربية في رحلة الشمس ليلاً ، والثالثة لمركب الشمس الخاصة بالملكة زوجة خوفو .. وكان قدماء المصريين يرون أن المركب تمر من ١٢ بوابة نهراً و ١٢ بوابة ليلاً ، وكانت مراحل الرحلة هي بمثابة تقسيم لليوم الى ٢٤ ساعة فضلاً عن معرفتهم ل دوران الارض قبل جاليليو بقرون طويلة .

وبعد مركب الشمس لخوفو أضخم مركب قديم كشف عنه التاريخ حتى الآن ، ويبلغ طوله نحو ٤٥ متراً وأقصى عرض له ٦ أمتار ، وترتفع مقدمته ٦ أمتار ومؤخرته ٨ أمتار ، تعلوه مقصورة يعتمد سقفها على ٣ أعمدة نخيلية التيجان ، وتمتد أمامها سقيفة بالقرب من مقدمة المركب ليحتمى فى ظلها قائده الربان ، ولها ١٢ مجدافاً ٥ على كل جانب ، غير مجدافين طويلين عند المؤخرة .

المركب مؤلف من ٦٥٠ جزءاً جمعت من ١٢٢٤ قطعة من الخشب تختلف أطوالها من ٥ سم الى ٢٣ متراً ، ولبعضها إنحناءات تناسب إنسيابات هيئة المركب ، وقد تطلب بناء المركب ٥ كيلو مترات من الحبال فى تدكيك وربط اجزائها من خلال ٤٠٠٠ ثقب لاتبدو من الخارج مطلقاً ولا من على سطحها .

وقد وضع قدماء المصريين قطعاً من بخور ومسك وعطر نفاذ درماً من هوام الحشرات كى لاتقرب أخشاب المراكب وتقرضها .. وقد نجحوا فى ذلك تماماً ، وسلمت طوال ٤٧ قرناً من الزمان .

وقد أقيم متحف على المركب الشرقى من مركبى خوفو ، وهو المتحف الوحيد فى مصر الذى يعرض قطعة أثرية فريدة واحدة .

من الذى حطم أنف أبى الهول ؟!

ذكر المقرئ أن رجلاً صوفياً يدعى صائم الدهر هو الذى حطم أنف أبى الهول ، رمز للوثنية ، وكانت النساء تتبرك به وتقدم له النذور ، ويقال أن عاصفه رملة هبت على الأراضى الزراعية الممتدة من هضبة أبى الهول الى النيل فأتلفت المزروعات لحكتها ، ونسب الناس ذلك الى غضب أبى الهول لتشويه انفه .

حتى عهد الملك خفرع نحت تمثال أبى الهول عند سفح الاهرام الذى يعد أعجوبة عجائب الفن الفرعونى القديم ، وكان عبارة عن كتلة كبيرة واحدة من الحجر على هيئة من الاهرام ، وكانت عائقاً يفسد منظر الهرم الثانى ، ويمثل عائقاً أمام تعبيد طريق بين معبد الوادى والمعبد الجنائزى عند هرم خفرع ، واقترح مهندسو الملك راع أن يصنعوا من هذه الكتلة تمثالا ضخماً متوجهاً للشرق - ولهذا كان اسمه فى - اية " حر ، ام ، اخت " أى حورس الذى يتطلع الى مولد نور الشمس - فى هيئة صبح بين جسد أسد رمزاً للقوة والصلابة وبين رأس انسان يتسم بالوقار والحكمة الى أبى الدهر معبرة عن سلطان العقل عندما يلتقى مع جبروت القوة ، كما انحنى الطريق على مؤخرته ، وانتهت خصلة الذيل على هيئة رأس أفعى لتحمية من نهب ولهذا جاء هذا الشكل السيرىالى الفنى قبل أن يبدع إنسان القرن العشرين سرىالياً بقرون طويلة .

ويعلو رأس التمثال جزء من التاج وبقية من الحية " رمز الملكية " - كانت الكوبرا على العرش شمال مصر - التى كانت على جبهته ، وقد سقطت الحية واللحية وهما هو ظلتان بالمتحف البريطانى الآن ، وكان بحاراً ايطالياً يدعى " جيوفانى كافيللا " قد قطعيتين من ذقن أبى الهول فى رمال منطقة الاهرام وقام بتهريبهما الى لندن عام ١٨ م .

وقد غطت الرمال تمثال أبى الهول عدة مرات فى العصور المختلفة ، وأول مرة لها عنه الملك تحوتمس الرابع (١٤٢٥ - ١٤٠٥ ق م) وقد سجل لنا ذلك على لوحة ائتميتية تقع بين مخلى التمثال فيقول " إنه خرج مرة للصيد فى الصحراء ثم غلبه حاس وقت الظهر فاقترب من الارض وراح فى النوم ، ورأى فيما يراه النائم الملك

خفـرع فى هيئة أبى الهول ، وقد أقبل عليه يبشره بأنه سيعتلى عرش مصر ، وطلب منه أن يزيل عنه الرمال التى تثقل كاهله (وكان أمراً غريباً لأنه لم يكن ولياً للعهد) وعندما تحققت الرؤيا وارتقى تحتس الرابع العرش أزال عنه الرمال .

ثم عادت الرمال لتغطى جسم التمثال وأزيلت عدة مرات ، وفى عهد البطالمة والرومان رعم التمثال وأضيف اليه مذبح القرابين وكذلك السلالم التى تقع بالجهة الشرقية .. وفى عام ١٨١٨ م قامت إحدى جمعيات الحفر الانجليزية بإزالة الرمال ، كما قامت مصلحة الآثار المصرية عام ١٩٢٦ بإزالة الرمال التى غطته حتى العنق ليبرز التمثال بأكمله .

ويلاحظ أنه فى أثناء فترة حكم الاسرة الثامنة عشرة ، أقبل المصريون على هذا الاثر الخالد العجيب مقدسين له ، متوسمين فيه رمزاً للشمس ، منبع حياتهم يطلقون عليه احيانا " شبس عنخ " أى مانح الحياة بالهيروغليفية وهو من أولى الاسماء التى سمى بها وأحيانا أخرى يسمونه " حور صاحب الافق " .

وفى عهد الدولة الحديثة استقبلت مصر وفوداً عديدة من أقطار آسيا ، واتخذ الكنعانيون من سفح هذه الهضبة والى جوار أبى الهول مستقراً لهم ، وقد كان لهم إلهاً يعبدونه يسمى " حور حورون حول " ويرمزون له بطائر فى هيئة الصقر ، ومن شدة إعجابهم بأبى الهول لم يجنوا حرجاً فى خلق صلة قوية بين معبودهم وبين الشمس التى قدست فى هذا الاثر ، ومن هنا أطلق الكنعانيون على هذا الاثر المصرى اسم حور أو حول واتخذوا منه بديلاً عن إلههم كما أطلقوا على الساحة المحيطة به " بوحور .. أو بوحول " وتعنى بيت حور أو بيت حول ..

أما الاسم الحالى والشائع " أبو الهول " فله عدة تفسيرات يعد أقربها الى الصواب تفسيران أولهما :- أن كلمة أبى الهول قد تكون تحريفاً لغوياً حدث على مر الزمان وعلى أيدي المصريين لهذا الاسم الكنعانى " بوحور أو بوحول " والثانى فيرجع سببه الى الاغريق حيث كان هذا الاسم يطلق على مارد مشابه له جسد أسد وجزؤه الاعلى لامرأة وكان رابضاً فوق صخرة عالية على مشارف طيبة الاغريقية ، وكما ورد فى

الاسطورة الاغريقية التى تدور حول أبى الهول الاغريقى أن الالهة أرسلت به الى أهل طيبة لتنتقم منهم فكان يعترض طريق كل من يدخل المدينة أو يخرج منها ويسأله : من هو الكائن الذى يمشى فى الصباح على أربع وفى الظهيرة على اثنين وفى المساء على ثلاث ؟ ويعجز الناس عن الاجابة فيقتلهم حتى اقبل أوديب فأجابه قائلا : إنه الانسان (يلاحظ أن الصباح والظهيرة والمساء يقصد بها مراحل عمر الانسان الطفولة والشباب والكهولة) .

مصر تسجل أولى الرحلات في تاريخ البشر * * *

لقد وثق قدماء المصريين أولى الرحلات المعروفة في تاريخ البشر .. ولم يسبقهم في ذلك أحد .. وتعتبر قصة " سنوحى " أقدم رحلة موثقة في التاريخ على الإطلاق .. وتعود الى الاسرة الثانية عشرة .

ومجمل هذه القصة أن امنمحات الاول مؤسس الاسرة الثانية عشرة توفى بينما كانت رحى الحرب دائرة بين مصر والليبيين ، وكان ابنه وولى عهده سنوسرت على رأس الجيش المحارب ، وتحت إمرته قادة من بيتهم أمير يدعى " سنوحى " لم يكن معه على وفاق ، فلما وفد رسول البلاط ينبيء سنوسرت بوفاة أبيه ، وتوليته العرش بعده ، سمع بذلك سنوحى ، وقرر الفرار خوفاً على حياته من الملك الجديد ، فعبر النيل ، ومر بعين شمس ، ثم سار في الصحراء شمالاً الى سيناء ، وعلى الرغم مما حل به من تعب وجوع وظمأ ، تجلد وواصل السير حتى نزل على أحد البدو ، وكان رئيساً لأحدى القبائل ، فأحسن لقاءه وقدم له الماء واللبن ، ولما استراح من التعب ، عاد يواصل رحلته حتى وصل الى بلاد الشام وتقل بين قبائلها ، حتى استقر به المقام أخيراً عند رئيس قبيلة من البدو ، فحدثه سنوحى عن أمره ، فأكرم رئيس القبيلة وفادة الأمير ، وزوجه كبرى بناته ، وجعله رئيساً لأحدى القبائل ومنحه أرضاً تنتج عنباً وتيناً وزيتوناً وقمحاً وشعيراً وقطيع كبير من الماشية .

ولما عظمت مكانة سنوحى في البادية ، وارتفعت منزلته عند رئيس القبيلة ، ثارت الغيرة والحسد في نفس أحد سكان البادية ، وكان مهاباً قوياً السطوة عظيم البطش ، فاعتزم قتل سنوحى ليحل محله ، ويستولى على أرضه وأملاكه ، فنازله سنوحى في جمع من البدو وتجلت براعته في الحرب ، حتى أرداه قتيلاً بسهم هويه نحو نحره ، فهتف الناس بحياة الأمير المصرى الذى أراحهم من شر ذلك الطاغية .

ولما طالت الغربة بسنوحى وسارعت اليه الشيخوخة ، خشى أن يدركه الموت ، وهو بعيد عن مصر ، فحن إليها ويعث برسول أمين ، يحمل رسالة الى الملك سنوسرت الاول

يظهر فيها ولاءه ، ويصور حاله من الضعف والشيخوخة ويلتمس منه المغفرة والسماح له بالعودة الى الوطن .

وعاد الرسول الى سنوحى ، يحمل أمر الملك بالمغفوعه ، والسماح بعودته ، فوزع ثروته هناك بين أبنائه ، وعين اكبرهم رئيسا مكانه ، ثم أسرع الخطى الى الوطن ودخل القصر الملكى وهو ذاهل من فرحته ، فقابله الملك والملكه والنبلاء بحفاوة وإكرام بالفين .

وكانت الغربة قد غيرت كثيرا من شكله ومظهره ، حتى أن الملك قال مداعباً من حوله : " انظروا .. هذا سنوحى ، غادرنا مصرىا ، وعاد الينا أسيويا ، وفارقنا متمدناً ، وارتد الينا بنوياً " .

وقص سنوحى على الملك قصته فادخله فى بلاطه ، وأنزله فى قصره الملكى ، فارتدى الملابس الملكية وحلق لحيته ، ووضع على رأسه شعراً مستعاراً ، جرياً على عادة نبلاء المصريين فى هذا العصر .

والقصة تصور حياة البدو فى الصحراء ، وتصف معيشة الخيام ، وكرم البدو وشجاعتهم وحروبهم ، وتصور كذلك بعض العادات المصرية فى قصور الملوك فى ذلك العهد .

المسلات المصرية

* * *

" لقد أقمت هذا النصب لتعجب به الأجيال القادمة من بعدى " .. نقشت هذه العبارة على واحدة من أشهر المسلات المصرية وهى مسلة الملكة حتشبسوت بالكرنك ، ومضت القرون الطويلة لتؤكد هذا المعنى ، فمازالت كثير من مدن العالم تشهد بذلك السبق المعمارى الفنى الذى أحرزه المصريون منذ فجر التاريخ .

وكانت المسلات تقام أصلاً لإله الشمس - الإله الأكبر عند قدماء المصريين - ومن ثم فالمسلة هى رمز النور والحياه ويقال انها ترمز بهيئتها لشعاع الشمس ، وكانت تنحت من نوع من الحجر المسمى (السينيت syenite) وسمى كذلك لانه يستخرج من سين (اسوان الآن) وهو نوع من الجرانيت الضارب الى الحمرة لشبه لونه بلون الاشعة ، كما كان يستخدم البازلت الرمادى القاتم .. كما أن الهرم الذى فى قمته كان يكسى أحياناً بالذهب لتعكس عليه الاشعة فى المعبد وكأنه عرش الشمس .

وقد اشتهرت مدينة " أونو " (وهى منطقة عين شمس حالياً) بقيام عبادة الشمس فيها منذ أقدم العصور ، وكان يوجد بمعبد الشمس فيها قطعة من الحجر هرمية الشكل ، وعندما لاحظ الكهنة المصريون أن طائراً معيناً يحط فى وقت من السنة على هذا الحجر الهرمى ، اعتقدوا أن هذا الطائر هو إله الشمس وانه اتخذ هيئة الطائر ليزور معبده ، كما اعتقدوا أن إله الشمس يحب الشكل الهرمى ولذلك رمزوا له بعمود قاعدته مربعة وقمته على شكل هرم وهو ما يعرف باسم المسلة .

والمسلة عمود ينحت كله من صخرة واحدة ، ولها أربعة جوانب مسطحة ترتفع مستقيمة فيكون قطاع المسلة مربع تقريباً وتأخذ فى ميل تدريجى خفيف كلما ارتفعت ثم تنتهى بهرم صغير تميل جوانبه على مستوى جوانب المسلة ، وتقام المسلة عادة على قاعدة مكعبة تستقر على درجة أو اثنتين .. وكانت المسلات تقام عند مداخل المعابد ، واحدة على كل جانب - كما وضعت مسلات صغيرة فى مقابر الدولة القديمة وعلى جوانب المسلة كان يسجل اسم الملك وألقابه ، كما كانت الشمس تنقش عليها فى هيئة قرص تمجيداً للإله رع رب الشمس مصدر الحياة ... وعلى الرغم من أن الفرض

الاساسى من إقامة المسلات كان غرضاً دينياً إلا أن الامر تطور فأصبحت تقام فى مناسبات معينة .

وكانت المسلة تسمى عند قدماء المصريين " تخنو " او " بن بن " ويطلقون هذه التسمية على قمتها الهرمية ثم أطلق عليها اليونانيون " اوبيلسكو " عندما شبهوها بإبرة الخياطة الطويلة " المسلة " والتي ظلت فى العربية وصفاً لها .

والذين أقاموا مسلات عملاقة من الفراعنة ملوك قلائل ومنهم سنوسرت الاول ، وتحوتمس الاول وحتشبسوت وتحوتمس الثالث ورمسيس الثانى ، أما المسلات الصغيرة فكانت كثيرة صنع أكبر عدد منها فى عهود الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة .

وأقدم مسلة فرعونية لاتزال موجودة حتى الآن فى أحد ضواحي مدينة هليو بوليس (المطرية الآن) وأقيمت عام ١٩٥٠ ق.م وأقامها الملك سنوسرت الاول من ملوك الاسرة الثانية عشرة ويبلغ ارتفاعها حوالى ٢٠ متراً ، وهى مكونة من قطعة واحدة من الحجر قاعدتها مدفونة فى التربة كما انها لازالت قائمة فى البقعة التى كانت تشغلها قديما مدينة عين شمس المشهورة بجامعة التى تعتبر أقدم مراكز العلم والمعرفة فى تلك العصور .

ومما يذكر أن عدداً كبيراً من المسلات المصرية قد تفرق فى مختلف أنحاء العالم بسبب الغزوات والحروب فعندما دخل الفرس مصر عمدوا الى تكسير عدد كبير منها وسرقة السبائك الذهبية المحلاة بها ، كما نقل أحد ملوك الآشوريين إحدى هذه المسلات على سبيل التذكار وأقامها فى إحدى مدن بلاده .

وأضخم مسلة بنيت حتى الآن هى المسلة المقامة بميدان "سان جيوفانى اللاتيرانى " بروما حيث يبلغ ارتفاعها مايزيد على ٣٠ متراً ، كما يقدر وزنها بحوالى ٤٥٥ طناً ، وكانت مقامة فى الاصل " فى طيبة " ثم نقلت الى الاسكندرية حوالى عام ٢٢٠ للميلاد بأمر من الامبراطور الرومانى " قسطنطين الاكبر " ومنها نقلها قسطنطينوس " الى روما فأقيمت اولاً فى ساحة " مكسيموس " .

وقد استهوت المسلات الحكام الرومان فأخذوا مايزيد على ١٢ مسلة ، وأقاموها في جهات متفرقة من أنحاء امبراطوريتهم الواسعة ، واهتم رجال الدين بما بقي من هذه المسلات في روما ووضعوا فوقها الصليبان كما أحاطوها بناقورات المياه وتوجد مسلة في كل من فلورنسا ورولين ومسلتان في استانبول .

وفي عام ١٨٣١ أهدت مصر إحدى مسلتى الاقصر الى ملك فرنسا ، وبعد خمس سنوات اقيمت هذه المسلة وسط ميدان الكونكوردي بباريس ، وكانت تقام فيه منصات الجلادين حيث أعدمت ماري أنطوانيت ولويس السادس عشر وعدد من الامراء في بداية الثورة الفرنسية .. وقد حضر ملك فرنسا لويس فيليب احتفال اقامتها مع ٢٠٠ ألف نسمة من أهل باريس وسط الميدان يوم ٢٥ اكتوبر ١٨٣٦ .

وقد أقام هذه المسلة رمسيس الثاني ونقلت من أمام معبد الاقصر وهي تزن ٢٢٧ طنا وارتفاعها ٢٢,٥٥ متراً ويعرض متحف اللوفر قاعدتها الاصلية .

ومن أشهر المسلات المصرية المسلتان المشهورتان باسم " مسلتى كليو باترا " وهي تسمية خاطئة حيث صنعتا قبل عصر كليو باترا بزمان طويل في القرن الخامس عشر قبل الميلاد تخليداً لاسم فرعون مصر تحتمس الثالث ، وعندما اعتلت كليو باترا عرش مصر نقلت المسلتين الى الاسكندرية لتزين " القصر يوم " قصر الحاكم الروماني بالاسكندرية ، وظلتا حتى عام ١٨٧٧ في المكان الذي تشغله الآن محطة الرمل .. ويبلغ طول كل منهما حوالي ٢٣ متراً ووزنها حوالي ٢٠٠ طن .

وقد اهديت إحدى المسلتين وهي القائمة على ضفة نهر التيميز في بريطانيا عام ١٨١٩ ولكنها لم تصل الى لندن إلا عام ١٨٧٧ ، ومما هو جدير بالذكر أن هذه المسلة أصيبت بخدش من شظايا القنابل اثناء الحرب العالمية الثانية .. أما المسلة الثانية فقد اهدتها مصر الى الولايات المتحدة عام ١٨٧٩ وتوجد الآن في ميدان سنترال بارك بمدينة نيويورك .

ومن اشهر المسلات المصرية " المسلة الناقصة " وهي اطول وأضخم مسلة وإن لم يتم قطعها من محاجر اسوان الجرانيتية ، ويبلغ طولها حوالي ٤٢ متراً ، كما يبلغ

وزنها فى حالة إتمام قطعها ١١٦٨ طناً .. غير أن تاريخ هذه المسلة لايعرف على وجه الدقة لخلوها من النقوش التى لم تكن تنقش إلا بعد قطعها تماماً ، ولكن يحتمل أن تكون من عهد الملكة حتشبسوت حيث تميز عهدها بقطع المسلات الكبيرة ، ولم يتم قطع مسلة اسوان لاكتشاف عيب فى صخرها .

وكان قدماء المصريين إذا أرادوا قطع مسلة من المحاجر تأكدوا أولاً من سلامة الصخور المراد قطعها ، وكانوا يشعلون ناراً فوق الصخور الجرانيتية ، ثم يصبون الماء عليها لتتفتت الطبقة السطحية التى ينبغى التخلص منها ، ثم يسوى السطح بكرات من حجر الدولوريت ، وكانوا يرسمون شكل المسلة على سطح الصخر بحبل مغموس فى لون ، ويعمقون هذه الخطوط بأله معدنية حادة ليتضح شكل المسلة للعمال ، ويأخذ العمال فى حفر خندق على جانبيها ، وإذا ماتم فصل المسلة من جانبها بدئاً بفصلها من تحتها وكان هذا عملاً شاقاً للغاية ، ويظن انه كان يتم بحفر ممرات على مسافات معينة ، وكانت هذه الممرات تحشى بالخشب او الحجر لترتكز المسلة عليها عندما يتم سحق الصخر فيما بين هذه الممرات .. ثم ترتفع بعد ذلك المسلة لتتنطق بأعجاز هؤلاء المصريين .

أنبياء الله فى مصر

* * *

كانت مصر مقصداً للأنبياء ، جاء اليها ابراهيم عليه السلام هرباً من المجاعة فى فلسطين وتزوج منها هاجر أم اسماعيل عليه السلام جد العرب ، ثم جاءها يوسف عليه السلام وعاش بها ، ثم ولد بها موسى عليه السلام وتلقى فيها رسالته .. ثم جاءت اليها السيدة مريم والمسيح عليه السلام وعاشا بها اثنى عشر عاماً .

أقبل ابراهيم عليه السلام من فلسطين الى مصر يطلب فيها الشيع والرى من بلاد أصابها القحط والجفاف ، وكان مجيئه اليها على الأرجح والمشهور أيام الاسرة الثانية عشرة ، حيث هبط عن طريق ممهد بأسيا إذ كانت قوافل التجارة ترد على مصر .. وقد أقبل ابراهيم عليه السلام الى مصر مع احدى قوافل البدو ، ومن المؤكد أنه أقبل على مصر بعد أن سمع بما كان فى مصر يومئذ من الرخاء والامن والسلام .

وقد تزوج ابراهيم عليه السلام من السيدة هاجر وهى من قرية فى شمال مصر على بعد ثلاثة كيلو مترات من الساحل الشمالى وتعرف اليوم آثارها " بتل الفرما " وقد أنجبت هاجر من ابراهيم عليه السلام اسماعيل عليه السلام أبو العرب والذى ينتسب اليه الرسول صلى الله عليه وسلم .. وقد شاء الله أن يخلد تلك الفتاة المصرية فيفرض على عباده السعى - كما سمعت - بين الصفا والمروة حاجين أو معتمرين .

ثم جاء الى مصر يوسف عليه السلام أيام الهكسوس ، وفى ذلك الوقت كان ملوك الهكسوس قد أنخلوا بعض المصريين من أهل الدلتا فى خدمتهم وأنخلوا بعض عادات المصريين وبعض أسمائهم وربما دل على ذلك اسم العزيز الذى اشترى يوسف وأدخله فى خدمته " فوطيفاً رع " .

وتبدأ قصة يوسف عليه السلام بالحقد الذى ثار فى نفوس إخوته لما رأوا من حب أبيه وإيثاره عليهم فاجتمعوا على المباحدة بينه وبين أبيه ، وألقوه فى البئر ، وجاء بعض الناس وأخنوه من البئر وباعوه ، ولقد حمل يوسف الى مصر حيث كانت تجارة الرقيق من البنين والبئات الآسيويين تلقى يومئذ رواجاً ، وبيع يوسف لعزيز مصر "فوطيفاً رع"

حيث أنزله منزلاً طيباً وأوصى به امرأته . " وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى
مثناء عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً (يوسف - ٢١) .

ثم بدأت قصة يوسف بعد ذلك كما هو معروف مع امرأة العزيز التى حاولت أن
تراوده عن نفسها وانتهاء المؤامرة به الى السجن ، ثم تفسيره للاحلام فى السجن ،
وتأويله للحلم الذى رآه الملك عن البقرات السبع الثمان والتى يأكلهن سبع عجاف ،
وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، وفسر يوسف ذلك بأنه يأتى سبع سنوات جفاف
يأكلن محاصيل السنوات السبع السابقة والتى تميزت بالخير ، ثم يعم الخير بعد
الجفاف ، ودفع ذلك الملك الى أن يعينه على خزان مصر ، ثم التقى بعد ذلك مع أخوته
الذين ألقوه فى البئر صغيراً ، وما استتبع ذلك من مجيء يعقوب وأولاده الى مصر ،
وقد عاشوا فى أرض جاسان وهى فى شمال بلبس ويقول العلماء أنها نواحي
الصالحية .

وفى عهد الاسرة التاسعة عشرة ، وفى ظل الرعب الذى فرض على بنى اسرائيل
من حيث قتل أولادهم الذكور ، ولد موسى فلوصى الله الى أمه أن تلقيه فى اليم ،
والتقطه آل فرعون ، وتربى فى قصر فرعون ، ثم حدث أن قتل موسى عليه السلام أحد
المصريين وهو يناصر إسرائيليا من شيعته وماتلى ذلك من خروجه من مصر هارباً
حيث ولى وجهه قبل المشرق الى مدين عن طريق سيناء وتزوج هناك ، وعندما شعر
بالأمان عاد الى مصر حيث تلقى فى طريق عودته دعوة الله ، وحاول موسى عليه
السلام أن يدعو فرعون للايمان بالله ، ولكنه لم يستطع واستمر الصراع بينهما الى أن
انتهى الامر بفرق فرعون وأهله فى البحر .

ثم جاء عيسى عليه السلام الى مصر ، فبعد أن ولد فى بيت لحم على مقربة من بيت
المقدس فى عهد الملك هيرودس حاكم فلسطين الرومانى الذى علم أن طفلاً قد ولد وأنه
سوف يتسبب فى ضياع مملكة أسرة هيرودس ونفوذها ، فأصدر أوامره بقتل الاطفال
حديثى الولادة ، فأخذته السيدة مريم وجاءت به الى مصر مع ابن عمها يوسف بن
يعقوب عن طريق صحراء سيناء ، وعاشوا فى مصر مدة ١٢ سنة حتى علموا أن

هيرودس قد مات فانطلقوا الى فلسطين مرة اخرى ، وقد نزلوا في أماكن متعددة
بمصر من أشهرها منطقة مصر القديمة ، والمطرية حيث أقاموا يستظلون بشجرة يقال
أن موضعها حيث توجد الآن الشجرة المعروفة بشجرة العنقاء .

الملك الذى بنى قصر التيه

* * *

حكم " أمنمحات الثالث " مصر فى الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٠١ ق . م . . (الاسرة الثانية عشرة) وفى عهده بلغت الدولة الوسطى أقصى درجات مجدها .

ومن الجدير بالذكر فى البداية أن " أمنمحات الثالث " غير " أمنحتب الثالث " من الاسرة ١٨ والذى أسس معبد الاقصر وطريق الكباش وتمثالى ممنون .

ونعود مرة أخرى الى أمنمحات الثالث الذى امتاز حكمه بالمشروعات العظيمة التى قام بها حيث ابتكر لرى الوجه البحرى طريقة عملية ناجحة ، وذلك أن فيضان النيل كان يغمر إقليم الفيوم سنويا لانخفاضه عن سطح النيل فيتحول الى بحيرة عظيمة كانت تعرف " ببخيرة مورييس " وكانت المياه تصل الى هذا الاقليم من فجوة فى الهضبة الغربية جهة الفيوم .

وقد حاول المصريون فى عصر ما قبل التاريخ وفى عهد الأسر المختلفة أن يمنعوا طغيان المياه على أراضى الفيوم كى يستغلوها فى الزراعة فأقاموا لهذا الغرض سداً عند اللاهون فى الفجوة التى تصل وادى النيل بمنخفض الفيوم ، ولما تولى الملك أمنمحات الثالث مد هذا السد حتى صار طوله ٢٧ ميلا وبذلك أمكنه أن يجعل من تلك البحيرة خزائناً عظيماً تخزن فيه المياه لاستعمالها فى رى أراضى الوجه البحرى فى وقت التحاريق ، وبهذه الطريقة انحسرت مياه النيل عن حوالى سبعة وعشرين ألفاً من الافدنة أصبحت صالحة للزراعة ، وكانت كلها ملكاً للملك . . ويعتبر هذا المشروع من أعظم الاعمال الهندسية فى العالم القديم .

وقد رأى الملك أن البعثات التى تذهب الى سيناء تعاني مشاق جسيمة من وعورة الطريق وجفاف الصحراء فعمل على إنشاء مساكن للعمال وحفر الآبار وأقام القلاع لصده هجمات البدو ، ووضع المناجم تحت اشراف رؤساء فرض على كل منهم مقدراً ثابتاً من المعادن المستخرجة يدفعه كضريبة للحكومة فانتظمت بذلك حال المناجم وصارت مورداً ثابتاً من موارد الدولة .

وفى عهده أقيم مقياس للنيل حيث كان الموظفون يسجلون إرتفاع الماء وانخفاضه فى نهر النيل على صخور قلعة " سمنا " عند الشلال الثانى " وكان هذا المقياس كبير الفائدة إذ تستطيع به الحكومة مراقبة النهر ومعرفة مدى فيضانه ويساعدها هذا فى تقدير ما تنتج الأرض من محصول ، وما ينبغى أن يفرض عليها من ضرائب ، ولاتزال البيانات التى سجلها المصريون فى ذلك العصر باقية الى اليوم .

كما بنى أمنمحات الثالث قصراً ضخماً عند " هواره " على مقربة من السد الذى أقامه يبلغ طوله حوالى ألف قدم وعرضه ثمانمائة قدم واتخذ موقراً للحكومة ، وكان يشتمل على حجرات تبلغ فى عددها عدد أقسام مصر الادارية ، ومنه كانت تدار البلاد عامة .، ويبدو أن كثرة غرفه وتعدد طرقاته اكسبته فيما بعد اسم " لابيرونته " - Labyrinth ' تشبيهاً بقصر لابيرونته الكريتى المذكور فى الروايات الخرافية لتشعب مرقه وحجراته . وقد عرف هذا القصر ايضاً بقصر التيه لتعدد طرقاته بشكل غير عادى ، ولم يبق منه الآن سوى بعض أحجار بالقرب من هرم اللاهون .

وقد ذكر أحد المؤرخين القدماء الذين زاروا هذا القصر العجيب أن سقف كل حجرة من حجراته كان من حجر واحد ، وكذلك أرضها ، ولم يستعمل فى بنائه خشب أو ماشابه من مواد العمارة .

وظل أمنمحات الثالث يحكم البلاد حوالى خمسين عاما نعمت فيها البلاد من جنوبيها الى شمالها باليسر والرخاء . ولما مات دفن فى هرمه بجهة دهبشور .

أول ثورة في التاريخ * * *

الهكسوس شعب أسيوى أغار على مصر واستولى عليها ما بين عامى ١٧٨٨ ، ١٥٨٠ قبل الميلاد فى وقت ضعفت فيه الاسرة الثالثة عشرة بسبب الحروب والخلافات ، وجعل الهكسوس ملوك الاسرة الرابعة عشرة تحت سلطانهم ثم كونوا بأنفسهم ملوك الاسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة .. ومن المرجح أن الهكسوس شعب سامى كان يحكم سوريا وفلسطين وكان تفوقهم فى فنون الحرب سبباً لهزيمة المصريين بمعرفتهم العجلات الحربية التى كانت تجرها الخيول التى استعملت فى هذا الوقت لأول مرة فى التاريخ ، وكانت تخترق صفوف المشاة وتوقع فيهم الخلل والاضطراب ، وكان لهذا التفوق أثر كبير فى هزيمة المصريين .. فقد كانت مفاجأة واختراع كبير فى ذلك الوقت .

وقد اتخذ الهكسوس من افاريس أو هواره بالقرب من بحيرة المنزلة عاصمة لهم لتكون وسط بين مصر وأملاكهم فى فلسطين وسوريا .

وتميز حكمهم باستعباد المصريين وإساءة معاملتهم وهدم معابدهم والاعتداء على الاهالى ، وبإدلالهم المصريون هذا العداء ، غير أنه غلب عليهم التمدين المصرى بعد ذلك وحاولوا التمصر وأحسنوا معاملة المصريين وعبدوا معبوداتهم ، وقلد ملوكهم الفراغة ، وبنوا المعابد على الطراز المصرى ، ومع ذلك فقد ظل المصريون ينظرون اليهم نظرة الاحتقار لما لا يقدرون على بلدهم .

وفى حوالى عام ١٦٠٠ ق.م ظهر بطيبة أمراء مصريون عظام يعدهم المؤرخون ملوك الاسرة السابعة عشرة ، وعملوا على تخليص البلاد من الهكسوس وحاولوا إستمالة بقية الأمراء لديهم .. ولما سمع الهكسوس بنهوض طيبة حاولوا القضاء عليها قبل أن يستقبح الأمر ، فأخذ ملك الهكسوس يحثك بأمر طيبة ويخلق الأسباب للحرب ، ومن ذلك أنه أرسل اليه رسولا ينبئه بأن صوت عجل البحر الذى يعيش فى نهر النيل قرب طيبة يزجه وهو على بعد مئات الاميال فى افاريس .

ولما كان عجل البحر هذا حيوانا يقدسه المصريون ، فقد عدوا التعريض به إهانة لهم ، وبدأوا يحاربون الهكسوس ، وظلت الحرب مستعرة سنوات ، حتى تولى الملك أحمرس الأول أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة وأول من قاد ثورة ضد الاستعمار فى التاريخ .. فعمد الى التعبئة العامة وتجنيد كل الرجال ، وصيغ الحياة بالصيغة العسكرية ، وبدأ تدريب المصريين على استخدام الحصان والعربة على نطاق واسع فضلا عن استخدام الاقواس الضخمة الثقيلة ذات المدى البعيد ، وكانت هى الأخرى سلاحاً جديداً استخدمه الهكسوس عند غزوهم لمصر ، وعبأ أسطولا نهرياً واتجه شمالاً لمحاصرة افاريس عاصمة الهكسوس وهزمهم بنفس أسلحتهم .

وفر الهكسوس من مصر ، وتعقبهم أحمرس الأول فى فلسطين وحاصر مدينة "شاروهين" فى جنوبها الغربى واستولى عليها بعد حصار ثلاث سنوات ، وقام كذلك بحروب فى الشام ، وتساقطت قلاع الهكسوس حتى تشتتوا تماماً فى أقاليم الشرق ، وبدأ أحمرس يضع حجر الأساس فى الامبراطورية المصرية القديمة التى امتدت من الشلال الرابع فى الجنوب الى أعالي الفرات .

المدينة التي يوجد بها ثلث أثار العالم

* * *

الاقصر .. وتعتبر من أقدم المدن المصرية ، وإن كانت لم تبلغ ذروة الشهرة إلا في عصر الامبراطورية المصرية الحديثة عندما كانت عاصمة لمصر ، فنمت وأزدهرت وامتألت بالمباني التي أقامها الملوك والامراء المصريون والتي يرجع معظمها الى عصر الاسرات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

وقد لعبت هذه المدينة دوراً كبيراً في تاريخ مصر ، فباسم أمون إله هذه المدينة أقيمت المعابد الكبرى ، وباسمه خرجت الجيوش المصرية الظافرة تطرد المحتلين من الهكسوس ثم تفتح المدن لتقيم إمبراطورية مصرية عظيمة ..

واشتهرت بانها مدينة " المائة باب " ، كما أطلق عليها من جمال مبانيها وحسن تخطيطها وروعة معابدها اسم " مدينة المدائن " .. وكان الاسم الفرعوني لهذه المدينة (واست) ثم أطلق عليها اليونانيون اسم طيبة ، ولما دخل العرب مصر ورأوا ما فيها من عمارت حسبرها قصوراً فاطلقوا عليها الاقصر .

ويوجد بالاقصر أعظم أثار العالم القديم وفي مقدمتها على الضفة الشرقية للنيل معبد الاقصر وهو مكون من إضافات متعددة في العصور المتتالية لاغلب فراغة مصر العظام لدرجة أن طوله الجانبى أصبح ٢٦٠ متراً ، وتبلغ مساحته أربعة أفدنة ، وقد شيده أمنحتب الثالث ثم جاء بعد ذلك رمسيس الثانى وبنى أمامه البهو الكبير والتماثيل والمسلتين اللتين نقلت إحداهما الى باريس بميدان الكونكورد ، كما أضاف من جاء بعده من الملوك إضافات أخرى .

والى شمال معبد الاقصر تقع المجموعة الفسيحة للمباني المقدسة والتي تعرف بالكرنك (أى القرية الحصينة) وقلب هذه المجموعة يوجد معبد أمون الكبير (أكبر معبد فى العالم أجمع) ومن خلال معبد الكرنك تظهر صورة واضحة للتاريخ المصرى خلال ألفى عام تبدأ من الدولة الوسطى حوالى ٢٠٠٠ ق م وحتى عهد بطليموس الحادى عشر ، وتبلغ مساحة معابد الكرنك حوالى ٦٢ فداناً وبديء فى تشييده ليكون

مقراً لعرش آمون وفيه كانت تقام الصلوات والاحتفالات بالاعباد ، وقد أضيفت اليه معابد أخرى لبعض الارباب مثل معبد " موت " زوجة آمون و " خنسو " بن آمون وبتاح و" اوزوريس " وغير ذلك .

كما يوجد طريق الكباش الذى يصل بين معبدى الاقصر والكرنك ، كما تضم الاقصر صالة الاعمدة الكبرى التى شيدها ثلاثة ملوك عظماء هم رمسيس الأول ورمسيس الثانى وسيتى الاول والمكون من ١٢٤ عموداً تزينها نقوش دقيقة تليها مسلة الملك تحتمس الاول ثم السلطان اللتان اقامتهما حتشبسوت ، كما توجد منطقة البحيرة المقدسة التى شهدت احتفالات تتويج معظم الملوك .

أما على الضفة الغربية للنيل فمن أشهر آثار الاقصر مقابر وادى الملوك حيث نحت ملوك الدولة الحديثة مقابرهم فى باطن الصخر ومن أشهرها مقبرة توت عنخ آمون وأمنوفيس الثالث وسيتى الاول ، كما توجد مقابر الملكات ومن أشهرها نفرتارى زوجة رمسيس الثانى ، كما يوجد مقابر الامراء ومن أمثلتها مقبرة راموس وزير اخناتون .

كما يوجد معبد حتشبسوت وهو يعد من أعظم آثار مصر القديمة ، وقد أقيم على ثلاث شرفات تعلو كل منها الاخرى ، وسجلت على جدرانه مناظر تمثل رحلة اسطولها الى بلاد بنت ومناظر ولادتها المقدسة من الاله آمون وغيرها من المناظر التاريخية والسياسية والدينية ، والى جوار هذا المعبد يوجد معبد " مفتوحتب الثامن " من الاسره ١١ وهو أقدم معبد فى طيبة .

كما يوجد ايضا معبد مدينة هابو وهو مجموعة من المعابد التى كان يحيط بها سور من اللبن ماتزال آثاره باقية حتى الآن ، ويشتمل على بوابة عظيمة ومعبد جنانزى وقصر لرمسيس الثالث ومبان أخرى .

حتشبسوت

* * *

ابنة تحتمس الاول .. امرأة عظيمة عرفها التاريخ .. وما يذكر أن تحتمس الاول لم يكن من أصل ملكي وإنما كان يحكم البلاد نيابة عن زوجه الملكة وهي من سلالة ملوك «ليبية الذين طردوا الهكسوس من مصر ، وقد أنجب منها أميرة هي حتشبسوت ، وكان في الرقة نفسه قد تزوج من سيدتين إحداهما أميرة ولدت له تحتمس الثاني وأنجبت الأخرى ابنه تحتمس الثالث .

وإذا ماتت الملكة الشرعية التي كان يحكم البلاد باسمها ، أجبر على التخلي عن العرش لتتولاه حتشبسوت ابنة الملكة المتوفاة لأحقيتها بالملك منه ومن أخويها .. وقد تبع ذلك نزاع طويل بين الأخوة الثلاثة انتهى بتولية تحتمس الثاني الذي حكم البلاد مدة يسيرة لاتزيد على ثلاث سنوات .. وتزوجت حتشبسوت أخوها تحتمس الثاني ورزقا بابنتين ، وبوته أصبحت المسيطرة على كل شيء واتخذت لنفسها الألقاب الملكية العديدة ، على الرغم من مشاركة تحتمس الثالث لها في الحكم

وظهرت حتشبسوت على مسرح الحكم تبذل أقصى ما تستطيع أن تبذله امرأة من نشاط ، واستطاعت أن تجمع حولها رجال الدولة وبذلك أصبح حزبها أقوى الأحزاب وكانت هي القوة المحركة للعرش وصاحبة الكلمة المسموعة في البلاد ، وما لبثت أن استأثرت بالسلطة وسلبت من تحتمس الثالث شريكها في الحكم كل أمر وساعدها على ذلك صغر سنه ..

وظهرت حتشبسوت في النقوش والتماثيل وهي ملتحية بلحية مستعارة تشبها بالرجال ، ولبست غطاءاً للرأس تشبها بالملوك ، وتماثيلها على شكل أبي الهول فتراها برأس إنسان وجسم أسد رمزاً للعقل والقوة ، وقد ساد السلام والتعمير عصرها .

وأهم ماشيدته معبدها الرائع بالدير البحري بطيبة (الأقصر حالياً) على الجانب الغربي للنيل ، وسجلت عليه قصة مولدها من الإله آمون معبود طيبة والذي صار فيما بعد إله الامبراطورية بأجمعها ، وقد شيدت معبد الدير البحري في سفح جبال طيبة وبه

ثلاث شرفات مدرجة ينتهى أعلاها بساحة عظيمة مرتفعة ، وأمام هذه الشرفات أقامت سلسلة من الأعمدة الجميلة وغرست فيه ماجلبته من بلاد (بنت) من الاشجار الجميلة ..

كما أصلحت عدداً من المعابد المخربة ، وأرسلت الى بلاد بنت - الصومال حالياً - بعثة تجارية من خمسين سفينة حاملة البضائع المصرية وتمثالا للملكة نصب فى هذه البلاد ، ثم عادت السفن تحمل الاخشاب العطرية والاشجار الثمينة والابنوس والعاج والذهب والحيوانات وأمرت بنقش أخبار هذه الرحلة بارزة على جدران معبد الدير البحرى ، ولاتزال هذه النقوش من أبدع روائع هذا المعبد العظيم .

وزادت حتشبسوت جزءاً فى معبد الكرنك وأقامت مسلتين عظيمتين عند مدخله نقشت على احدهما " لقد أقمت هذا النصب لتعجب به الاجيال القادمة من بعدى " وماتزال إحدى المسلتين موجودة حتى الآن .

وحين توفيت الملكة حتشبسوت أمسك تحتمس الثالث بزمام الملك بعد أن مضى عليه منذ تتويجه اثنتى وعشرين سنة قضاها بلا نفوذ ، وعند ذلك ظهرت مواهبه العظيمة ، ومهارته الحربية التى جعلته فى عداد كبار الفاتحين فى العالم القديم ، وقد أمر تحتمس الثالث بتحطيم مايزيد على مائة تمثال لحتشبسوت كانت مقامة فى معبدها ، كما محا اسمها من بعض الآثار . ولكن لم يستطع أن يحجب عن أعين العالم ضوء عظمتها ولا أن يزعم مكانتها فى تاريخ مصر القديم .

أقدم علم مصرى

عرفت مصر الاعلام منذ عهد الفراعنة ، وإن كان العلم فى ذلك الوقت لم يكن علم دولة بقدر ماكان علم الفرعون فهو يتغير من فرعون لآخر .

وأقدم أشكال العلم المصرى كان على شكل مروحة ووجد منقوشاً على جدران الدير البحرى (معبد حتشبسوت) ولم يتمكن المؤرخون من الجزم فى مسألة اللون .. ثم وجدت عدة أعلام أخرى ، أما فى العصور التى تلت العصر الفرعونى فلا نجد علماً مميزاً لمصر لأنها كانت إحدى ولايات الامبراطورية الرومانية ، كذلك بعد أن أصبحت مصر إحدى إمارات الدولة الاسلامية فإنها كانت تتخذ علم هذه الدولة فكان العلم الابيض شعار الامويين ، وكان العلم الاسود شعار العباسيين ، وفى الدولتين الطولونية والاخشيديية لم يكن هناك علم خاص بمصر بل ظلت تحت العلم العباسى الاسود اللون .

أما الفاطميون فقد اتخذوا اللون الاخضر شعاراً لهم ، وفى الدولة الايوبية اتخذ صلاح الدين العلم العباسى الاسود مرة أخرى شعاراً له ، وفى دولة المماليك كان اللون الغالب لاعلاءهم هو الاصفر .. وبعد الفتح العثمانى لمصر وجدت اعلام كثيرة بعدد مراكز القوى ، فالوالى المعين من الباب العالى كان يرفع العلم العثمانى الاحمر ومن جهة أخرى احتفظ زعماء المماليك كل منهم بعلمه الخاص المتميز اللون والشعار لكل أمير .. وفى حكم محمد على وبعد القضاء على المماليك أصبح العلم الاكثر انتشاراً هو علم الدولة العثمانية الاحمر اللون ، وفى عام ١٨٢٦ جعل محمد على للعلم المصرى نجمة ذات خمسة اطراف بدلا من النجمة ذات الاطراف الستة التى كانت فى العلم العثمانى .

وفى عهد الخديو اسماعيل أصبح العلم المصرى يشتمل على ثلاثة أهله وبداخل كل هلال نجمة خماسية كلها من اللون الابيض ، واحتفظ العلم باللون الاحمر ، ولكن مصر عادت عام ١٨٨٢ مرة أخرى الى العلم القديم الى أن وضعت البلاد تحت الحماية البريطانية عام ١٩١٤ نظراً لقيام الحرب العالمية الاولى فأعيد العلم الذى استحدثه الخديو اسماعيل .

وفى ثورة ١٩١٩ حمل الثوار المصريون علماً أخضر اللون بداخله هلال يتوسطه صليب باللون الابيض كناية عن وحدة المسلمين والاقباط - وفى عام ١٩٢٣ بعد إعلان الاستقلال وإعلان مصر دولة ملكية ظهر علم أخضر اللون يتوسطه الهلال وثلاثة نجوم خماسية بيضاء اللون ، واستمر هذا العلم دون تغيير حتى عام ١٩٥٨ وإن كان وجد علم آخر أطلق عليه علم التحرير ذو الالوان الثلاثة الاحمر والابيض والأسود لكن لم يكن له وجود رسمى وإنما كان يرفع فى المناسبات الشعبية حتى قامت الوحدة بين مصر وسوريا فاتخذ هذا العلم اساساً للدولة الجديدة مع اضافة نجمتين خماسيتين خضراوتين فى المستطيل الابيض رمزاً لكل من دولتى الوحدة .

واستمر هذا العلم حتى قامت الوحدة بين مصر وسوريا وليبيا فى ديسمبر ١٩٧١ فتم إبدال النجمتين بصقر ناشراً جناحيه ويكتب اسم دولة الاتحاد أسفل الصقر ، وفى اكتوبر ١٩٨٤ انسحبت مصر رسمياً من إتحاد الجمهوريات العربية وبناء عليه تغير الى علم جمهورية مصر العربية وهو نفس العلم السابق مع وضع نسر مكان الصقر .

أول ملك اقام إمبراطورية مختلفة الشعوب

* * *

تحتتمس الثالث الذى يعد بلا منازع أول قائد عظيم عرفه العالم ، أقام أقدم إمبراطورية مختلفة الشعوب فى التاريخ امتدت من أعالي نهر الفرات الى الشلال الرابع على النيل .. بدأ حكمه حوالى عام ١٥٠٤ ق.م - ١٤٥٠ ق.م أى حكم مصر ٥٤ عاما ، وعلى جدران معبد الكرنك قصة ١٧ غزوة أخضع فيها مدن وممالك أسيا الغربية ، وبنى أول أسطول حربى عرفه التاريخ واستطاع به أن يمد نفوذه حتى بحر إيجه ، حيث أقام أحد قواده حاكماً عليها ، وقد شملت فتوحاته مدن مجو قادش نينوى وخضع له أمراء بلاد النهرين وملك بابل .

وإذا كان أحمس الاول قد أجلى الهكسوس عن البلاد ووضع أساس أول إمبراطورية مصرية فإن تحتتمس الثالث هو الذى مد سلطانها وثبت دعائمها وحررها من التهديد الاجنبى وجعل منها أعظم امبراطورية .. فبعد موت حتشبسوت ورث العرش ونهض يفرغ ما اختزنه من دراسة وأفكار وساعده على ذلك وجود جيش مدرب وبلاد غنية وعدو يتربص بها ، حتى أنه لم تمض أسابيع على توليه العرش حتى قاد جيشه الى ساحات القتال فى موقعة (مجنو) أولى غزواته .

ذلك أن الهكسوس على أثر خروجهم من مصر كانوا يقيمون فى الاقطار المجاورة ويتحينون الفرصة للعودة الى مصر ، وأعلن العصيان والانفصال عن الامبراطورية المصرية فى بعض الولايات وتجمعت فى حلف كبير بقيادة ملك قادش (١٠٠ ميل شمال دمشق) فوضع تحتتمس خطة لغزو هذه البلاد وتأديبها .. وصحب تحتتمس لأول مرة فى التاريخ كتاباً يؤرخون كل ما يحدث ويكتبون تقارير يومية حربية أشبه بتقارير المعارك الحديثة وبقيت هذه التقارير شاهدة بمجد الفراعنة فى الفن الحربى .

بدأت الحملة من قاعدة القنطرة وتحركت القوات عبر الصحراء الشرقية الى فلسطين ودخلت غزة فى فترة وجيزة بمعدل اثنى عشر ميلاً ونصف فى اليوم وهو رقم يستلفت النظر خاصة فى بقاع صحراوية ولقوات أغلبها مشاة ، ومع هذا وصل الجيش

الى غزة فى المساء ، ثم أنطلق فى الصباح من جديد الى " يما " قاطعاً ثمانين ميلاً
اخرى حيث بدأت الترتيبات لدخول المعركة .

وللمرة الاولى فى التاريخ عقد تحتمس الثالث أول مجلس حربى لاستشارة قواده
فى وضع تفاصيل الخطة ، وقد وجد محضر الاجتماع منقوشاً على الآثار القديمة ،
وكان هناك ثلاث طرق اختار تحتمس الثالث أقسامها على غير مايتوقع العدو من أجل
تحقيق مبدأ المفاجأة فى خطته وأصدر بياناً يعلن فيه انه سيكون على رأس جيشه فى
المقدمة .

وعبر الجيش المر الضيق بما فيه من عقبات ومرتفعات وبدأ تحتمس الثالث ينشر
قواته بينما كان العدو يرقب الطرق الاخرى ويحشد قواته امامها ، ولهذا كانت الصدمة
الاولى قوية أطاحت بمعنويات العدو ومادياته فى رادى " قنا " حتى أن القوات لم
تستطيع أن تثبت أو تقاوم عنف الضربات وما انتشر فى صفوفها المنهزمة من فزع
واضطراب .

وكان تحتمس الثالث قد نظم قواته للمعركة بأن جعل للجيش قلباً وجناحين (لأول
مرة فى التاريخ) وأرسل أمام الجيش مقدمة دفع منها وحدات استكشافية كأحدث
تعاليم الحرب الحديثة ، وقد حقق بذلك ثلاث مبادئ هامة هى المفاجأة والوقاية والمقاتل
الهجومى .. وحقق فوزاً كبيراً جعل جيوش الأعداء تفر الى مجنوح حيث حاصرها سبعة
أشهر استسلمت بعدها صاغرة .

وقد اقتفى عظماء القادة فيما بعد أثر خطط موقعة مجنو ، حيث عبر هانيبال
ونابليون جبال الألب الصعبة ، واختار مونتجمرى أقوى النقاط فى دفاع المحور عند
العلمين وركز هجومه عليها ، ثم عادت موقعة مجنو للوجود مره أخرى بعد (٤٥٠٠
سنة) وجرت على ذات الطريق الذى سار عليه تحتمس الثالث ذلك أن الجنرال اللبى
تسج على منواله حين كان يدفع الجيش التركى فى بقاع سوريا عام ١٩١٨ حيث
هزمهم فى نفس المكان مستوحياً خطة تحتمس الثالث .

وتظهر عبقرية تحتتمس الثالث مرة أخرى في ابتكار الخطط مما جعله على رأس الفاتحين من حيث العبقرية والذكاء فقد فكر في بناء سفن حربية لنقل جيشه عبر نهر الفرات حتى يسهل عليه اتمام الفتح ولكنه خشي من صناعتها في أراضي العدو الذي ربما أفسد عليه خطته ، ولذلك بنى سفنه قطعاً متفرقة ثم ابتكر لها عربات من نوع خاص تجرها الثيران حتى شاطئ الفرات حيث ركبت أجزاءها ونفذ بذلك خطته ، ووصل الى قرميش على الضفة الغربية لنهر الفرات حيث انتصر على جيوش دولة "ميتاني" التي تقع في أعالي ذلك النهر ودخل بلادها .

وقد اقتفى المارشال مونتمجري بعد آلاف السنين أثر خطة تحتتمس الثالث عندما عبر نهر الراين على سفن جىء بها برأ على غرار ما فعل تحتتمس الثالث .

ولم تكن حروب تحتتمس الثالث برية فحسب بل اشتملت على حروب بحرية ، وكان أول قائد في العالم يضع خطة مشتركة تتعاون فيها قوات البر والبحر بتوقيت دقيق وتعاون متبادل ، فاستخدم أسطولا كبيراً للنزول في ساحل فينقيا متخذاً من ذلك الساحل قاعدة تبدأ منها عملياته في بلاد النهرين وهي خطة لم يسبقه اليها أحد .

وقد بلغت غزواته سبع عشرة غزوة تمكن خلالها من توسيع أملاك مصر توسيعاً يفوق كل ما سبقه ومن تعزيز سلطانها في تلك الجهات حتى لم يجرؤ حاكم اسيوى بعد ذلك على أن يشق عصا الطاعة على هذا الملك المصرى العظيم .. وبعد أن فرغ من حروبه الاسيوية وجه همته الى بلاد النوبة فثبت فيها حكم مصر حتى الشلال الرابع .. وكانت سياسته في حكم هذه الامبراطورية الواسعة ترمى الى توطيد الحكم المصرى فاستبدل بالامراء غيرهم ممن كانوا أكثر ولائاً وإخلاصاً وأقام الى جانبهم موظفين مصريين وجامعات عسكرية مصرية ، واخذ أبناء الامراء ليربيهم في البلاط الفرعونى على التقاليد المصرية حتى يضمن لمصر ولاء هذه الولايات .

وقد أقام تحتتمس الثالث لوحة تذكارية في الجهة الغربية من نهر الفرات بجوار أثر تحتتمس الأول لتكون بمثابة آخر نقطة وصلت اليها فتوحه في الشمال ، أما في الجنوب فقد حدد فتوحه ايضا بلوحة من الجرانيت أقامها عند جبل " بركال " على مقربة من مدينة " نباتا " .

ومن أهم آثاره مسلتان عظيمتان أقامهما في عين شمس ثم نقلتا إلى الاسكندرية
واحداهما الآن بلندن والاخرى بنيويورك .

السراييوم * * *

كان يوجد فى منطقة سقارة بالجيزة مدفن كبير للعجل " أبيس " الذى كان يقدسه المصريون القدماء ، ويطلق على هذه المقبرة اسم " السراييوم " وقد اشتق القدماء اسم مكان دفن العجول المقدسة من الاله " أوزير حابى " الذى شبهه البطالمة بالههم " سيرايبس " ، أما كلمة " يوم " فمعناها ساحة أو مكان ، ومن هنا جاءت كلمة سراييوم.

وهذه المقبرة محفورة فى الصخر ويبلغ طول ممراتها ١٩٥م وتوجد بها قبور العجول عن اليمين واليسار ، وكان يتم تحنيط وتزيين العجل أبيس بعد موته كأحد الملوك ، ويوضع فى تابوت ضخمة من الجرانيت يبلغ وزنه حوالى ٦٥ طناً .

بدأ حفر السراييوم حوالى عام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، واستمر الدفن فيه حتى القرون الاخيرة قبل الميلاد .. وفى عام ١٨٥١م اكتشف عالم الآثار الفرنسى أوجست مارييت السراييوم ، ووجد بداخله عدد كبير من التوابيت وزن كل تابوت حوالى ٦٥ طناً تقريباً ، وهو مصنوع إما من الجرانيت الازرق القاتم أو الوردى الفاتح ، وطول كل تابوت ٤ X ٢٥ م وارتفاعه ٣م ويوجد جزء كبير من هذه التوابيت فى متحف اللوفر بباريس .

وقد اهتم قدماء المصريين بالعجل المقدس " أبيس " الذى ربطوا بينه وبين إله الخير " أوزير " وإله النيل فى فصل الخصب " حابى " ، وكانوا يختارونه كظاهرة لا تتكرر دائما ، وانما بعد أن يموت العجل المقدس الذى يحيا فى حظيرته بمنف عاصمة الدولة القديمة (ميت رهينة حالياً بالبدرشين) يبدأ البحث عن عجل جديد تتوافر فيه سمات مميزة وهى أن يكون مجنول شعر الذيل ، أسود اللون على جبينه شامة بيضاء مربعة ، وعلى مؤخرته ما يشبه ختماً منقوشاً كالنسر ، وتحت لسانه رسم جعران ، فإذا ما وجد هذا العجل النادر فانه يكون العجل المقدس الجديد ، وكان يعد يوم العثور عليه عيداً .. وبعد وفاته يحنط خلال ٣٠٠ يوم تقريباً ، وفى مهابة جنائزية يصعدون بتابوته ليدفن فى السراييوم .

ممنون وطريق الكباش

* * *

ممنون وطريق الكباش هو اسم لأثرين يعودان الى الملك أمنحتب الثالث من الاسرة ١٨ ، وفى عهده بلغت الامبراطورية المصرية القديمة شأنا بعيداً .. وخطب ودها الكثير من الملوك ، وصار قصر فرعون لاول مرة فى التاريخ مركز الاتصال بين ملوك ذلك العصر ، وعثر الباحثون عام ١٨٨٨م على ثلثائة رسالة فى جهة تل العمارنه مكتوبة بالخط المسماى المعروف فى أسيا فى ذلك الوقت .

وفى عهد أمنحتب الثالث أعيد تخطيط طيبة وشقت بها الشوارع المستقيمة ، وأقيمت القصور الفاخرة تحيط بكل منها حدائق جلبت أشجارها من السودان والصومال .. وزاد فى معبد الكرنك .. وأنشأ معبد الاقصر الذى أبدع المهندسون فى تنسيقه ، ومن أجمل أجزاء المعبد الدهليز ذو الاربعة عشر عموداً .. ثم وصل بين معبدى الكرنك والاقصر بحديقة طولها ميل ونصف انشأ بها طريقا على كل من جانبيه صف من تماثيل ابو الهول ، جسم كل منها شبيه بجسم الاسد ورأسه شبيه برأس الكبش ، ولهذا اطلق عليه اسم " طريق الكباش " .

وشيد معبدأ آخر فى الجهة الغربية من طيبة ، ولم يبق منه الآن سوى تماثيل هاتين كان موضعهما امام مدخل المعبد ، يربو ارتفاع كل منهما على العشرين متراً ويعرفان يتمثالى ممنون ، وسبب هذه التسمية يرجع الى أنه كانت تنبعث من أحدهما عقب شروق الشمس كل صباح أصوات عذبة حزينة وصل خبرها الى الاغريق ، فاعتقدوا أنها صوت " ممنون " أحد ابطالهم الذين صرعهم الموت امام طروادة وأنه يناجى أمه .

وفى عام ٢٧ ق.م حدث زلزال بمصر فتحطم الجزء العلوى من التمثال ، ثم أصلح فى عهد الرومان ومنذ ذلك الحين لم يعد ينبعث منه صوت .

ويعلل العلماء إنبعاث ذلك الصوت من تجمع الندى فى شقوق التمثال أثناء الليل ، وبعد بزوغ الشمس يتبخر الندى فيحدث ذلك الصوت .

أول ملك مصرى يدعو للتوحيد

* * *

اخناتون الذى قاد الثورة الدينية فى مصر بعد أن ورث الحكم عن أبيه فى الاسرة الثامنة عشرة .. وحكم البلاد مايقرب من ١٨ عاماً .. وتزوج الملكة نفرتيتى التى اشتهرت فى تاريخ الفن الفرعونى بالضجة التى احدثها اكتشاف بعثة أثرية ألمانية لتمثالها المصنوع من الحجر الجيرى الملون والذى يوجد الآن فى متحف برلين ويعتبر نموذجا رائعا للفن المصرى القديم .

رأى اخناتون أن الشمس يجب ألا تعبد لذاتها وإنما تعبد الحرارة الكامنة فيها ، إذ هى القوة التى تبعث الحياة والدفء فى كل ماعلى وجه الارض من كائنات .. واطلق على الاله الجديد اسم " أتون " .. وصار يرمز له بقرص فى السماء تنبعث منه أشعة متجهة نحو الارض تنتهى بأيد قابضة على زمام الحياة .

ونتيجة لذلك عارض كهنة الاله آمون ذلك الاله الجديد ، وناصر الملك بقية الكهنة فى عين شمس ومنف .. وتشب خلاف رهيب بن الملك وكهنة آمون وجردهم من ممتلكاتهم ، ومحا اسم آمون وصورته من جميع معابد طيبة وتمثيلها وأثارها .. وغير اسمه فبعد أن كان " امنحتب " ومعناها " آمون يستريح " غيره الى اخناتون اى " روح أتون " .. ولما فرغ من نشر مذهبه الجديد ، ورأى أن طيبة مزحمة بالمعابد التى بنيت لعباده آمون ، عزم على انشاء مدينة جديدة يعبد فيها الاله " أتون " وينقل اليها مقر حكمه .. وقد وقع اختياره على مكان يعرف الآن بتل العمارنة وانشأ فيه مدينة سماها " اخيتاتون " اى " أفق أتون " وبنى بها ثلاثة معابد فخمة قامت حولها قصور جميلة للملك والامراء .

وامتاز الفن المصرى فى عهد اخناتون بالبساطة والوضوح ، وقد نحتت المقابر فى الصخور وخلت من التعاويذ التى اعتاد المصريون وضعها الى جوار الميت .

وقد أوقف اخناتون جهوده كلها على نشر الدين الجديد ، ولم يتسع وقته للنظر فى شئون الامبراطورية العظيمة التى بذل اجداده جهوداً كبيرة فى انشائها ، حتى أن

الحيثيين بعد أن سمعوا بالثورة الدينية أخذوا يغيرون على أملاك مصر في سوريا ، وأغار البدو على جنوب فلسطين .. ولم يكن ذلك الخطر الوحيد ، حيث خرجت من مصر صعوبات عديدة تواجه أخناتون ، فالشعب المصرى لم يتخل بسهولة عن عقائده الموروثة ، وكهنة آمون لم ينسوا ما حل بهم على يد أخناتون ، والجيش عز عليه أن يرى الامبراطورية تنكمش وتنهار ، وقد اجتمعت كل هذه القوى ضد أخناتون وظل يقاومها حتى توفى .

وبعد وفاته حدث ارتداد عن هذه الدعوة الدينية الجديدة ، فبعد أن تولى سهره ' توت عنخ آتون ' الحكم أجبره كهنة آمون على العودة الى عبادة الاله آمون وغيروا اسمه الى " توت عنخ آمون " وغير العاصمة من جديد ، وترك اخيتاتون وعاد الى طيبة من جديد ، وخربت معابد آتون ، وأعيد نقش اسم آمون على المعابد والآثار .

رمسيس الثانى

* * *

حكم مصر ٦٧ عاماً .. وأطلق عشرة ملوك على أنفسهم اسمه تقديراً له .. ووقع أول معاهدة دولية معروفة فى التاريخ .. وأنشأ واحدة من أعظم المباني الصخرية فى العالم .. تدخل الشمس الى معبده مرتين فقط فى العام ، واحدة يوم مولده والثانية يوم جلوسه على العرش .. ساهمت اليونسكو فى إنقاذ معبده من الغرق تحت مياه السد العالى فى واحدة من أكبر المنجزات الهندسية الحديثة .. إنه الفرعون العظيم "رمسيس الثانى" .

تولى الحكم بعد وفاة والده سيتى الاول .. وعمل على تثبيت مركزه وتدعيم سلطانه وزيادة موارد البلاد ، ولم تك أعماله هذه سوى مقدمة لعمل آخر أعظم شأنه هو إستعادة الامبراطورية الآسيوية وإرجاع مكانة مصر الى ما كانت عليه فى عهد أجداده .. ورأى أن الحيثيين قد ملكوا معظم الشام واستولى ملكهم على قادش مركز النفوذ المصرى فى سوريا ، فعزم على إستعادة أملاك مصر ، ودخل فى حروب مع الحيثيين لمدة دامت حوالى ١٥ عاماً .

وكان أن كون رمسيس الثانى جيشاً قسمه الى أربع كتائب ، واتبع طريقة تحتتمس الثالث ، فبدأ أولاً باخضاع مدن الشاطئ لیتخذها قاعدة للتحركات الحربية ، وبعد قليل سار على رأس كتيبة ونصب معسكره قرب قادش ، فأرسل ملكها اثنين من البدو أوهمهما رمسيس أن الحيثيين تتهقروا شمالا الى حلب ، فأنخدع رمسيس لعدم عثوره على أثر للعدو ، وتقدم بلا حيلة نحو قادش ، فخرج ملك الحيثيين فجأة وأباد جزءاً كبيراً من احدى الكتائب وفر من نجا الى خيام رمسيس .

وفى تلك الساعة الرهيبة ركب رمسيس عجلته الحربية وحاول أن يخترق صفوف الاعداء بعد أن فصلوا بينه وبين معسكره ، واندفع بكل مايملك من بسالة وإقدام ، واستمر يقاوم ثلاث ساعات حتى لحقت به بقية جيوشه فنجأ من الخطر ، وانسحب الحيثيون الى قادش بعد أن تكبد الفريقان خسائر فادحة .

واعتبرت هذه المعركة نصراً لرمسيس الثانى فعلى الرغم مما أحاط به من أخطار ،

استطاع بشجاعته الفذة أن يمنع الهزيمة ويجبر الاعداء على الانسحاب ، مما جعل الفنانين يصورون الواقعة على جدران المعابد ، وجعل الشعراء يصفون وقائع الحرب خالعين على رمسيس الروعة والجلال ورموا قائد الحيثيين بالجبن .

وبعد ذلك أخذ الحيثيون يثيرون الآسيويين على الحكم المصري ، فعاد رمسيس إليهم من جديد واخضع فلسطين ثم هزم الحيثيين ودانت له بلاد النهرين وشمال سوريا ، وتجددت الحروب مع الحيثيين حتى سئم الجميع القتال ، وكان ملك الحيثيين قد مات وخلفه أخوه ، وعندئذ وقع رمسيس الثاني معاهدة مكتوبة وتعد أقدم معاهدة دولية معروفة في التاريخ .. وتزوج رمسيس من ابنة ملك الحيثيين وأحضرها أبوها إلى مصر مما وثق أواصر الصداقة بين الأمميتين .

ونقل رمسيس مقر ملكه إلى الوجه البحري ، وبقيت طيبة العاصمة الدينية للبلاد ، وأدى ذلك إلى إنتعاش مدن الوجه البحري ، فأصبحت تنيس مدينة زاهرة ، وشيد بها معبداً من أفخر المعابد ، وشيد رمسيس عدداً عظيماً من المباني في جميع أنحاء البلاد ، فقد أضاف الكثير إلى معبد الكرنك وبهو أعمدته بالاقصر ، وأقام ١٠٠ مسلة نقل بعضها إلى أوربا ، كما أقام التماثيل الضخمة التي تزن مئات الأطنان ، وقد نقل أحد هذه التماثيل وأقيم في ميدان رمسيس بالقاهرة ، ومات بعد أن حكم مصر ٦٧ عاماً وكان عمره قد بلغ التسعين .

ومن أعظم أعمال رمسيس الثاني على الإطلاق إنشاء معبدى أبو سمبل ، وهما من أعظم المعابد الصخرية في العالم ويقعان على الضفة الغربية للنيل تجاه بلدة أبو سمبل في قلب ربوة من الصخر مشرفة على النيل على بعد ٢٨٠ كيلو متر من جنوبي اسوان .

أما المعبد الأول وهو " المعبد الكبير " فقد نحته رمسيس الثاني في قلب ربوة من الصخر للاله " حور أختي " ويبلغ ارتفاعه عن سطح الأرض ٢٠ متراً وعرضه ٣٦ متراً ويمتد ضارباً في الصخور ٦٠ متراً أخرى .. وقد جعله في هيئة صرح مشرف على النهر تحرسه أربعة تماثيل عظيمة لرمسيس يبلغ إرتفاع كل منها ٢٠ متراً تمثل فرعون جالساً وعلى رأسه التاج ، وأبرز الحية المقدسة من جبهته متحفزة يكاد السم ينطلق من فمها .

ويحتوى المعبد على قاعدة للاعمدة بها ثمانية أعمدة ، أبرز البناء على وجه كل عمود تمثالا لفرعون فى هيئة الاله اوزيريس ، وعلى جدران هذه القاعة وعلى صفحات الاعمدة مناظر مختلفة أهمها مايصور معركة قادش فى كافة مراحلها .. وحول هذه القاعة عدة غرف مليئة بالنقوش البديعة ، وتلى هذه القاعة قاعة أخرى أصغر منها بها أربعة اعمدة وعلى جدرانها صور دينية تمثل رمسيس يقدم القرابين للالهة وخصصت جوانب هذه القاعة لحفظ القرابين .

وتؤدى القاعة السابقة الى قدس الاقداس - وهى واحدة من أعظم المنجزات الهندسية فى العالم على الاطلاق - حيث يوجد بها أربعة تماثيل احدهما للاله " رع حور أختى " والثانى " لامون رع " إله طيبة " ، والثالث " لبتاح " اله منف أما الرابع فهو لرمسيس الثانى .. وفى يومين محددين من كل عام وهما يومى مولد رمسيس الثانى ٢٢ فبراير ويوم جلوسه على العرش ٢٢ أكتوبر ، تدخل الشمس فى ساعة محددة لتسقط ضوءها على وجه تمثال رمسيس الثانى طبقاً لحسابات جغرافية وفلكية وشمسية بالغة الدقة .

ومن الجدير بالذكر أنه عندما تم التفكير فى بناء السد العالى ثم نقل معبدى أبو سمبل من مكانه ، وأسرعت جميع دول العالم من خلال منظمة اليونسكو فى المشاركة فى إنقاذ المعبد من الفرق تحت مياه البحيرة التى يكونها السد فى واحدة من أكبر المعجزات الهندسية فى التاريخ البشرى ، وقد تم تقطيع معبدى أبو سمبل الى ٩٦٣ قطعة يبلغ أقصى وزن لاية واحدة منها ٣٠ طناً ، وتكلفت هذه العملية حوالى ٤٠ مليون دولار .. وقد تولت أجهزة الكمبيوتر ترقيم الاجزاء لضمان تسهيل إعادة تركيبها مرة أخرى فى أعلى الجبل بعيداً عن متناول مياه بحيرة السد العالى ، واستغرق هذا العمل الضخم ٤ سنوات تم فيها بناء المعبد فى قلب جبل صناعى ..

كما بنى رمسيس الثانى معبداً آخر الى الشمال من المعبد الكبير وهو أصغر منه .. وقد نحته رمسيس للمعبودة (حتحور) وجعل معها زوجته الاولى (نفرتارى) ، والمعبد كله منحوت فى الصخر كالمعبد السابق ، وقد زينته واجهته بستة تماثيل أربعة منها للملك وإثنان للملكة فى هيئة المعبودة حتحور ، ويؤدى المدخل الى قاعة فسحة يرتفع

سقفها فوق ستة أعمدة ضخمة جعلت على هيئة رأس المعبودة حتحور ، وتزدان جدران القاعة بمناظر يمثل بعضها فرعون يضرب اعداءه ، وبعضها يمثل فرعون وزوجته يقدمان القرابين للآلهة ، ثم تؤدي هذه القاعة الى قدس الاقداس حيث يوجد تماثيل لحتحور ، وجدران هذه الغرفة منقوش عليها مناظر دينية تمثل فرعون وزوجته يقيمون ببعض الطقوس الدينية امام حتحور .

ومما يذكر أن الفنان الايطالى الكبير رفائيل عندما زار مصر ورأى تماثيل نفرتارى فى معبد أبو سمبل قال " إنها أعظم تماثيل لامرأة على وجه الارض " .

أقدم معاهدة مكتوبة فى التاريخ * * *

تعتبر المعاهدة التى أبرمت بين " رمسيس الثانى " فرعون مصر و " خاتوسيليس الثالث " ملك الحيثيين عام ١٢٧٨ قبل الميلاد ، أقدم معاهدة مكتوبة عرفت فى التاريخ بين دولتين على قدم المساواة ، وقد وصلت إلينا كاملة النصوص بفضل النسخة المصرية التى عثر عليها فى تل العمارنه عام ١٨٨٦ م ، وصورها المنقوشة على جدران معبد الكرنك ومعبد الرمسسيوم والنسخة الحيثية التى وجدت فى بوزاز " كوى " فى الأناضول عام ١٩٠٦ .

ومما تجدر ملاحظته أنه على غير المؤلف فى المعاهدات المعاصرة ، فإن النص المصرى ليس مطابقاً تماماً للنص الحيثى ، حيث أنه ذكر أن الملك الحيثى أرسل رسلاً الى رمسيس الثانى لطلب الصلح بينما يذكر النص الحيثى العكس ، ويبدو أن الهدف من ذلك هو أن يحفظ كل من الملكين كرامته أمام شعبه .

ولم يرد فى المعاهدة تعيين للحدود التى تفصل بين أقاليم كل من الدولتين بخلاف المعاهدات الحديثة التى تنص على ذلك نصاً وافياً ، وتحديث المعاهدة عن مبدأ الدفاع المشترك ضد أى عدوان خارجى يقع على احدى الدولتين وفيها إلزام بتبادل المساعدات إذا قامت إضطرابات داخلية فى احدى المملكتين ، وتتناول كذلك مسألة تسليم اللاجئين السياسيين لبلادهم ووضع قواعد خاصة بحسن معاملتهم عقب ترحيلهم الى وطنهم .. كما ذكرت المعاهدة أسماء من شهدوا توقيعها ولكنهم ليسوا أفراداً كما هو الوضع فى المعاهدات الحديثة وإنما هم آلهة من معبودات الدولتين ، ويبدو أن الهدف من ذلك هو أن يصبح نقض المعاهدة أو الخروج على نصوصها إثماً كبيراً يغضب الآلهة .

الفراعنة يعلمون العالم الرياضة * * *

تؤكد الشواهد والدلائل التاريخية العديدة التي تركها قدماء المصريين على سبقهم في تقديم عدد من أهم الألعاب الرياضية للعالم .

حيث تؤكد النقوش التي تركها الفراعنة القدماء بين آثارهم أن أصل المبارزة كان مصرياً ، حيث اكتشف في مقبرة " بتاح حتب " في سقارة رسومات واضحة المعالم لمبارزة استخدم فيها السلاح .

ويرجع التاريخ أول مباراة في السلاح الى عصر رمسيس الثالث ١١٩٠ قبل الميلاد ، وفي معبد بمدينة جويبا القريبة من الأقصر توجد النقوش التي توضح تاريخ هذه المباراة ، ويرتدى المتنافسان قناعين للوجه ، ويوجد بينهما حكم المباراة ويصطف حولهما جمهور كبير يصفق للفريقين .

وقد نقل قدماء المصريين هذه الرياضة الشيقة الى مختلف بقاع العالم ، وكانت رياضة السلاح هي الرياضة الأولى التي مثلت مصر في الدورات الأولمبية عام ١٩١٢ لتسبق بذلك كل الألعاب الجماعية والفردية ، والتي بدأت تدخل الألعاب الأولمبية بعد ذلك تباعاً اعتباراً من دورة انفرس عام ١٩٢٠ .

وتؤكد الدلائل التاريخية بأن الأصل في كل رياضات السباحة كان مصرياً فرعونياً ، ومدينة الأقصر خير شاهد على ذلك من خلال آثارها التي تضم البحيرة المقدسة التي تعتبر أقدم حمام سباحة في العالم ، وكانت مياهه تستمد من المياه الجوفية ، وكان الفراعنة يمارسون السباحة في هذه البحيرة وبخاصة في مناسباتهم واحتفالاتهم بالاعیاد ، ويؤكد عمق البحيرة الذي يزيد عن طول الإنسان العادي أنهم أجابوا السباحة في ذلك الوقت .

وفي منطقة العراة بسوهاج توجد رسومات على معبد رمسيس يمارس فيها الفراعنة هذه الرياضة وكذلك في منطقة بنى حسن بالمنيا ، وفي عهد الأسرة الحادية عشرة كانت السباحة ضمن الرياضات التي نقشت على جدران القبور والمعابد .. وقد

نقل الاوربيون بعضا من آثار المصريين الى متاحفهم بالخارج والتي تؤكد ممارسة الفراعنة للسباحة وعلى رأسها النقوش الموجودة بمتحف بوشكين بموسكو من عهد الاسرة الثامنة عشرة .

كما تؤكد جميع المؤشرات أن مصر كانت مهد رياضة المصارعة شأن العديد من الرياضات الفردية الأخرى ، ففي منطقة بنى حسن توجد نقوش الفراعنة وهم يؤدون مسابقات المصارعة ويرجع تاريخها الى الاسرة الحادية عشرة ، كما وجدت بعض اللوحات والتي ترجع الى الاسرة العشرين وتوجد بها رياضة المصارعة ، كما تؤكد بعض الآثار المصرية الموجودة الآن فى متاحف اوروبا أن ميلاد المصارعة كان مصريةا خالصاً ومنها الرسوم الموجودة فى متحف جامعة مانشستر بإنجلترا .

ويعد الهوكى من الرياضات التى عرفها الانسان منذ قديم الازل ، وأصل فكرتها ضرب الكرة بواسطة عصا يمسكها اللاعب بيده وأخذت تتطور مع الزمن الى أن أخذت شكلها الحالى .

وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية بمصر من خلال الرسوم الفرعونية التى عثر عليها بمقابر قدماء المصريين أن الفراعنة هم أول من مارس اللعبة ، ففي مقبره (خيتى) ببنى حسن بالقرب من المنيا (١٩٩١ قبل الميلاد) وجدت رسوم عبارة عن لاعبين كل منهما يمسك بعصا ويواجهان بعضهما ويؤديان مايشبه ضربة البداية فى لعبة الهوكى ، وفى ١٩٤٢/١٢/٧ اسس الاتحاد المصرى للهوكى ، وهو أول اتحاد عربى وأفريقى للهوكى .

وطبقاً للدالة المتوافرة لدى الباحثين ثبت أن المصريين القدماء كانوا أول من مارس ألعاب القوى كرياضة لها أسس وأصول ، ففي منطقة سقارة بالجيزة توجد مقبرة (بتاح حتب) ويوجد على جدرانها ثلاث لوحات تمثل بعض مسابقات ألعاب القوى كالجرى والوثب والرمى .

وكان قدماء المصريين أول من مارس رفع الاثقال كرياضة فى العالم ، فالنقوش المرسومة على مقابر بنى حسن بها صور لأكياس من الرمال كان المصريون يتبارون

على رفعها بيد واحدة ثم إلقائها خلف رؤوسهم وترجع هذه النقوش الى حوالي عشرين قرناً قبل الميلاد .

وكانت مصر هي أول دولة افريقية تمارس اللعبة كرياضة وتتنافس بها أوروبا وأمريكا ففي نهاية القرن التاسع عشر وحين كان رفع الاثقال في عصره البدائي في أوروبا كانت هذه الرياضة متألفة في مصر ونقلته عنها الجاليات التي كانت بها في ذلك الوقت.

أشهر أوبرا في العالم .. مصرية

هناك أكثر من ٣٠ أوبرا عالمية كتبت بقصة مصرية ، ولكن أشهرها جميعاً أوبرا عايدة .. فقد كلف الخديو اسماعيل الأثرى الفرنسي أوجست مارييت لكي يختار قصة مصرية تصلح موضوعاً لافتتاح أول دار أوبرا في أفريقيا وهي دار الأوبرا المصرية التي بنيت بمناسبة افتتاح قناة السويس .

وعثر مارييت فوق أوراق البردي في مدينة منف على قصة الحرب بين مصر والحبشة ومن هنا ولدت قصة أوبرا عايدة .. وتقاضى الموسيقار فيردى (أشهر موسيقى في عصره) ١٥٠ ألف فرنك ذهباً مقابل وضع الموسيقى مع حق استغلال الأوبرا في جميع أنحاء العالم ، وكتب اشعار الأوبرا الشاعر الإيطالي انطونيو جيزا لانزوني " وهو من أشهر شعراء القرن التاسع عشر ، وصممت ملابس الأوبرا في باريس ..

وعندما اقترب موعد افتتاح قناة السويس تعلق فيردى بأن المناظر لم تنته بعد ، وبناء على ذلك اختيرت أوبرا ريجوليتو لفيردى أيضاً ، ووعد فيردى بأن يكون الافتتاح العالمي لعائدة في القاهرة .. وبذلك تكون أوبرا ريجوليتو هي أول أوبرا عرضت في مصر عند افتتاح دار الأوبرا المصرية في أول نوفمبر ١٨٦٩ ، ومن المعروف أن فيردى قدم هذه الأوبرا لأول مرة في أوبرا البندقية عام ١٨٥١ .

وفي ٢٤ ديسمبر ١٨٧١ م قدم في دار الأوبرا المصرية العرض الأول لأوبرا عايدة التي تمثل الأوبرا الإيطالية في أوج مجدها ، وقد فاقت في غنائيتها وسلاستها أية أوبرا أخرى ، وقد تحدى فيردى بهذه الأوبرا جميع التقاليد الموسيقية بما أسبغه عليها من تسلسل الأحداث والحبكة الدرامية ، وقد صور فيها بالموسيقى العواطف الانسانية المتباينة في مواقف متناقضة تصويراً واضحاً على نحو نادر ..

وتدور أحداث أوبرا عايدة بالتحديد في منف وطيبة ، وتجري وقائعها في عصر الحروب الكبرى بين قدماء المصريين والاحباش وتدور حول عايدة ابنة ملك الحبشة التي أسرها المصريون في إحدى المعارك لتصبح جارية " امنريس " ابنة ملك مصر دون ان يعرفوا حقيقتها ، ويقع في غرامها " رادميس " قائد القوات المصرية ويعيش معها قصة

حب ، وذلك فى الوقت الذى كانت تعشقه فيه (أمنريس) وتظل الامور على ماهى عليه حتى يكلف المسلك (رادميس) لقيادة الجيوش المصرية لصد غزو الاحباش ويتمكن رادميس من هزيمة جيوش الحبشة وأسر ملكهم (او مانصرو) والد عايده ، وهنا يكافئ الملك رادميس قائد الجيوش المصرية باعلان زواجه من إبنته (امنريس) .

وبينما يعلن الكل فى مواكب احتفالات النصر هذا الزواج تفاجأ عايده بأن والدها الملك بين الاسرى متكرراً حتى لايعرفه أحد من المصريين ، ويطلب منها عدم الافصاح عن شخصيته لكى ينتهى من تنفيذ خطته التى وضعها للهروب والنصر على المصريين خاصة بعد علمه بقصة الحب القوية بينها وبين رادميس ويطلب منها أن تعرف خطته الحربية مع الاحباش عن طريق إغرائه بحبها .. وهو ماحدث .

ويخبر رادميس عايده بالاستعداد لحرب الاحباش مرة أخرى ، وانه سيخبر الملك بعد الحرب برغبته فى الزواج منها ، وينتهز والدها الفرصة ويطلب منها أن تعرف منه طريق الجيوش المصرية الى الحبشة حتى يقاوم الاحباش ، ويتم نقل المعلومات الى جيش الحبشة الذى يتمكن بفضل ماحصل عليه من معلومات من تحقيق النصر .

ثم تتضح الحقيقة . ويتم محاكمة رادميس بتهمة الخيانة ، ويصدر الحكم عليه بالموت حياً فى القبر وتختفى عايده ويتوقع الجميع أنها هربت وعند تنفيذ الحكم فى الصندوق الحجرى الضخم يفاجأ رادميس بأن عايده داخل الصندوق ، وتصر على أن تموت معه لتكفر عن خطيئتها بعد شعورها بمدى الجرم الذى ارتكبته فى حق من أحبها .

وقد عرضت أوبرا عايده فى جميع دور الاوبرا العالمية .. ولكن فى ١٩٨٧/٥/٢ شهد العالم أضخم عرض لاشهر أوبرا فى العالم (عايده) أمام معبد الاقصر الذى بناه أُمْنَحْتَب الثالث منذ ٣٥٠٠ ق.م فى أضخم عرض أوبرالى شارك فيه أكثر من ألف فنان وفنانة فى مسرح أعد خصيصاً لذلك أمام ساحة المعبد .. فى المكان الذى دارت فيه أحداث الاوبرا .

ولعلها المرة الاولى على مستوى العالم أن يتحرك أبطال العمل الفنى على مساحة

تقترب من ٥٠٠ متر تمثل ٦ مستويات أو ٦ خشبات مسرح تلفت حول المشاهدين من اليمين واليسار والامام وتعلو أيضاً فوق جدار المعبد فى إبهار حركى بالغ التأثير .. ثم عرضت فى ٨٧/٩/٢١ على مسرح مكشوف أمام ابو الهول بالجيزة .

والجدير بالذكر أن أول مدير مصرى للوبرا هو منصور غانم ومن بعده الفنان سليمان نجيب ، وقبلها كانت إدارتها وقفاً على الاجانب من أمثال " درانت " الذى أدارها فى عهد الخديو اسماعيل .. وبهذه " بسكوالى " من نوفمبر ١٨٨٦ الى نوفمبر ١٩١٠ وجارد فورنابو " من يونيو ١٩١١ الى ١٩٣١ .

وكان أول من لحن المسرحيات الغنائية من الموسيقيين العرب هو سيد درويش عندما لحن رواية " فيروز شاه " لفرقة جورج ابيض والعشرة الطيبة لفرقة نجيب الريحاني ثم شهر زاد ثم " البروكة " .

وفى ٢٨ اكتوبر ١٩٧١ كانت مأساة الاوبرا المصرية حيث استيقظت مصر على رائحة إحتراقها ، وكانت فجيرة مصر فيها ليس فى التكاليف المادية فقط ، لكن فى القيمة التاريخية والاثرية التى لايمكن أن تعوض .. وبذلك أسدل الستار على أول دار للوبرا فى افريقيا ..

وفى ١٠/١١/١٩٨٨ أفتتحت دار الاوبرا الجديده بالجزيرة بالقاهرة ...

جزيرة الاساطير

* * *

جزيرة فيلة أو " لزلة النيل " كما أطلق عليها المؤرخون لجمال موقعها وعظمة أثارها وتقع وسط النيل عند مدينة أسوان وعلى مساحة ٨ أفدنة .

وجزيرة فيلة الحالية ليست فى الواقع الجزيرة التى كانت عليها معابد فيلة .. ولكن فيلة الحالية هى جزيرة " إيجيكا " سابقاً والتى كانت مجاورة لجزيرة فيلة القديمة التى غرقت فى مياه النيل بعد بناء السد العالى ، مما اضطر مصر بالتعاون مع هيئة اليونسكو الدولية الى نقل معابد فيلة الى جزيرة إيجيكا فى إطار الحملة الدولية لانتقاذ آثار النوبة والتى انتهت فى ١٠ مارس ١٩٨٠ بافتتاح جزيرة فيلة الجديدة بعد نقل المعابد اليها ..

وفيلة هو الاسم الذى حوره البطالمة للاسم المصرى القديم " بيلاك " الذى كان يطلق على الجزيرة منذ الفراعنة وكان معناه " النهاية " أو نهاية المطاف " ، حيث كانت نهاية مطاف وصراع مياه النيل ودرائها عند هذه الجزيرة وبين مخورها الجرانيتية عقب كل فيضان .

وأقدم المعابد الاثرية على الجزيرة يرجع الى الاسره ٢٦ اى أوائل القرن السادس قبل الميلاد ، والجزيرة تحتوى على عدد من المعابد فى عصور مختلفة ، ويبلغ عدد الاعمدة الاثرية الضخمة بها مائة عمود بالاضافة الى ١٧٠ مقصورة و٤٣ ألف كتلة حجرية أثرية ..

وكانت فيلة ضمن مدينة أسوان تشكل آخر مدن مصر فى الجنوب كما كانت مركزا لتجارة العاج الذى يأتىها من السودان ، وقام حكامها فى الاسرتين الخامسة والسادسة (٢٥٦٠ - ٢٢٨٠ ق.م) بارتياح طرق الجنوب ، وكانوا أول رحالة فى التاريخ خرجوا لاكتشاف مجاهل افريقيا .

ومن أهم الاساطير التى ارتبطت بالجزيرة أسطورة الاميرة المصرية وردة والشاب أنس الوجود ، وتحكى قصة الاميرة وردة التى احبت أنس الوجود وكانت تعلم أن هذا

الحسب لن ينتهى بالزواج ، فلم يحدث من قبل أن تزوجت إحدى أميرات القصر من عامة الشعب ، وأرادت الاميرة أن تحطم الحواجز بينها وبين أنس الوجود ، لكن والدها علم بهذا الحب فأخذها وأخفاها فى قصر كبير بجزيرة فيلة ، وأحاط القصر بالتامسيح ليمنع الاقتراب منه .. لكن الفتى العاشق لم يتوقف عن محاولة الوصول الى حبيبته فكانت قصائده تصل اليها عبر الاسوار .

وتقول الاسطورة الشعبية أن تمساحا مفترسا رقى قلبه للفتى أنس الوجود ، وعرض عليه أن يحمله الى الشاطئ الذى يستقر عليه قصر الاميرة ، وبالفعل ينقله ولكن فرصة اللقاء لم تكتمل إذ علم والدها فأسرع ليطرده أنس الوجود رغم بكاء الاميرة ورغم كل توسلات العاشقين.

والاسطورة الثانية التى ارتبطت بجزيرة فيلة منذ العصر الفرعونى هى أسطورة الالهة " ايزيس " ربة السحر والوفاء والخير .. وتقول الاسطورة أن ايزيس أرملة "اوزوريس" راحت تبكى له زورقا لتبحث به عن أجزاء جسد زوجها رب الخير والخصب الذى عصفت الغيرة بقلب اخيه الحاسد الشرير (ست) فقطع أخاه أربا وألقاها متناثرة فى كل مكان .. وقامت ايزيس ربة السحر مبحرة فى مياه النيل لتجمع ما استطاعت من جسد زوجها حتى عثرت على ساقه اليسرى عند جزيرة " بيجة " التى تلتصق بجزيرة فيلة .. وهناك جمعت أجزاء الجسد لبيعث من جديد وحملت منه وحيدها " حورس " .. لكن اوزوريس يتركها بعد أن ينس من شرور الارض ويصعد الى عالم الخلود ، وعلى الجزيرة فيلة تبكى ايزيس زوجها بكاءً مريرا فيفيض النيل من كثرة دموع الوفاء على زوجها .

عندما أغرق أهل الواحات جيش قمبيز في الصحراء

* * *

بين عامي ٥٦٨ - ٥٢٥ ق.م حكم مصر الملك أحمس الثاني ، وقضت مصر أثناء حكمه عهداً مزدهراً في كل نواحي الحياة ، وأنشأ أسطولا قوياً أخضع به جزيرة قبرص وأرغمها على دفع الجزية لمصر وفي العام الاخير من حياته أخذت تتجمع السحب لتتذر بوقوع غزو فارسي لمصر ، ومات أحمس الثاني في نفس العام الذي قرر فيه ملك الفرس قمبيز إحتلال مصر .

وخلف أحمس ابنه بسماتيك الثالث ، وجاء قمبيز وهاجم مدينة " بلوز " - الفرما - بحرا وزحفت جيوشه على مصر براً ، وبعد مقاومة عنيفة سقطت الدلتا في يد الفرس ، ولجأ بسماتيك الثالث الى منف ، ولكن قمبيز حاصرها وفتحها وأسر بسماتيك الثالث وقتله .

ونكل الفرس بالمصريين ، ودخل قمبيز مقبرة الفرعون أحمس الثاني ، وأمر بإحضار جسده المخطط من داخل القبر ، وقام بجلده ووخزه ثم أمر بحرقه رغم أن حرق الميت محرم في كلا الديانتين الفارسية والمصرية .. وعندما دخل قمبيز منف رأى المصريين يحتفلون بعيد الاله " أبيس " - العجل المقدس - فأمر بقتل من هم على رأس الاحتفال ثم طعن العجل المقدس حتى مات متأثراً بجراحه ، وأمر بتعذيب الكهنة ، وقام بتخريب مدينة عين شمس وحرقها من كل ناحية ، كما فعل ذلك بالمسلات .. وعم السخط مصر .

وتنبأ كهنة آمون بأن حكم الفرس لمصر لن يطول وأن حياة قائدهم قمبيز سوف تنتهي بكارثة ، واستشاط قمبيز غضباً عندما بلغته هذه النبوة فقرر الانتقام من هؤلاء الكهنة بقتلهم جميعاً ، وحرق وتدمير معبدهم .

وسار قمبيز من طيبة على رأس جيش من خمسين ألف مقاتل ، وفي قول آخر تسعين ألف مقاتل ثم أقام في الواحة الخارجة ، أما جيشه فقد عسكر في السهل

المنبسط بين الخارجة " واحة بيريز " وهى ما يطلق عليها الآن (باريس) خطأ ، إذ أن اسمها مأخوذ عن اسم قائد الفرس بيريز الذى أقام فى هذه الواحة وسماها باسمه ، ثم ما لبثت الاوامر أن صدرت الى بيريز بالتحرك الى سيوه لاحراق معبد الاله آمون ، والانتقام من الكهنة على نبؤتهم ، واتخذالفرس من أهل الخارجة أدلاء من قصاصى الاثر ليسيروا فى طليعة جيشه .

وضلل أدلاء الخارجة الفرس وقادوا الجيش كله الى بحر من الرمال ، وهبت عاصفة طاغية على الجيش وهوىأخذ راحته ، واستمرت العاصفة عدة أيام كان الجيش فى خلالها يدور حول نفسه داخل العاصفة حتى نفذت منه الاقوات وابتلعت معظمه الرمال ، ولم تهدأ العاصفة حتى كان الجيش كله فى بطن بحر من الرمال بين الخارجة وسيوه ،

عندما قدمت مصر للعالم فن الكاريكاتور * * *

كان قدماء المصريين هم أول من استخدم المبالغة في رسم التقاطيع لتأكيد الشخصية المرسومة وسجلوا ذلك على أوراق البردي ، ويلاحظ أنها لم تكن تعتمد على تصوير الأفراد والشخصيات وإنما كانت عبارة عن سخرية ضاحكة من الضعف البشري وغير موجهة الى أشخاص بالذات .

وقد وجدت صورة فكاهية من رسم قدماء المصريين على ورق البردي ، وهي تمثل أسداً وغزالاً يلعبان الشطرنج ، وتعلباً يعزف على الناي وهو يرعى الماعز ، بينما القطة تقود الأوز !!

ومضى زمان طويل حتى جاء الايطاليون فجعلوا من الكاريكاتور لوناً من ألوان التسلية الشعبية الخفيفة وانتقل الى مختلف دول العالم .

وكان أول من حاول ادخال الكاريكاتور في الصحافة المصرية هو " يعقوب صنوع " فقد كان يصدر ويحرر مجلة نقدية هزلية تدعى " أبو نظارة " ، وأصدرها بالقاهرة عام ١٨٧٧ وهي أول صحيفة كاريكاتورية سياسية في الوطن العربي ، وكان ينتقد فيها بشدة حكومة الخديو اسماعيل ، غير أن الحكومة ضاقت به ذرعاً فنفتته الى الخارج حيث استقر بباريس وأخذ ينشر صحيفته تحت أسماء مستعارة مثل " أبوزمارة " ويرسل منها نسخاً الى بعض الشخصيات المعروفة في مصر ، وقد حرمت الحكومة تداول هذه الصحيفة وصارتها .

ثم بعث فن الكاريكاتور على يد الصحفي المصري أحمد حافظ عفيفي في مجلته التي أصدرها قبل الحرب العالمية الأولى " مجلة خيال الظل " وكانت الصفحات الملونة منها تطبع في إيطاليا .

ومن أنواع الرسوم الكاريكاتورية رسوم الفنان الاسباني " جوان سانتيز " الذي

رسم فى صحيفه الكشكول ، وقد عاونه على النجاح إختلاطه بالأوساط المصرية والاجنبية فى مصر وسرعة خاطره وقوة خياله .. وحوالى عام ١٩٢٥ جاء الى مصر فنان كاريكاتيرى أرمنى يدعى " صاروخان " قدم رسومه الأولى فى مجلة " الجديد " التى كان يصدرها محمد المرصفى وأثبت استعداداه لتفهم الحياة المصرية ، ثم ظهر فنان تركى الاصلى يسمى على رفقى فقدم لونا من هذا الفن يمزج بين الزخرفة والتعبير .. وقد استطاع سانتيز وصاروخان وعلى رفقى أن ينشثوا مدارس للكاريكاتير المصرى تخرج فيها عدد كبير من الرسامين الكاريكاتيريين المعروفين ، وبرز منهم عدد كبير منهم رخا وعبد السميع وزهدى وجاهين وغيرهم .

فرعونيات

عصور التاريخ المصرى :

خمسة عصور متميزة هي العصر الفرعونى ويبدأ من عام ٣٢٠٠ ق.م ويشمل حكم ثلاثين أسرة مملكة ، والعصر اليونانى الرومانى ويبدأ من ٣٢٢ ق.م والعصر الاسلامى الذى يبدأ بفتح العرب لمصر وانتشار الاسلام فيها من عام ٦٤١م ويشمل حكم عدة دول هي دولة الخلفاء الراشدين ، الاموية ، العباسية ، الطولونية ، العباسية الثانية ، الاخشيديية ، الفاطمية ، الايوبية ودولة المماليك وتبدأ من عام ١٢٥٠م وتنقسم الى دولة المماليك الاتراك والمماليك الجراكسة ، والعصر العثمانى من عام ١٥١٧م ، ثم العصر الحديث من تاريخ الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م حتى الآن .

قدماء المصريين يحرمون لحم الخنزير :

اعتبر قدماء المصريين الخنزير نجساً ، وحرّموا أكل لحم تحريماً قاطعاً ، ويقول فى ذلك هيرودوت " والمصريون يعتبرون الخنزير نجساً ، ولذلك إذا مس مصرى خنزيراً أثناء مروره به ، ذهب فى الحال وألقى بنفسه فى النهر دون أن يخلع ملابسه ، كما أن رعاة الخنازير - ولو أنهم مصريون بمولدهم - لا يدخلون ، دون سائر المصريين أى معبد من جميع معابد مصر ، ولا يرضى مخلوق أن يزوج أحد هؤلاء الرعاة من إبنته .

أول مشروع لاستصلاح الاراضى فى العالم :

كان فى مصر منذ حوالى ٥٠٠٠ عام عندما قرر الملك مينا مؤسس أول أسرة حاكمة فى مصر الفرعونية أن يبنى سداً من الحجارة على النيل ليتمكن من بناء مدينة منف فى منطقة السهل ، بحيث يشكل النيل حدود هذه المدينة أو خط الدفاع عنها .

وقد قسمت المناطق الزراعية بالقرب من النيل الى أحواض مسطحة تتصل بينها جسور من الطين والحجارة ، وكان إرتفاع هذه الجسور يصل الى بضعة أقدام ، وتقوم القنوات والاهوسة بتحويل ماء النيل ليروى الارض ، ويترسب الطمي عليها فتزداد خصوبة تلك الاراضى .

أقدم حجر فى تاريخ العالم :

هو حجر " بالرمو " وهو أقدم الوثائق التاريخية التى سجلت أسماء ملوك الفراعنة من الأسرة الثانية الى الأسرة الخامسة ، وتاريخ حكم كل ملك وما أنشئ فى أيامه من عمران .

وقد سمي الحجر باسم حجر " بالرمو " إذ يضم متحف بالرمو بصقلية أكبر أجزائه ، وتوزعت أجزائه الأخرى فى متاحف مختلفة منها لندن والقاهرة ، وإن كان فى المتحف المصرى أكثر أجزائه .

أقدم وثيقة طلاق فى العالم :

وجدها البروفسور فيشر بين لفائف برديات طيبة ، ويرجع تاريخها الى عصر بناء الاهرام ، وتقول الوثيقة :

" لقد هجرتك ولم تعد لى حقوق عليك كزوج ، ابحتى عن زوج غيرى ، لا أستطيع الوقوف الى جانبك فى أى منزل تذهبين اليه ، ولاحق لى عليك من اليوم فصاعداً باعتبارك زوجة لى وشريكة لحياتى .. اذهبى فى الحال بلا إبطاء أو تراخ .. زوجك المطلق آمون جوتر " وتحتها كتب المائون توت اسمه ووقع معه أربعة شهود وختمها بختم التسجيل الرسمى .

أول قناة بين البحرين الأحمر والأبيض :

سجل تاريخ مصر الفرعونى للملك سنوسرت الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة العظام ، الذى حكم مصر من ١٨٨٧ الى ١٨٥٠ ق م ، أنه أول من حفر القناة الثلاثية التى تربط البحر الأبيض المتوسط (بحر الشمال الأخضر العظيم) بالبحر الأحمر (بحر اروتري) بحفر قناة تصل كل منهما بالبحيرات المرة ، وربط البحيرات فى نفس الوقت بنهر النيل عند مدينة منف عاصمة البلاد حتى يتمكن أسطوله الحربى وسفنه التجارية من الانتقال من نهر النيل ومدينة منف الى كل من موانئ البحرين الأبيض والأحمر .

أطباء بيطريين فراعنة :

عنى قدماء المصريين بالحيوانات وعلاجها ، وقد ورد بآثار بنى حسن ما يدل على هذه العناية ، وقد اكتشف أحد علماء الآثار عام ١٨٨٩ بناحية اللاهون بمديرية الفيوم ورقتين من أوراق البردى من عهد الأسرة الثانية عشرة ، ويرجع تاريخهما الى ألفين عام قبل الميلاد ، وقد وجد باحدى الورقتين تشخيص لمرض بشورين وعلاجهما ، وتشخيص كذلك لمرض بكلب مصاب بطفيليات باطنة وعلاجه .. مما يدل على وجود الأطباء البيطريين فى عهد الفراعنة .

قدماء المصريين والنظريات الرياضية :

كشفت بردية (برند) التى توجد بالمتحف البريطانى عن عمليات حسابية لقدماء المصريين تتضمن مجموعة نموذجية للعمليات الحسابية ، وفيها علاقات تشير الى الكسور الاعتيادية والعشر والتسع والثمان ، كما وجدت بردية اخرى تكشف عن مساحات المثلث ، كما عرفوا الاحاد والعشرات والمئات والالوف ومئات الالوف ، وعرفوا الضرب بالتكرار والقسمة ..

وفى الهندسة عرفوا مساحة المربع والمستطيل بضرب الطول \times العرض ، وعرفوا الزاوية القائمة ومساحة الدائرة ونظرية استخراج مساحة المثلث .

لماذا أقام قدماء المصريين مدنهم شرق النيل فقط ؟

يلاحظ أن أغلب المدن المصرية أقيمت على الناحية الشرقية للنيل ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب من أهمها أن قدماء المصريين قد عبدوا الشمس فى فترة من فترات تاريخهم ، وكانوا يعتقدون أن الشمس وهى رمز الحياة فى شروقها ، وترمز للموت فى غروبها ، ولذلك كانوا يدفنون موتاهم فى الغرب ، بينما يعيشون ويقيمون مدنهم فى

الشرق .. والدليل على ذلك أن أغلب الآثار الفرعونية مثل الاهرامات والكرنك وندرة
وهي مقابر كلها تقع على الضفة الغربية للنيل .

مكتبة الاسكندرية تغير علاقة الأرض بالشمس * * *

كانت مكتبة الاسكندرية أول مكتبة عالمية فى التاريخ .. وعلى الرغم من إنشاء مكتبات عديدة بعد ذلك فى مختلف أنحاء العالم إلا أن شهرة مكتبة الاسكندرية ظلت حتى يومنا هذا .. ومن المسلم به أنها كانت أعظم مكتبة فى التاريخ القديم على الإطلاق .

ولعل السبب وراء شهرة مكتبة الاسكندرية والاهتمام المستمر من جانب الباحثين بتاريخها هو أنها لم تكن مجرد مكتبة ، ولكنها كانت معلماً من معالم حضارة بأسرها ، كما كانت الأساس الذى ارتكزت عليه مؤسسة للبحث العلمى فى التاريخ القديم وهو المجمع العلمى بالاسكندرية والذى عرف باسم " الموسييون " .. وحول هذا المجمع ازدهرت جامعة الاسكندرية القديمة طوال سبعة قرون احتلت الاسكندرية خلالها مكان الصدارة وحملت مشعل العلم فى العالم المتحضر آنذاك .

ويرجع تاريخ تأسيس مكتبة الاسكندرية الى بداية القرن الثالث قبل الميلاد عندما كلف بطليموس الاول - الشهير باسم بطليموس سوتر أى المنقذ - الذى تولى حكم مصر بعد الاسكندر الاكبر أحد مستشاريه " ديمتريوس الفاليري " (السياسى الاثينى وتلميذ أرسطو) بتأسيس مجمع للبحث العلمى " الموسييون " (أى معبد ربات الفنون والعلوم) ومكتبة كبرى تضم كتب العالم آنذاك ، وأنفق المال لاجتذاب العلماء واقتناء الكتب من جميع الشعوب بالاضافة الى اقتناء المخطوطات الاصلية للكتب .

وقد حققت جهود البطالمة أهدافها وبلغ عدد الكتب التى أمكن جمعها مايزيد على نصف مليون كتاب ، ثم ارتفع الرقم الى ٧٠٠.٠٠٠ كتاب .. ونظراً الى أنه لم يكن من اليسير وضع هذا العدد الهائل من الكتب فى مكان واحد ، فقد قسم الى مكتبتين رئيسيتين هما المكتبة الأم التى كانت ملحقة بالمجمع العلمى ، ومكتبة اخرى كانت جزءاً من معبد السرابيوم ، وهكذا أصبحت مكتبة الاسكندرية بقسميها أكبر مكتبة فى العالم القديم .

وتجدر الإشارة الى أن الكتب التى اشتملت عليها المكتبة لم تكن تشبه كتب العصر الحالى بل كانت على هيئة ملفات أسطوانية عبارة عن شرائح طويلة من ورق البردى ملفوفة على أعواد الغاب ، وكانت كلها مخطوطة باليد لان الطباعة لم تكن قد اخترعت بعد .

وقد ارتبطت مكتبة الاسكندرية بأسماء عدد من أشهر العلماء ، فمنذ البداية كان هناك " اقليدس " الذى علم فيها مختلف فروع الهندسة ، وفيها دون كتابة الشهير " المبادئ " وكان معاصراً للفلكى الكبير " اريستارخوس " الذى كان أول من حسب المسافات بين الشمس والقمر ، وأول من قال بنوران الارض حول محورها وحول الشمس قبل أن يكتشفه كوبرنيكس .. وفيها أيضاً استطاع " اراتوستينيس " أن يقيس محيط الكرة الارضية دون أن يخطئ فى أكثر من خمسين ميلاً .. وتجدد علم الطب بالاسكندرية - منذ عهد بطليموس الاول - على يد كل من " هيروفيلوس " و " اراسستراتوس " فأسس الأول دراسات فى التشريح العلمى أما الثانى فقد اعتمد على الفسيولوجيا بوجه خاص ، وكانت أهم اكتشافاته متصلة بالدورة الدموية فهو الذى اعتبر القلب عامل حركة الدورة الدموية كلها ، وقام بدراسات للجهاز التنفسى والجهاز الهضمى .

وفى مكتبة الاسكندرية وضعت أسس علوم التصنيف ويرجع الفضل لأحد مديريها وهو " كاليباج " الذى وضع كتابه المعروف " بيناكس " وفيه تم تدوين أسماء المؤلفين وعناوين المؤلفات الموجودة بالمكتبة ، ويعد هذا الكتاب أقدم عمل ببليوغرافى فى العالم .

وفى مكتبة الاسكندرية درس " أرشميدس " الذى اشتهر بأبحاثه عن البوائى والكرات والاجسام الاسطوانية والميكانيكا ، وعاش بها أيضاً بطليموس الاسكندرى مؤسس علم الخرائط ، وهو العالم الذى تحكم فى الفكر الفلكى والجغرافى أكثر من ألف عام .

لقد بقيت مكتبة الاسكندرية أكثر من قرنين من الزمن مركزاً للحياة الثقافية للعالم ، ثم تعرضت للحريق والتدمير عام ٤٨ ق.م ، وكان المسئول الاول عن هذه الكارثة هو

يوليوس قيصر الذى وصل للاسكندرية لمساندة كليوباترا ، ونشبت معركة بحرية ، وأمر يوليوس قيصر باحراق السفن فى الميناء إلا أن النار امتدت بسرعة واشتعل حريق هائل أتلف دار صناعة السفن وما جاورها من المباني ومنها مكتبة الاسكندرية .

منارة الاسكندرية أول منارة فى العالم * * *

تعد منارة الاسكندرية أو " منارة فاروس " أشهر منارة بحرية فى تاريخ العالم وأحدى عجائب الدنيا السبع .. وقد أطلق اسمها على كل منارات العالم ، وعنها أخذت التسمية الفرنسية " فار " والتسمية الايطالية " فارو " واشتقت منها كلمتا " فئار " و " منار " .. وقد أقامها بطليموس الثانى عام ٢٧٩ ق.م بالطرف الشرقى من جزيرة فاروس .

وكان فى خطة البطالمة أن يجعلوا من الاسكندرية أهم وأوسع ميناء بحرى تجارى وحربى فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، ولذلك تم تكليف المهندس " سوستراتوس " ببناء هذا المنار الذى لم يشهد العالم مثله من قبل ليكون أوضح دليل للعالم على المجد البحرى الذى تمثله مصر .

وأقيمت المنارة على صخرة فى البحر ، وبنيت من صخور متينة منحوتة صب بينها الرصاص حتى لايتسرب اليها ماء البحر وكانت مكونة من عدة طوابق تكون بناءً ضخماً على شكل برج يرتفع نحو ١٢٤ متراً ، وكان الطابق الأول منها مربع الشكل ويرتفع نحو ٦٠ متراً ويتضمن ٤٠٠ حجرة ، وقد أثار عدد الحجرات الكثيرين حتى أن المقرئى قال " يقال ان كل من دخل المنارة اختبل وضل الطريق مما بها من الغرف العدة والطبقات والمحاشى " ..

أما الطابق الثانى فكان ثمانى الاضلاع ويرتفع ببلوره نحو ٣٠ متراً ، أما الطابق الاعلى فكان اسطوانى الشكل ويرتفع نحو ١٥ متراً ومقاماً على أعمدة ضخمة من الجرانيت تحمل فيه بداخلها مجموعة من المرايا المحدبة التى كانت تعكس اللمع نوراً لهداية السفن فى أعالي البحر على بعد ثلاثين ميلاً ، وفوق القبة أقيم تمثال هائل من البرونز لـ له البحر " بوسيدون " يرتفع نحو سبعة أمتار .

ولسوء الحظ تكالبت الزلازل والظواهر الطبيعية القاسية وأعمال التخريب على هذا البناء الشامخ حيث انهار فى أعقاب زلزال فى القرن الرابع عشر الميلادى ولم يبق منه

سوى الأساس الحجري الذي أقيمت عليه " قلعة قايتباي " في منتصف القرن الخامس
عشر الميلادي.

حصن بابليون والعائلة المقدسة

* * *

كان فى الاصل قلعة أقامها الملك بختنصر (بمصر القديمة الآن) عندما غزا مصر .. وكان الحصن مقراً لاقوى رباطات الجيش الرومانى بمصر .. وهو من أهم وأضخم آثار الامبراطورية الرومانية فى مصر ، وتم بناء الحصن فى عهد الامبراطور الرومانى تراجان فى بداية القرن الثانى الميلادى على أنقاض القلعة القديمة ..

وقد أضيفت اليه مبان اخرى فى القرن الرابع الميلادى ، ومازالت بعض المباني والابرار الاصلية قائمة حتى الآن وهى أبرار اسطوانية الشكل دائرية مفرغة .

وكان سمك أسوار الحصن ثمانية عشر قدما ، وكان محيط الاسوار على شكل مربع غير منتظم وبداخله مقياس للنيل ، حيث كانت مياه النيل فى ذلك الوقت تجرى تحت أسوار الحصن بحيث كانت ترسو السفن ، وكان ارتفاع الاسوار يبلغ ستمين قدماً .. وكانت تزيد من قوة الحصن وخطره الحربى جزيرة الروضة التى كانت ذات حصون لانها تقع وسط النهر .. وكانت المنطقة الموجودة حول الحصن مزارع فسيحة .

ويوجد داخل أسوار هذا الحصن ٦ كنائس من أهم وأقدم الكنائس القبطية والاثرية فى العالم .. وأهم تلك الكنائس كنيسة أبى سرجة التى تقع وسط الحصن تقريبا ، وقد شيدت هذه الكنيسة فوق المغارة التى لجأت اليها العائلة المقدسة عندما هربت الى مصر من مؤامرات اليهود والرومان الوثنيين .

ويوجد داخل حصن بابليون الكنيسة المعلقة ، وسميت بهذا الاسم لأنها شيدت فوق أبرار حصن بابليون على ارتفاع ١٣ متراً فوق سطح الارض الاصلية لهذا الحصن ، وقد بنيت فى أواخر القرن الرابع الميلادى وهى أقدم كنيسة بنيت فى حصن بابليون ، وتعد أول كاتدرائية فى القاهرة .. وظلت مقراً للبابوية لمدة ٣٠٠ عام .. وأطلق عليها من قبل الكنيسة ذات السبعة مذابح والسبعة أحجية ، وهى الكنيسة الوحيدة فى العالم التى يوجد بها هذا النظام .

وتوجد داخل الحصن كنيسة مارى جرجس .. والمتحف القبطى الذى جمع أندر تحف الفن القبطى ووثائق تاريخ المسيحية فى مصر ، وتم تأسيسه عام ١٩١٠ بعد نقل ماعثر عليه من الآثار القبطية من الكنائس والاديرة بمختلف أنحاء مصر ، وقد بنت الحكومة جناحاً جديداً للمتحف عام ١٩٣٧ .

وقد اشتهر حصن بابلليون فى تاريخ فتح العرب لمصر ، فقد حاصره العرب عام ٦٤١ م بقيادة عمرو بن العاص بعد أن وافاه مدد خاص بقيادة الزبير بن العوام ، حتى قبل القائد الرومانى (المقوقس) الصلح إلا أن الامبراطور (هرقل) رفض الموافقة عليه وحاول القائد تيودور فض الحصار من الخارج ولكن استحال زحزة العرب حتى تم تسليم الحصن فى ٦ / إبريل / ٦٤١ م .. وواصل العرب زحفهم الى الاسكندرية والصعيد ، ومازال يوجد بالحصن الباب الحديدى الذى يقال أن المقوقس حاكم مصر الرومانى خرج منه سراً لمفاوضة عمرو بن العاص .

وقصر الشمع هو الاسم الذى أطلقه العرب على حصن بابلليون أو (باب اليوم) لما روى من أن الشموع كانت ترقد على بابه فى رأس كل شهر إعلاما للناس بأن الشمس قد انتقلت من برج الى برج .

مصريات * * *

الواحة العظمى :

اسم كان يطلق على الواحات الخارجة وذلك لوفرة خيراتها ولينابيعها الغزيرة وغلالها التي كانت أغلى مايباع فى روما ، وقد استطاع الرومان زراعة نحو مليون فدان حوالى عام ٧٠ ميلادية .

وبلغت فى العصر الرومانى أوج إزدهارها ، فقد كانت مخزناً للحبوب والشعرات الخاصة بالامبراطور ، وكانت تمون مصر كلها بالقمح الى جانب تموين روما ، ثم بدأ الصراع الرهيب فى كل مكان من أرض مصر بين الحكومة الرومانية الوثنية وأقباط مصر ، واتخذت المقاومة الدينية صبغة سياسية ، ومن ثم عرفت مصر عصر الشهداء الذى تميز بالاضطهاد الدينى من جانب الرومان للمسيحية ، وفر المسيحيون الى الواحات بعيدا عن الاضطهاد فى داخل الوادى .

مقبرة لامثيل لها فى العالم :

مقبرة كوم الشقافة بالاسكندرية ، وهى لأسرة رومانية غير معروفة ، وهى مكونة من ثلاثة طوابق بعمق ثلاثين قدماً فى باطن الارض ، ومحاطة بسلاسل حجرية (حلزونية) فى شكل دائرى حتى العمق لتصل بين الطوابق الثلاثة بعضها ببعض .

ويوجد بالمقبره ٣٦٥ فجوة محفورة فى الصخر لدفن الموتى ، وبها خمسون تابوتاً كانت مخصصة لدفن الاثرياء ، وبكل طابق قاعة كانت مجهزة لأهل الموتى الاحياء حيث كانوا يحضرون أوعية الطعام وقوارير النبيذ التى وجد منها عدد محطم ، ولكثرة ماوجد بالمنطقة من الشقاف المحطمة جاءت تسمية الحى بكوم الشقافة .

مصر فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم * * *

شرفت مصر بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ، وقد كتب الى المقوقس والى الروم كتاباً يقول فيه " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يوثقك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك إثم كل القبط .. يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

وقد رد المقوقس على كتاب الرسول رداً جميلاً وأرسل بعض الهدايا اليه .

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً " .. والمراد بالرحم أنهم أخوال اسماعيل بن سيدنا ابراهيم الخليل عليهما السلام فقد كانت السيدة هاجر أم اسماعيل مصرية ، واسماعيل عليه السلام والد عرب الحجاز الذين منهم النبى صلى الله عليه وسلم ، كما يعد المصريون أخوال ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أمه مارية كانت مصرية أهداها المقوقس حاكم مصر حين بعث برده على رسالة النبى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لكم منهم صبراً وذمة "

كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاته بأهل مصر قائلاً " الله الله فى قبط مصر ، فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانا فى سبيل الله "

كما قال صلى الله عليه وسلم عن قبط مصر إنكم ستقدمون على قوم جعد روسهم فاستوصوا بهم خيراً فانهم قوة وبلاغ الى عدوكم بإذن الله "

وقال صلى الله عليه وسلم " إستوصوا بالقيط خيراً فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال عدوكم " .

وأخرج ابن عبد الحكم عن موسى بن أبى أيوب اليافعى عن رجل من المرید أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأغمى عليه ثم أفاق فقال : استوصوا بالآدم الجعد ثم أغمى عليه ثم أفاق فقال مثل ذلك فقال القوم : لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآدم الجعد ، فأفاق فسأله ، فقال : قبط مصر فانهم أخوال وأصهار وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم ، فقالوا كيف يكونون أعواننا على ديننا يارسول الله فقال يكفونكم أعمال الدنيا وتتفرغون للعبادة فالراضى بما يؤتى اليهم كالفاعل بهم ، والكاره لما يؤتى اليهم من الظلم كالمستنزّه عنهم " .

وأخرج ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك خير أجناد الارض ، فقال له أبو بكر - رضى الله عنه - : ولم يارسول الله ؟ قال لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة " .

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الله الله فى أهل الذمة أهل المذرة السود السحم الجعاد فان لهم نسباً وصبراً " ذلك أن ثلاثة من الانبياء قد صاهروا المصريين ، ابراهيم عليه السلام تزوج هاجر وأنجب منها اسماعيل ، ويوسف عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج مارية وأنجب منها ابراهيم .

المصرية التي تزوجها الرسول * * *

مارية التي ولدت بقرية (حفن) بصعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل (بمركز ملوى محافظة المنيا حاليا) لأب قبظي .. وبين قصور المقوقس (جريج بن ميناء) حاكم مصر من قبل هرقل ملك الروم شبت هي وأختها سيرين كجارييتين من جوارى المقوقس.

وفي مستهل السنة السابعة للهجرة خرج من المدينة المنورة عدد من الصحابة موفدين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك يدعونهم إلى الإسلام .. ووصل إلى مصر (حاطب بن أبى بلتعة اللخمي) فاستقبله المقوقس عظيم القبط في القصر الملكي .. وقدم حاطب الكتاب الذي كان يحمله من الرسول وكان نصه " بسم الله الرحمن الرحيم " .. من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم مصر .. سلام على من اتبع الهدى .. أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين .. فإن توليت فإنا عليك إثم القبط " يا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " .

وعلم المقوقس أن نبياً قد بعث بأرض العرب ، ورد المقوقس على كتاب محمد صلى الله عليه وسلم بقوله أنه يعلم أن نبياً سيظهر ، ولكنه كان يعتقد أن ظهوره سيكون بالشام ، ثم أمر بتجهيز الهدايا لترسل إلى النبي وكان فيها ملابس وأدوات للزينة ، وعسل من بنها ، وحمار ويغلة بيضاء ، وطبيب من أطباء مصر .. وفي مقدمة كل هذا جاريثان من أعز وأجمل جوارى القصر هما مارية وسيرين يصحبهما خادم لهما يدعى مابور .

وسار الموكب في اتجاه جزيرة العرب ، وقص حاطب لمارية وسيرين قصة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال لهما لأن تعتنقا الإسلام ، وأسما بالفعل قبل أن يصلنا إلى الرسول .

واختار الرسول مارية ، وهب اختها سيرين لشاعر المسلمين حسان بن ثابت .. وأنزل الرسول مارية بدار الحارثة بن النعمان بالقرب من مساكن زوجاته ، ولكنهن غرن منها فنقلها الى مكان يعرف بالعالية فى ضاحية من ضواحي المدينة .

وحملت مارية من الرسول صلى الله عليه وسلم ووضعت ابراهيم ، وجاء الى النبي مولاه أبو رافع يبشره فأكرمه ، وأكرم مولاته سلمى زوجة أبي رافع التى أشرفت على ولادة ابراهيم ، وتصدق على كل فقير ومسكين من أهل المدينة .. وعهد النبي بابنه الى مرضعة ، ودفع اليها عدداً من الماعز لترضعه لبنها ، وكان للرسول العزاء بعد أن تقدم به العمر وبعد أن لم ينجب من زوجاته جميعاً غير زوجته الأولى خديجة ، وكان السلوى له بعد أن مات جميع أولاده من خديجة ولم يبق له منهم غير ابنته فاطمة .

ولكن مارية والرسول لم ينعموا بابراهيم طويلا ، فبعد سنة ونصف تقريبا مرض وتوفى ، وحزنا عليه حزناً شديداً .. وكسفت الشمس فى ذلك اليوم فقال المسلمون " ماكسفت الشمس إلا لموت ابراهيم ، وسمع النبي قولهم فقال : " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لاتخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة " .

ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى توفى الرسول بعد أن قال وهو يوصى المسلمين: استوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً .. وماتت مارية بعد نحو خمس سنوات من وفاة النبي ودفنت بالبقيع .

الاسلام يدخل افريقيا من باب مصر * * *

بعد أن فتح عمرو بن العاص فلسطين طلب الى الخليفة عمر بن الخطاب أن يأذن له في فتح مصر ، لما كان يعلمه عن خصبها وثروتها ومايجره فتحها من خير وبركة على الدولة الاسلامية ، وأهمية هذا الفتح من الناحية العسكرية لتأمين بلاد الشام من غزو الروم الذين كانوا يحيطون بالشام من الشمال ومن الجنوب ولكن عمر بن الخطاب تردد كثيراً قبل السماح لعمرو ، لما كان يخشاه على جيوش المسلمين من التوغل في بلاد احتلها الروم منذ فترة بعيدة ، ولهم فيها الحصون والجنود ، يضاف الى ذلك عدم رغبته في التوسع قبل أن تثبت قدم العرب في الشام أو في بلاد فارس .. ولكن أمام الحاج عمرو وتهويله لأمر فتح مصر سمح عمر بن الخطاب له بالسير على رأس جيش عدته أربعة آلاف جندي .

وصل عمرو بن العاص من فلسطين الى العريش في ١٢/١٢/٦٣٩م فاستولى عليها دون مقاومة ثم واصل السير حتى الفرما (شرق بحيرة المنزلة) وكانت تعتبر مفتاح مصر من ناحية الشرق ، وتبعد عن ساحل الروم (البحر المتوسط) بنحو ميل ونصف فحاصرها عمرو شهراً حتى سقطت في يناير ٦٤٠م .. بعدئذ سار عمرو الى الجنوب الغربي حتى وصل الى مدينة القنطرة الحالية ، ولزم العرب جانب الصحراء متجهين الى ناحية مدينة الصالحية ، رغبة في أن تكون الصحراء حصنهم الذي يلجأون اليه وقت الخطر ولكي يتجنبوا عبور القنارات وفروع النيل ، ومن ثم سار عمرو الى بلبيس فاستولى عليها بعد حصار دام شهراً ، ثم واصل سيره صوب حصن بابلليون فمر في طريقه إليه بقرية (أم دنين) وكانت قرية صغيرة على النيل يقع مكانها اليوم حديقة الأزبكية وكانت بها حامية قوية فتغلب عليها العرب رغم مقتل عدد كبير منهم ، ولذلك بعث عمرو الى الخليفة يستنجد به ، وفي أثناء إنتظاره المدد عبر النيل من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية جنوبى أم دنين فمر بمنف وسار حتى الفيوم ، وقد وصلتته الاخبار بقدوم المدد عند عين شمس فعاد عمرو الى عين شمس واستعد للهجوم على حصن بابلليون .

في هذه الفترة كان الخوف قد تملك الناس وهاجر كثيرون الى الاسكندرية تاركين

أرضهم وبيوتهم ، وكان لابد لعمره من أن يسير الى الاسكندرية وراء هذه الافواج الهارية ، ولكن وقفت أمامه عقبتان أولهما أن الوقت كان صيفاً وعلى التحديد فى شهر اغسطس والنيل أخذ فى الفيضان والماء يعلو سريعاً ، والبلاد لايمكن السير فيها ، وثانيهما أن هناك روماً كثيرين فى حصن بابلين ولايستطيع عمرو أن يخلف وراءه الحصن وبه جنود كثيرون من الروم مما كان يشكل خطراً جسيماً يهدد ظهره عند تقدمه الى الاسكندرية .

ومما يذكر أن أصل حصن بابلين (مكانه مصر القديمة الآن) قلعة أقامها بختنصر عندما غزا مصر ، ولما جاء الامبراطور الرومانى " تراجان " أقام الحصن على أساس القلعة وجعل فيه قلعة منيعة قوية وذلك فى العام المتم للمائة من الميلاد ، وكانت مياه النيل تجرى تحت أسوار الحصن بحيث ترسو السفن ، وكان إرتفاع أسواره يبلغ ستين قدماً ، وكان الناظر من فوق الحصن وقت غزوه لايقف شئ نون بصره حتى يبلغ مدينة عين شمس ، وكان يزيد من قوة الحصن جزيرة الروضة التى كانت ذات حصون لأنها فى وسط النهر ، وقد استولى العرب عليها أثناء حصارهم للحصن .

عزم الروم على الدفاع عن الحصن ، ولما كان الوقت صيفاً والفيضان مرتفعاً والخندق المحيط بالحصن مليئاً بالمياه ، وليس فى مقدور المسلمين مهاجمة الحصن ، فقد كان الروم يأملون أن يطول الحصار فتستنفذ الفرصة لوصول إمدادات من الاسكندرية ، وكان جند الحصن كلهم من الروم إلا قليلا من القبط كانوا فى خدمتهم ، وبلغ عدد الجنود حوالى ستة آلاف جندى وكان به كثير من الزاد والذخائر ، وأخرج من الحصن عن طريق النهر عدد كبير من غير الجند من أهل مصر والاديرة المجاورة ليوسعوا على الجنود .

قرر عمرو محاصرة الحصن وكان يعلم أن الحصار سيطول ، وكان يرى أن الفيضان لن يدوم أكثر من شهرين يستطيع خلالهما مناوشة الروم بقصد إضعاف روحهم ، وكان مطمئناً الى أنه من الصعب وصول إمدادات الى الحصن لشدة التيار ، وأنه اذا عادت حالة النهر الى ماكانت عليه قبل الفيضان فإن إقتحام الحصن سيكون أمراً يسيراً .

مضى من الزمن شهر والحصار حول الحصن ، والعرب لاتهن لهم عزيمة ، وبدأ فيضان النيل يقل ومستوى المياه ينزل ، والمدد الذى توقعه من بالحصن لم يصل ، ورأى القائد العام لقوات الروم وخليفة هرقل على مصر أن الموقف ليس فى صالحهم ، فرأى أن تجرى مفاوضات سرية وأن يتولاها المقوقس بنفسه ، فيعرض على العرب مقداراً من المال مقابل مغادرة البلاد ، واستقر الرأى على أن ينطلق المقوقس مع بعض أصحابه الى جزيرة الروضة سراً ، ويفاوضوا عمرو فيما اتفقوا عليه .

ومن جزيره الروضة بعثت رسالة الى عمرو تقول " إنكم قوماً قد ولجتم فى بلادنا ، وألحتم على قتالنا ، وطال مقامكم فى أرضنا ، وإنما أنتم عصبة يسيرة ، وقد أظلتكم الروم وجهزوا اليكم ، ومعهم من العدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى فى أيدينا ، فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع كلامهم فلعله أن يأتى الامر فيما بيننا وبينكم على ماتحبون وتحب ، وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم ، فلا ينفعنالكلام ولا تقدر عليه ، ولعلكم لن تندموا إن كان الامر مخالفا لمطالبكم ورجائكم " .

وأنظر المقوقس أن يعود رسله ومعهم رد عمرو ، ولكن عمرو حجز رسل المقوقس ليطلعهم على رجال المسلمين ، وعادوا بعد يومين ومعهم رد عمرو يقول فيه " ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال ، إما دخلتم الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا ، وإما أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإما جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين " .

وسأل المقوقس رسله عن القوم فأجابه رئيسهم " رأينا قوماً الموت أحب الى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب الى أحدهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم " .

ولم يجد المقوقس مايقوله بعد ما سمعه سوى قوله " والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقدر على قتالهم أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم

محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض واستطاعوا الخروج من وضعهم " .. وبعث المقوقس الى عمرو يطلب من يفاوضهم ، وبعث اليه عمرو عشرة من المسلمين ، وحاول المقوقس إقناعهم بقبول مبلغ من المال وترك مصر ، ولم يجد رداً منهم إلا أن يختار إحدى ثلاث خصال كما قال عمرو .

ولما ينس المقوقس دعا أصحابه ونصحهم بقبول الصلح مع المسلمين وقال لهم " أما دخولكم في غير دينكم فلا أمركم به ، وأما قتالهم فانا أعلم أنكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ، ولا بد من الثالثة " ولكنهم رفضوا ، واختلف كبار الروم وطلبوا أن يهادنهم العرب شهراً ليروا فيه رأيهم ، ورفض عمرو طلبهم وأمهلهم ثلاثة أيام ، وعلم أهل الحصن بالمفاوضات ، وثاروا على المقوقس وأبوا كل شيء إلا القتال .. وفي اليوم التالي لانتفاء الهدنة هاجم الروم عمرو وجنوده على غرة ، إلا أن المسلمين استطاعوا تدارك الموقف ، وقاتلوا الروم قتالاً شديداً عنيفاً وتكاثروا عليهم ، واضطروهم الى التقهقر والتراجع الى داخل الحصن بعد أن قتل منهم عدد كبير .

وعاد المقوقس الى قومه وطلب الاذعان لدفع الجزية ، وتم الصلح بين العرب والروم في نوفمبر ٦٤١م على أن تبقى الجيوش حيث هي ، ويظل الحصن مع الروم ، وأن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين على كل نفس ممن بلغ منهم الحلم ، وليس على الشيخ الكبير ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء ، وأن يوافق هرقل على هذا الصلح .. وأخذ المقوقس على عاتقه مهمة إقناع الامبراطور بالقبول ، ولكنه لم يستطع ، وبذلك انتهت الهدنة وعاد القتال .. وكان النيل يهبط سريعاً وتهبط معه المياه التي في الخندق حول الحصن ، وتهبط معه ايضاً مشاعر القوم في النصر ، وآمالهم وشجاعتهم .. ولما فرغ الخندق من الماء تملك الروم الخوف والفزع ، وحين انتهى الشتاء كانت مناقشات عديدة قد وقعت بين العرب والروم.

طالت مدة حصار حصن بابلين وبلغت سبعة أشهر ، وضاق العرب بهذه الشهور الطويلة التي انقضت دون فتح الحصن ، وكان الزبير بن العوام أشد العرب حماسة ، وفي إحدى الليالي تقدم على رأس كتيبة تحت جنح الليل ، واقترب من جدار الحصن ، ووضع سلماً على السور ، وعلاه دون أن يفتن اليه أحد بعد أن اتفق مع أصحابه أن

يرقوا السلم اليه وأن يجيبوه إذا سمعوا تكبيره ، وفعلوا صعد هو وأصحابه فوق السور وكبروا وأجاب المسلمون خارج الحصن تكبيرهم ، فلم يشك الروم في أن العرب قد اقتحموا الحصن فهربوا ، واتجه الزبير الى باب الحصن ففتحه ، واندفع المسلمون الى داخله واستولوا عليه وأسرع قائد الحصن يسأل عمرو الصلح وقبول التسليم على أن يأمن كل من هناك من الجند على أنفسهم ، وقبل عمرو الصلح على أن يغادر الجند الحصن خلال ثلاثة أيام ، وأما الحصن ومافيه من ذخائر وآلات حرب فيأخذها العرب غنيمة حرب ، ويسقط حصن بابلون فقد الروم سيطرتهم على أكثر من نصف مصر .

سار عمرو بعد ذلك نحو الاسكندرية متتبعا شاطئ الفرع الغربي للنيل ، وكانت تقع عليه سلسلة من الحصون فاستولى عليها جميعا ، وحاصر الاسكندرية لمدة أربعة شهور ، وفي أثناء ذلك وصل المقوقس مبعوثا من إمبراطور الروم قسطنطين بن هرقل لعقد الصلح مع العرب ، وانتهى الأمر بكتابة عقد الصلح وتتضمن شروطه أن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين كل سنة ، وأن تعقد هدنة مدتها أحد عشر شهرا تنتهي في سبتمبر ٦٤٢ م ، وأن يحتفظ العرب بمراكزهم مدة الهدنة ولا يباشروا أعمالا حربية ضد الاسكندرية كما يكف الجنود الروم عن كل عمل عدائي ، ولا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء ولا يتدخلوا في أمور المسيحيين ، وأن ترحل الحامية عن الاسكندرية بصرأ بأموالهم وأمتعتهم ، ولا يحاول الروم استرداد مصر وأن يبقى اليهود بالاسكندرية ، وأن يبقى من الروم ١٥٠ جنديا و ٥٠ مدنيا كرهينة لتنفيذ المعاهدة .

وبالرغم من الشرط السادس وهو ألا يحاول الروم استرداد مصر فقد نقضوه ، وبعث قسطنطين بجيش كبير للاستيلاء على الاسكندرية إلا أن عمرو طارد الروم حتى أجلاهم عنها ، ولم يجد العرب بعد ذلك صعوبة في إخضاع بقية مدن الوجهين البحري والقبلي ، وبذلك خضعت البلاد نهائيا لحكم العرب . ثم انطلق الاسلام من مصر الى برقة ثم تونس ثم شمل شمال افريقيا حتى المحيط الاطلنطي ليمبر بعد ذلك الى الاندلس .

أول مدينة إسلامية فى افريقيا

* * *

بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢١هـ - ٦٤١ م ، أراد أن يتخذ الاسكندرية مركزاً لحكمه ، غير أن الخليفة عمر بن الخطاب منعه من ذلك حتى لايفصل ماء بينه وبين المسلمين وقال له " لاتجعل بينى وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت " .. وعلى ذلك وقع إختيار عمرو بن العاص على السهل الشمالى لحصن بابليون ويحده جبل المقطم من الشرق والنيل من الغرب ، وكان يعسكر فيه بجنوده اثناء فتح الحصن ، ورأى عمرو أن هذا المكان يصلح لاقامة مدينته الجديدة " الفسطاط " .. ويذكر فى هذا المجال أن اختيار الفسطاط كان أفضل من الاسكندرية وذلك إرضاء للمصريين الذين كرهوا عمرو فيها لانها كانت ترمز الى ظلم الرومان واضطهادهم لهم ، بالإضافة الى توسط موقعها لمصر .

والفسطاط كلمة عربية تعنى " الخيمة " ذلك لان عمرو بن العاص عند فتح الحصن المعروف باسم قصر الشمع ، وبعد الاستيلاء عليه ضرب فسطاطه (خيمته) بالقرب منه ، فلما قصد التوجه الى الاسكندرية لفتحها أمر بنزع فسطاطه للرحيل فاذا بحمام قد أفرخ فيه فأمر بترك الفسطاط مكانه وسار الى الاسكندرية ثم عاد الى فسطاطه ونزل الناس من حوله ، ومن هنا سميت المدينة التى أنشئت بالفسطاط لتصبح أول مدينة اسلامية فى افريقيا وثالث مدينة شيدها المسلمون بعد البصرة والكوفة .. وهناك قصة أخرى تقول أن كلمة فسطاط محورة عن اللفظ اليونانى " فساطم " الذى يطلقه الرومان على معسكراتهم الحربية أو المدن الحصينة ، ونقل هذا اللفظ محوراً بمعرفة العرب بكلمة فسطاط .

وكان جامع عمرو بن العاص هو أول ما انشأ فى الفسطاط. وقد تقاسمت القبائل منطقة الفسطاط فيعما بينها وسميت كل منطقة باسم القبيلة التى أخذتها ، ولم يمض زمن طويل على تخطيط الفسطاط حتى صار غاية فى العمارة ، واتخذ عمرو بن العاص الدار التى أقامها بالقرب من المسجد مقراً للحكم ، واتخذها الولاة من بعده سكناً للإماره وكانت أكثر دور الولاة شهرة دار عبد العزيز بن مروان التى بناها عام ٦٨٧ م ، وسماها " دار الذهب " .

وقد مرت الفسطاط بعصور من الازدهار ، وقد أعجب كل من دخلها من الرحالة بها وبهر بعمارتها ومساجدها وحماماتها وأسواقها ، وثناء أهلها واجمعوا على أن المدينة كانت تزخر بالمساجد الفاخرة والشوارع والحمامات واشهرها " حمام جنادة " الذى قيل أن رسم دخوله كان ٥٠٠ درهم فى يوم الجمعة .. وكانت أسواق الفسطاط تعج بالبخائع والتحف والحلى والذهب والحريز ، وقد اشترى " خماروية " من هذه الاسواق ما قيمته ٧٠٠ الف دينار لإبنته قطر الندى التى ذاع صيت زفافها عبر التاريخ .

وقد ظل اسم الفسطاط حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، عندما بدأ يختفى وحل محله اسم مدينة مصر ، ثم عرفت بعد ذلك باسم مصر القديمة ، وقد احترقت مدينة الفسطاط عام ١١٦٩م بأمر الوزير شاور ليحول بذلك بين الفرنجة وبين الوصول اليها واستمرت النيران تأكل هذه المدينة أربعة وخمسين يوماً .

وفيما بعد أصبحت مدينة الفسطاط جزءاً من مدينة القاهرة التى تأسست عام ٩٦٩م واتسعت تدريجياً حتى شملت الفسطاط ضمن حدودها .

أول مسجد فى افريقيا

* * *

جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ٠٠ ذلك أنه فى عام ٢١ هـ (٦٤١ - ٦٤٢ م) حينما تم لعمرو بن العاص تحرير مصر من الرومان ، وأسس مدينة الفسطاط ، وبعد تطهير الاسكندرية من فلولهم ، أقام أحد قواده " قيسيه بن كلثوم " فى حديقة فى شمال حصن بابليون ، واتخذ عمرو داره على مقربة من هذا المكان من الناحية الشرقية.

وفى هذا الوقت بعث الخليفة عمر بن الخطاب الى حكام البلاد التى حررها الاسلام يأمرهم ببناء مساجد لاقامة صلاة الجمعة ، وقد اختار عمرو لمسجد الفسطاط مكانا يشرف على النيل هو مكان حديقة قيسيه ، وعرض عليه أن يعوضه عن ذلك فأبى أن يقبل وتبرع بالارض .

بنى عمرو جامع بطول ٥٠ ذراعاً وفرش أرضه بالحصى وسقفه بسقف من الجريد حمل على ساريات من جنوع النخل تون أن يجعل له صحناً ، كما لم يجعل له مئذنة ولا محراباً مجوفاً ولا منبراً بالمعنى الصحيح ، وفتح للجامع فى كل من جوانبه الثلاثة الشرقى والبحرى والغربى بابين .. ولم يكن بالجامع زخرفة من الداخل أو الخارج .

وكان المسجد فى أول أمره يستخدم مكاناً للاجتماعات العامة ، علاوة على إقامة الشعائر الدينية فيه ، وكان الحاكم يقوم فيه بالوعظ ويصلى بالناس صلاة الجمعة ، فكان اجتماع المسلمين فى هذا اليوم فرصة لاعلان الآراء العامة ، وصار المسجد مكانا لتبادل الآراء فى الصالح العام .

وقد أدخلت على المسجد تعديلات كثيرة فى العصور التالية ، وازدادت مساحته ايضاً .. كما تعرض للعديد من الكوارث منها الحريق الذى شب فيه عام (٨٨٨ م) والحريق الذى اشعله " شاور " عام ١١٦٩ م فى مدينة الفسطاط إجتناً لوقوعها فى أيدي الفرنجة ، عندما أغار " أمورى " ملك أورشليم " بيت المقدس " على مصر ، واحترق المسجد ولم يبق منه سوى الحوائط وبعض العقود حيث استمرت النيران

مشتعلة في الفسطاط مايقرب من أربعة وخمسين يوماً .. وفي عام ١٣٠٢ م حدث
زلزال ألحق ببناء المسجد ضرراً بالغاً .. وقد أعيد بناء المسجد أكثر من مرة حتى صار
في صورته الحالية .

عند جزيرة الروضة بنى أول أسطول بحري إسلامي

وقد بنت مصر هذا الاسطول فى العقود الاولى من التاريخ الهجرى ، حيث كانت تصنع بمصر السفن الحربية لاسطول الدولة الاموية ، وكان الجزء الاكبر من هذه السفن يصنع فى " دور الصناعة " أو ترسانات عند جزيرة الروضة .. ثم تسير فى النيل الى البحر .. وبهذه السفن كسب المسلمون موقعة ذات الصوارى عام ٢٤ هـ ، ٦٥٥ م وهى موقعة حاسمة انتزعت السيادة فيها على الجزء الشرقى من البحر المتوسط من البيزنطيين وأسلمتها للمسلمين عدة قرون .

وفى هذه المعركة كان الجانب المصرى من الاسطول تحت قيادة والى مصر عبد الله بن سعد ، وأقلعت من مصر مائتا سفينة وأقلع من الشام عدد غير معروف ، وكانت سفن الاسطول البيزنطى خمسمائة سفينة .. وتفصيل ذلك أن معارية بن أبى سفيان الذى كان والياً على الشام فى عهد خلافة عمر بن الخطاب كان يشعر بالحاجة الى ضرورة وجود اسطول يشد أزره ، وقد ألح على عمر بن الخطاب فى غزو البحر ، وكتب اليه يستأذنه فى فتح قبرص ويقول " يا أمير المؤمنين ، إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم ، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص ، ولكن عمر لم يوافق حرصاً على أرواح المسلمين .

فلما توفى عمر بن الخطاب استطاع معاوية أن يظفر بموافقة عثمان بن عفان ، على شن غارة تأديبية على قبرص ، وكان ذلك عام ٦٤٩ م ، وفى السنة الثانية استولى المسلمون على ارواد ، وفى عام ٦٥٥ م عقد لواء النصر للعرب فى الموقعة البحرية الكبرى التى تسمى " ذات الصوارى " وذلك تجاه ساحل ليكيا وكان لهذا النصر البحرى أهمية بالغة ، إذ لم يمض زمن طويل حتى كان العرب يغزون صقلية ويهددون القسطنطينية نفسها .. وكان أن سيطر المسلمون على الجزء الشرقى من البحر المتوسط

ثم ساهم المصريون فى بسط سيطرة المسلمين على الجزء الاوسط من البحر المتوسط عندما انشأوا ميناء تونس ، فعندما استقر الامر للمسلمين فى شمال افريقيا ،

أرسل حاكم تونس الى عبد الله بن عبد الملك بن مروان كى يساعده فى إنشاء ميناء جديد للمسلمين بدلا من ميناء قرطاجنة الذى تهدم بسبب الحروب ، فارسلت مصر ألف بحار مصرى بعائلاتهم ، وأنشأوا ميناء تونس .

أكبر مساجد مصر

* * *

جامع احمد بن طولون بالقاهرة ، وهو يعد واحداً من أكبر مساجد العالم الاسلامى إذ تبلغ مساحته مع الفضاء الذى يحيط به ستة أفدنة ونصف ، ويعتبر جامع احمد بن طولون أول مسجد قائم بمصر حتى الآن منذ إنشائه ، إذ أن مسجدي عمرو بن العاص والعسكر قد عفا عنهما الزمن ، فالأول أحدث به تغييرات شتى أتت على المسجد الاصلى ، والثانى ضاعت معالمه ضمن ماضى من مدينة العسكر ، أما مسجد أحمد بن طولون فلا يزال حتى اليوم محتفظاً بتفاصيله المعمارية .

وقد أتم أحمد بن طولون بناء جامع عام ٨٧٨م ، وقد بنى على قطعة من الارض الصخرية عرفت قديماً باسم " جبل يشكر " وقيل إنه أراد أن يبنى بناءً إذا احترقت مصر بقى وإن غرقت بقى ، وقد بناء على نظام بناء جامع سامراء تلك المدينة العراقية التى شب فيها .. وقد بنى بن طولون جامع على دعائم بدلا من الاعمدة ، ويقال أنه طلب ذلك حتى لا يأخذ أعمدة رخامية من الكنائس .

ويتميز هذا المسجد بمنارته الوحيدة من نوعها من مصر ذات السلم الخارجى ، وهى مبنية بالحجر المنحوت نحتاً رائعاً من الخارج ، وهى مكونة من أربع طبقات الاولى مربعة والثانية مستديرة والثالثة على شكل مثلث ، أما الرابعة فتعلوها طاقية تكون معها شكل مبخرة .

يتكون الجامع من شكل مربع تقريباً يبلغ طول ظلعه ١٦٢م X ١٦١م متراً ويتوسطه صحن مكشوف مربع ايضاً يبلغ طول ضلعه ٩٢م X ٩١م ، ويحيط بالجامع من الخارج من جميع الجهات عدا جهة القبلة أروقة غير مسقوفة ويحتوى المسجد على ٤٢ باباً .

العروس الاسطورية

* * *

قطر الندى .. واسمها أسماء بنت خمارويه ابن احمد بن طولون .. عاشت بالقطائع بقصر الامارة الذي بناه جدها أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية ثم وسعه أبوها خمارويه حين آلت اليه ولاية مصر .. وكان من أروع المباني الاسلامية وكانت جدرانها موشاة بالذهب ومزخرفة بنقوش غائرة ، وكان يقع فى وسط حديقة كبيرة كانت تغرس زهورها فى أصص مزينة على أشكال الحروف والكلمات العربية ، وكان بها اشجار نادرة وبيوت للطيور وحديقة للحيوان ، وكان أكثر مايشير بها هو بركة الزنبق التى كانت فى أحد أجزاء القصر يتماوج عليها فراشه ، وقد وضع فوق قرب منفوخة وشد بحبال حريرية الى أعمدة من الفضة وعلى هذا الفراش كان ينام الملك ليطرد الارق ، وقد عثر على آثار هذه البركة .

وقد لمع اسم قطر الندى واختارها الخليفة المعتضد العباسى زوجاً له عام ٨٩٤م وكانت مصر من الولايات التابعة له ، ولذلك غالى خمارويه فى إرضاء الخليفة بتجهيزها ، وساعده على ذلك حالة مصر فى ذلك الوقت فقد كانت تستند الى بيت مال ثرى للغاية.

ولاتزال قصة هذا الزواج مضروب الامثال ، فلقد أمهرها الخليفة بمليون درهم عدا التحف والجواهر الثمينة وغيرها ، وكلف جهازها خمارويه مليون دينار ، وكان من بين جهازها دكة من أربع قطع من الذهب مشبوك فى كل طرف قرط معلق فيه حبة من الجواهر لا تقدر بثمن ، ومائه (هاون) من الذهب يدق فيها العود والطيب .

وأمر خمارويه أن يبني لابنته على رأس كل مرحلة من مراحل المسافة بين القطائع فى مصر وبغداد فى العراق قصر تنزل فيه ، حتى أصبحت هذه القصور وكأنها مدينة واحدة تمتد من شاطئ النيل لشاطئ دجلة ، أعدت فيها المخادع وعلقت الستائر وهيأت الموائد والخدم والجوارى حتى تستمتع العروس بكل ماتحتاج اليه من وسائل الراحة وكأنها فى قصر أبيها .

١٩ مدينة فى العالم تحمل اسم القاهرة

يوجد ١٩ مدينة فى مختلف أنحاء العالم تحمل اسم القاهرة منها ١٢ فى الولايات المتحدة الامريكية و ٢ فى كندا و ٢ فى ايطاليا ، وواحدة فى فرنسا ، عدا القاهرة الاولى عاصمة مصر .

وتعود قصة القاهرة الى أكثر من ألف عام مضت ، ففي يوم ٧ شعبان ٣٥٨ هـ - ٦ يوليو ٩٦٩ م ، وبعد أن أتم جوهر الصقلى قائد جيوش الفاطميين فتح مصر شرع فى بناء مدينة جديدة لتكون معسكراً لجنده ، ولتصبح عاصمة الدولة الفاطمية بعد انتقال الخليفة الفاطمى اليها من المهديّة فى تونس .

وترجع تسمية القاهرة بهذا الاسم الى أن المدينة كلها كانت قد أحيطت بالحبال ، وعُلقت عليها أجراس كثيرة ، وطلب جوهر الصقلى من المنجمين أن يستطلعوا نجوم السماء ، وعندما يبرز نجم سعيد تدق جميع الاجراس فى وقت واحد ليوضع أساس المدينة فى هذه اللحظة تفاؤلاً بمستقبل سعيد ومرموق لها .. غير أنه حدث مالم يكن فى الحسبان حيث حط أحد الطيور على الحبال فدقت الاجراس ، ووضع العمال الاساس على الفور ، وطلب القائد من المنجمين معرفة النجم الموجود فى ذلك الوقت فكان أن ظهر الكوكب القاهر (المريخ الآن) ولما رفع الامر للخليفة المعز عند قدومه الى مصر وافق على أن تنسب المدينة لكوكب القاهر ، ومن هنا أطلق اسم القاهرة ، وأضيف اسم المعزية اليها نسبة للمعز لدين الله الفاطمى .

ولكن البعض يشكك فى صحة قصة قرع الاجراس ، ويروى أن تلك المدينة الجديدة التى أنشأها جوهر سميت بالمنصورية أول الامر تيمناً باسم المنصور بالله الخليفة الفاطمى ، وحين قدم المعز لدين الله الى مصر عام ٩٧٢ م سميت القاهرة ، وقيل أن سبب هذه التسمية أن المعز لدين الله خطب فى الجيش أثناء تأهبه لفتح مصر حيث قال لجوهر " لتدخلن فى خرابات بن طولون وتبنى مدينة تقهر الدنيا " ولهذا السبب عند قدوم المعز الى مصر أطلق على المدينة الجديدة " القاهرة " .

وتم تخطيط القاهرة بحيث يتوسطها قصر الخليفة ويكون هذا القصر مركزها ، وقد أراد المعز أن يجعل القاهرة مدينة الخاصة ، وأن تبقى الفسطاط مدينة العامة ، فأحيطت القاهرة بسور مستطيل الشكل غير منتظم الاضلاع ، طول الضلع الممتد من الشرق الى الغرب ١١٠٠م وطول الضلع الممتد من الشمال الى الجنوب ١٢٠٠م وقد بلغت مساحة القاهرة في عهد المعز حوالي ٤٠٠ فدان ، وجعل للسور ثمانية أبواب أهمها بوابة الفتوح الواقعة في منتصف الضلع الشمالي من السور ، وبوابة زويلة الواقعة في منتصف الضلع الجنوبي ، وكان يصل مابين البوابتين الطريق الرئيسي الذي اطلق عليه (مابين القصرين) وهذا الطريق كان يقسم القاهرة الى قسمين متساويين تقريبا ، ثم قسمت القاهرة الى حارات كل منها نسب الى قوم أو قبيلة كانت في صحبة جوهر الصقلي .

وقد بنى الفاطميون في القاهرة قصوراً كثيرة داخل المدينة وخارجها ، وأسوة بجامع عمرو بن العاص في الفسطاط وجامع بن طولون في القطائع أنشأ جوهر الجامع الأزهر في القاهرة ، وانتهى من بنائه عام ٩٧٢ م .

وفي عهد المماليك بلغت القاهرة شأنها كبيراً من الناحيتين العمرانية والادبية وأصبحت محط أنظار العالم كله ، خاصة بعد أن بنى حولها جميعاً سوراً عظيماً عام ١١٧٦ م .

وقد تعرضت القاهرة لغزوات كثيرة ، وعلى الرغم من ذلك احتفظت بطابعها الشرقي الاسلامي على مر الزمن ، فقد هاجمها الصليبيون في القرن الثاني عشر ، وحكم فيها المماليك من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ، ثم أعقبهم الاتراك العثمانيون من ١٥١٧ - ١٧٩٨ م ، ثم الفرنسيون ١٧٩٨ - ١٨٠١ م ، ثم البريطانيون ١٨٨٢ - ١٩٣٦ م حيث أجلا عنها الى أن تم جلاؤهم عن مصر كلها في ١٨ يونيو ١٩٥٦ .

وتعد القاهرة أكبر مدينة في افريقيا والعالم العربي ، وإحدى أكبر مدن العالم .

أسوار القاهرة

* * *

عندما أقام جوهر الصقلي القاهرة أحاطها بسور من اللبن يرسم مستطيلاً غير منتظم الاضلاع ، وكان مبنياً من كتل ضخمة من اللبن ، وكان عرض الجدران يزيد قليلا عن مترين ، وكان غرض جوهر من إقامة هذا السور حول المدينة حمايتها من هجمات أعداء الفاطميين وخاصة القرامطة وأعوانهم من الاخشيديين .

وقد فتح جوهر الصقلي ثمانية أبواب فى السور وجعل فى كل ضلع من اضلاعه بابين :

ففى الضلع الشمالى يوجد باب الفتوح ، وكان يقع بالقرب من الركن الجنوبى الغربى لمسجد الحاكم ، وباب النصر وكان يقع عند إمتداد شارع بين السيارج وإلتقائه بشارع باب النصر .

وفى الضلع الشرقى كان يوجد باب البرقية ، وكان موقعه تحت تلال البرقية المقابلة لشارع الدراسة ، وينسب الى جماعة من الجنود أتوا من برقة مع جيش جوهر فى حملته لفتح مصر ، وباب القراطين الذى كان يقع بالقرب من باب المحروق الحالى فى نهاية درب المحروق بقسم الجمالية ، ويقول المقرئى أن الباب المحروق عرف بهذا الاسم لان الممالك أحرقوه عام ٦٥٢ هـ عندما علموا بقتل أميرهم أقطاي ، وكانوا قد حاولوا الخروج منه ليلا ، وكان مغلقاً كما هى العادة فى ذلك الوقت فأوقنوا فيه النار حتى سقط من الحريق ، وخرجوا منه ومنذ ذلك الحين عرف باسم الباب المحروق .

وفى الضلع الغربى كان يوجد بابان هما باب سعادة وينسب الى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله وأحد قواده ، وباب القنطرة وكان يقع على مدخل شارع أمير الجيوش الجوانى ، وقد عرف بهذا الاسم لأن جوهرأ بنى هناك قنطرة فوق الخليج المصرى لكى يمر فوقها الجيش الى ميناء المقس لرد غارات القرامطة .

وفى الضلع الجنوبى كان يوجد بابا زويلة وهما نسبة الى قبيلة من البربر بشمال

افريقيا انضم جنودها الى جيش جوهر عندما حضر لفتح مصر ، وكان موضع البابين يقع عند مسجد بن البناء وهو الذى يعرف باسم زاوية العقادين بجوار سبيل العقادين بشارع المعز لدين الله ، وسماها العامة زاوية سام بن نوح وقد بنى المسجد المذكور الحاكم بأمر الله ، وقد أزيل بابا زويلة الاصليان وبنى بدر الجمالى بدلا منهما باب زويلة الكبير القائم الى اليوم ويسميه العامة بوابة المتولى حيث كان يجلس فى مدخله "حسبة القاهرة " أى متولى تحصيل ضريبة الدخول الى القاهرة .

وكانت أهم البوابات فى عهد جوهر بوابة الفتوح فى منتصف الأسوار الشمالية وبوابة زويلة فى منتصف الأسوار الجنوبية ، وكان يصل بينهما طريق رئيسى يطلق عليه اسم (مابين القصرين) .

وقد إندثرت بعض أسوار القاهرة وبواباتها ، وبقي منها ثلاث هى باب زويلة والنصر والفتوح ، وقد أعاد بناؤها بدر الجمالى أمير الجيوش بين عامى ١٠٨٧م - ١٠٩٢م ، وكانت بوابة النصر أول بوابة أقامها بدر الجمالى ، وعليها نقش كتابى منحوت على الحجارة يسجل تلك السنة .

وقد قام صلاح الدين الايوبي بترميم أسوار القاهرة ، وحاول أن يجعل على القاهرة والفسطاط والقلعة سوراً واحداً ، وزاد بعض القطع فى سور القاهرة ، فزاد القطعة التى من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر ، كما زاد قطعة مما يلى باب النصر الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور القلعة .، وقد توفى صلاح الدين الايوبي قبل أن يكتمل بناء السور .

وقد أشار كتاب ورحالة اورييون من القرنين ١٨ ، ١٩ الى أن هذه البوابات لم يروا نظائر لها فى أى مكان إبداعا وتكاملا ورسوخاً ، ولا أقدم منها عمراً .

أقدم جامعة دينية فى العالم

* * *

عندما أسس جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى مدينة القاهرة عمام (٣٥٨هـ - ٩٦٩م) بنى الجامع الأزهر ، واستغرق بناؤه حوالى سنتين ، وأقيمت فيه لأول مرة الصلاة فى (٧ رمضان ٣٦١ هـ - ٢٢ يونيو ٩٧٢م) واكتسب هذا المسجد شهرة واسعة على مر العصور ، وأصبح أشهر مسجد فى العالم الاسلامى ، وأقدم جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية .

وقد اختلف المؤرخون حول السبب فى اطلاق اسم الأزهر على هذا المسجد ، ففريق منهم يقول أن قصوراً زاهرة كانت تحيط بالمسجد عندما أنشئت مدينة القاهرة ومن ثم سمي بالأزهر ، وذهب فريق ثان الى أن سبب تسميته هذا الاسم هو التفاضل بما يكون له من مكانة سامية بازدهار العلوم فيه ، وفريق ثالث يقرر أنه سمي بالأزهر نسبة الى فاطمة الزهراء ابنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إشادة بذكرها لأن الفاطميين ينتسبون اليها ، ويبدو أن هذا رأى الأخير هو الاصح .

وقد بدأ الأزهر يكتسب الطابع العلمى بعد ثلاثة أعوام ونصف عام من إنشائه وفى رمضان ٣٦٥هـ - أكتوبر ٩٧٥م ، وفى عهد الخليفة المعز لدين الله جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان القيروانى بالجامع الأزهر ، وقرأ كتاباً يعد مصدراً من مصادر الفقه الشيعى هو كتاب " الاختصار " الذى وضعه والده أبو حنيفة النعمان ، وقد القى البحث فى جمع حافل من العلماء الذين كتبت أسمائهم احتفالاً بهذه المناسبة ، وكان المحاضر من أقطاب الشيعة وهو أول من لقب بقاضى القضاة فى مصر ، وكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر ثم توالى حلقات بنى النعمان بالأزهر ، وكانت حلقاته دينية ذات أهداف سياسية .

وفى بداية عهد الخليفة العزيز بالله خطى الأزهر خطوة هامة فى الدراسات الجامعية ، إذ جلس يعقوب بن كلس وزير المعز ثم العزيز وقرأ كتاباً ألفه فى الفقه الشيعى وسماه (الرسالة العزيزية) ثم تطورت الدراسة بالأزهر على يد ابن كلس إذ عين سبعة وثلاثين فقيهاً للقراءة والدرس ، ورتبت لهم الدولة مرتبات شهرية ثابتة وأنشأت لهم داراً للسكن بجوار الأزهر .

وكان الأزهر فى العصر الفاطمى عنصراً هاماً من عناصر الحياة الفكرية ، وكانت تعقد فيه الى جانب الحلقات الدراسية مجالس الحكمة للنساء ، وكان له الطابع الرسمى ففيه كان جلوس القاضى فى أيام معينة ، وفيه كان مركز المحتسب العام ، وظل الأزهر يؤدى هذا الدور فى ظل الدولة الفاطمية قرابة قرنين من الزمان .

وقد أصبح الأزهر منذ أن تهاوت مراكز الثقافة الاسلامية سواء فى بغداد او فى الاندلس فى أواخر القرن التاسع الهجرى مركز الاشعاع الفكرى فى العالم الاسلامى وأعظم مركز للدراسات الاسلامية والعربية .

وكانت حلقات العلم التى عقدت بالأزهر منذ البداية تتسم بكثير من سمات الحياة الجامعية كالمناقشات العلمية الحرة التى كانت طابع هذه الحلقات ، والاجازات الدراسية والفخرية ونظام المعيينين والاساتذة الزائرين وغيرها من مظاهر الحياة العلمية التى عرفها الأزهر منذ قرن وكانت أساسا للنظم والتقاليد الجامعية التى عرفت بعد ذلك فى الشرق وفى الغرب ، ومن ثم اعتبر الأزهر أقدم جامعة دينية فى العالم .

وفى عهد الايوبيين لم يفقد الأزهر صفته الجامعية برغم تعطيل صفته كمسجد جامع وإبطال صلاة الجمعة فيه حوالى مائة عام ، وإنما سارت الدراسة به على المنهج الذى كانت تسير عليه فى عهد الفاطميين وغلبت عليها الصبغة الدينية واللغوية ، وعلى امتداد عصر المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م) اتسعت رسالة الأزهر العلمية تجاه العالم الاسلامى ، فقد شهد هذا العصر إنكماشين خطيرين على خريطة العالم الاسلامى نتيجة الزحف المغولى فى وسط آسيا وتقلص الحكم الاسلامى فى الاندلس ، وكان الأزهر هو الموئل الطبيعى لعلماء الاقطار الذين اضطروا الى ترك أوطانهم ، وبهم استطاع الأزهر أن يتقدم فى رسالته العلمية حتى وصل بهذه الصفوة من علماء المسلمين الى ذروة مجده العلمى فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين ١٤ ، ١٥ الميلاديين .

وتجدر الإشارة الى دور الأزهر فى مجال دراسة ونشر العلوم الطبيعية بمختلف فروعها المعروفة ، فقد اتجه بعض العلماء الى دراسة الطب والرياضة والفلك والهندسة والجغرافيا والتاريخ ، وظلوا يحرصون على هذه العلوم حتى فى أشد عهود التدهور والجمود السياسى والفكرى .

وفى ظل الدولة العثمانية ذات الطابع الدينى فى سياستها مضى الأزهر يؤدى رسالته فى المجالين الدينى والتعليمى ، وكان يتمتع باستقلال مالى عن الحكومة بفضل حصيلة الاوقاف مما اتاح للعلماء حرية مطلقة فى اختيار الدراسات والبحوث والكتب التى تستخدم فى التعليم بالأزهر ، وبذلك كانت الحرية بأوسع معانيها هى الطابع الذى ميز الأزهر أثناء الحكم العثمانى مما اضى عليه شخصية مستقلة لها كيانها واحترامها وجعل منه مركزاً اسلامياً عربياً قائداً للفكر الاسلامى ، يجتذب اليه كبار العلماء الذين تصدروا الحلقات الدراسية به كما اجتذب الأزهر كثيراً من طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الاسلامى .. ومما هو جدير بالذكر أن العثمانيين لم يعينوا أى عالم عثماني فى منصب شيخ الأزهر طوال الحكم العثمانى ، بل تركوا هذا المنصب الرفيع يشغله العلماء المصريون .

وعندما تعرضت مصر للغزو الفرنسى ١٧٩٨م ، نظر بوناپرت اليه على اساس انه أشهر جامعة فى العالم الاسلامى ، وقرر فى مذكراته التى كتبها فى منفاه بجزيرة سانت هيلانة (أن الأزهر يقابل جامعة السربون فى باريس) ونظر الى علماء الأزهر نظرة إجلال واحترام على اساس أن لهم صفتين الاولى انهم الصفوة الممتازة من الطبقة المستنيرة فى البلاد والثانية أنهم زعماء الشعب .. وفى اليوم الاول لدخوله القاهرة كون بوناپرت ديواناً لحكم العاصمة من تسعة أعضاء جميعهم من كبار شيوخ الأزهر برئاسة الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر ، وكان تشكيل الديوان على هذا النحو دليلاً على أهمية الجامع الأزهر ومكانة علمائه واعترافاً بزعامته .

ومع ذلك كان الجامع الأزهر ملتقى المعارضين للاحتلال الفرنسى ومركزاً للشورى ، ولذلك فقد تألفت لجنة من رجاله لتحريرها برئاسة الشيخ محمد السادات .. وعندما اندلعت ثورة القاهرة ضد الفرنسيين رأى شيخ الأزهر وكبار العلماء أن استمرار الدراسة متعذر فى مثل هذا الجو وأن من الافضل إغلاق الجامع نهائياً ، وكانت هذه هى أول مرة فى تاريخ الأزهر الحافل عبر العصور يغلق فيها الجامع الأزهر .. ولما تم اجلاء الفرنسيين عن مصر بعد احتلال دام ثلاثة اعوام عادت الحياة الى الأزهر وفتحت ابوابه واستقبل طلابه وعلماءه .

ولما تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥م واتجه الى إقامة الدولة الحديثة بدأ اتجاهه الجديد بالإعتماد على الأزهر ، فقد كان أعضاء البعثات العلمية التى أوفدها

محمد على الى اوربا من رجال الازهر ، وكان نتيجة ذلك أن قامت النهضة العلمية الحديثة في مصر على يد هذه الطليعة من الازهريين .

ولما قامت الثورة العربية كان كثير من زعمائها المفكرين من علماء الازهر وطلابه ، وكان زعيم الثورة العربية ممن تلقوا العلم في الازهر ، وبرز من صفوف الازهر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين رجال تزعموا الحياة السياسية والفكرية في مصر مثل محمد عبده والمنفلوطي وسعد زغلول الذي قاد ثورة ١٩١٩ ضد الاحتلال الانجليزي ، وقد قام أساتذة الازهر وطلابه باذكاء روح الثورة ، وكان أبرز ماحدث في هذا النور اجتماع العلماء المسلمين والقساوسة الاقباط في أروقة الازهر ، وكان المسلمون والاقباط يتناوبون الخطابة من منبر الازهر .

ومن الجدير بالذكر أن أول قانون نظامي للازهر صدر عام ١٨٧٢م لرسم كيفية الحصول على الشهادة العالمية وحدد موادها ، وفي عام ١٩٣٠ صدر القانون الثاني الذي ينظم الدراسة في الازهر معاهده وكلياته ، وفي ١٩٦١ صدر قانون تطوير الازهر وبمقتضاه قامت في رحابه جامعة الازهر .. وقد كان الازهر هو واضع اللبنة الاولى للسكان الطلابي في العالم حيث استمر طوال العصور المختلفة معهداً يأتيه الطلاب من كل صوب من أنحاء العالم الاسلامي ، وكان لكل طائفة " رواق " يعرفون به في الجامع الازهر ، ويمرور الأيام أصبحت لاتفي بالغرض فأنشأت الحكومة المصرية عام ١٩٥٩ مدينة ناصر للبعوث الاسلامية لتستقبل الوافدين من دول آسيا وافريقيا واوربا وامريكا .

كما يذكر أن الشيخ محمد عبد الله الخراشي هو أول شيوخ الازهر .. وقد ولد بقرية " أبو خراش " بشبراخيت بمحافظة البحيرة عام ١٦٠١ م ، وتخرج على يديه علماء كثيرون جاوزوا المائة من أعلام عصره وقد تولى بعضهم مشيخة الازهر ، وكان متواضعا يذهب الى السوق ويحمل حاجياته بنفسه ، وكان واسع الثقافة خاصة فيما يتعلق بعلوم التفسير والفقه على مذهب الامام مالك .. وقد توفي عام ١٦٩٠م .. وقبله

لم تكن مشيخة الازهر منصباً رسمياً بل كان السلاطين والامراء يشرفون على الازهر
ويديرون شؤنه .

مصر تهدي العالم لعبة التنس * * *

يقول المؤرخ مالكولم وايتمان الانجليزى أن اسم لعبة التنس مأخوذ من اسم مدينة
مصرية اسمها (تنيس) كانت مشهورة بصناعة قماش خاص ، وعندما جاء
الصليبيون نزل بعضهم فى هذه المدينة ووجدوا أطفالها يلعبون رياضة يستعملون فيها
كرة قماشية مصنوعة فى مدينة تنيس ، ونقلوا الكرة القماشية الى أوروبا وسموها تنس
بول أى كرة مدينة تنيس كما نقل اسم المضرب من المصريين وسمى (راهات) وهى
تعنى بالعربية لحف النخيل .

ويعد الاتحاد المصرى للتنس من أقدم الاتحادات فى العالم حيث تأسس عام ١٩٢٣
، ورغم ذلك فقد بدأ التنس فى مصر قبل هذا التاريخ بسنوات فبدأت بطولة مصر
الدولية عام ١٩٠٧ وهى بذلك تعتبر أقدم البطولات العالمية فى الفردى بعد البطولات
الأربع الكبرى وهى ويمبلدون بانجلترا التى تأسست عام ١٨٧٧ ، وفلاشينج ميدو
بأمريكا ١٨٨١ ، ورولان جاروس بفرنسا ١٨٩١ ، وأستراليا ١٩٠٥ .. وعبر تاريخها
الطويل لم تتوقف بطولة مصر الدولية سوى ثلاث مرات فقط الاولى فى الفترة من
١٩١٥ الى ١٩١٨ بسبب الحرب العالمية الاولى ، والثانية من ١٩٤٠ الى ١٩٤٥ بسبب
الحرب العالمية الثانية ، والثالثة عام ٨٦ بسبب أحداث الامن المركزى التى أدت الى
إلغائها بعد دورها التمهيدى .. وقد حصل لاعبو مصر على بطولة مصر الدولية أربع
مرات عبر تاريخها وحصل عليها عدلى الشافعى ١٩٤٦ واسماعيل الشافعى اعوام ٦٩
، ٧٣ ، ٧٤ ..

ويعد اسماعيل الشافعى أبرز لاعبى التنس فى مصر الذى استطاع أن يهزم البطل
السويدي الاسطورة بيورن بورج فى بطولة ويمبلدون للناشئين وأن يبقى لفترة طويلة
بين أفضل عشرة لاعبين فى العالم .. وهو أول عربى يفوز ببطولة ويمبلدون للناشئين ..

أما أول بطولة للفرق فى العالم وهى بطولة كأس ديفيز الذى تأسس عام ١٩٠٠ فقد
بدأ اشتراك مصر فيها عام ١٩٢٩ وحقت مصر عام ٨٥ أفضل إنجازاتها فى البطولة
حيث وصلت الى الدور قبل النهائى بعد فوزها على المجر ..

قلعة الجبل

* * *

هى القلعة التى بناها صلاح الدين الايوبى فى الطرف الشمالى من جبل المقطم لتكون مقراً لحكومته ومعقلاً لجيشه الكبير ، ونقطة دفاعية يصد منها غارات المعتدين على مصر .. ويذكر انه سبق للوك مصر فى العصر الفرعونى وفى العصر الرومانى وفى العصر الاسلامى أن أقاموا فوق هذه الصخرة وفوق مايقابلها من جبل المقطم تحصينات قوية للدفاع عن المنطقة التى تحيط بها .

وقد بدء فى بناء القلعة عام ١١٧٦م ، وتوفى صلاح الدين قبل اتمام البناء ، وتمت فى عهد الملك الكامل عام ١٢٠٨م .. وقد عهد صلاح الدين ببناء تلك القلعة الى وزيره بهاء الدين قراقوش الذى اشتهر بالشدة والصرامة ، ولم يبق من منشآت صلاح الدين بالقلعة سوى بعض أجزاء السور والابواب نظراً للتعديلات الكثيرة التى أدخلت عليها .

وكان لهذه القلعة سور وأبراج وثلاثة أبواب ، وصارت القلعة منذ أن تم بناؤها مقراً للدواوين السلطانية ودور الحكومة .. وكانت تشتمل على كثير من القصور والمساجد والمدارس والاسواق والحمامات ، وكان بها دار الوزراء وديوان الانشاء وديوان الجيش ودار النيابة وبيت المال وخزانة السلطان الخاصة والنور السلطانية ، والجب والابرار التى كان يحبس بها الامراء والمالوك الخارجون على السلطان .

غير أن القلعة لم تظل على وضعها الذى كانت عليه فى عهد الدولة الايوبية ، فقد أدخلت عليها تغييرات فى عهد المالوك وفى أيام محمد على حتى أخذت شكلها الحالى الذى نراه عليها الآن .. فقد أصلح جانباً كبيراً من سورها وأبراجها وأبوابها وأنشأ جامع محمد على وقصر الجوهرة ودار المحفوظات المقابل للباب الجديد الذى أنشئ عام ١٨٢٥م .

وأقيم بالقلعة قصر ضخم يسمى بقصر الحريم ويشرف على جبل المقطم والخطابة ، ويرجع عهده الى عام ١٨٢٧م حيث أقيم لتسكنه نساء محمد على ، ويتألف هذا القصر من ثلاثة أجنحة يشغل المتحف الحربى الآن الجناح الاوسط ومعظم الجناح الشرقى .

وقد اتخذت القلعة مقراً للملك وأقام بها ملوك مصر حتى عصر الخديو اسماعيل ،
ثم نقل مقر الملك الى عابدين منذ عام ١٨٧٤م ، وفي عام ١٨٨٢م احتل الانجليز
القلعة وأصبحت تقيم بها حامية من جنودهم .

وكان قصر الجومرة بالقلعة والذي يعتبر تحفة فنية رائعة هو المقر الرسمي للحكومة
منذ إنشائه عام ١٨١١م ومكاناً لاستقبال السفراء الاجانب ، ويعتبر أقدم قصر رسمي
لحكام مصر السابقين .

مصر تكسو الكعبة المشرفة حتى عام ١٩٦٢ * * *

حتى عام ١٩٦٢ م كانت كسوة الكعبة المشرفة ومحملها من أهم معالم رحلة الحج المصرية منذ بدء رحلات الحج .. وكانت السلطنة شجرة الدر أول ملكة مصرية كست الكعبة المشرفة ، وذلك عندما ذهبت لأداء فريضة الحج عام ١٢٥٠م وهو العام الذى بدأ فيه الاحتفال بالمحمل السلطاني ، وتولت مصر منذ ذلك الحين الصرف على تكاليف تطريز الكسوة السنوية للكعبة حتى عام ١٩٦٢ م حيث أنشأت المملكة العربية السعودية مصنعاً خاصاً لذلك .

وكسوة الكعبة المشرفة كما تؤكد الدراسات التاريخية ، كانت من أهم الاعمال التى قام بها المصريون حتى قبل الاسلام وقبل الفتح الاسلامى لمصر ، نظراً لشهرة مصر فى صناعة النسيج الذى عرف عبر التاريخ بالنسيج (القبطى) أى المصرى ، ويطلق عليه دائماً نسيج (القبطيات) وهو نسيج مشهور ، بل مستمر فى شهرته حتى الآن تحت مسميات اخرى ، وقد يستغريها البعض ، لان طريقة النسيج المصرية القديمة والمتوارثة عن الفراعنة هى التى أخذها الفرنسيون ونقلوا بها نوعين شهيرين من النسيج هما (الجويلان) و (الابيسون) .

وقد بدأ تنفيذ كسوة الكعبة بعد محمل شجرة الدر فى قصر السلطان وأشهرهم قصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى القلعة ، ثم انتقلت ورشة تطريز الكسوة بعد ذلك الى بيت أيوب جساويش بجوار مسجد السيدة زينب ثم انتقلت الى حارة المقاصيص ، وكان لها وقف عبارة عن أراضى ثلاث قرى هى بيسوس وسندبس وأبى الغيط للصرف على الكسوة ، حتى جاء محمد على ، وحل الوقف ، وأمر أن تتولى الحكومة الانفاق على تنفيذ الكسوة ونقل تصنيعها الى درب الخرنفش بباب الشعيرة فى قصر أحد الامراء من أقاربه ، وأنشأ قاعات للقصبجية الذين يقومون بحياكة وتطريز الكسوة ، وورشاً لسحب خيوط الذهب والفضة المستخدمة فى الزينة ، وقد نظم العمل فى دار الكسوة على مدى أحد عشر شهراً تبدأ من عيد الاضحى وتنتهى ببداية احتفالات المحمل .

وفور إنتهاء تطريز الكسوة واتمام استعدادها تخرج فى محمل بهيج ينتظره الناس ، وقيل أن بعض الاعيان كانوا يستأجرون منازل على مساراته لايدخلونها إلا يوم المحمل لمشاهدته ويتركونها فى باقى العام .

ويكرر محمل الكسوة فى القاهرة مرتين الاولى بعد منتصف شهر رجب ، ويكون دوراته فى يوم الاثنين أو الخميس ، ويظل المحمل فى ليلة الدوران داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ، وكان هو الباب الرسمى للدخول والخروج من القاهرة ويحمل فى الصباح ليسير تحت القلعة ، ثم يتجه الى القسطنطينية فى مصر القديمة ، ثم يعود الى القلعة مرة أخرى ليحمل الى جامع الحاكم ليبقى هناك حتى شهر شوال .

والدورة الثانية تكون فى نصف شهر شوال ليقوم بنفس الدورة ، ولكنه يعود من القلعة الى باب النصر دون الذهاب الى القسطنطينية ، ومن باب النصر الى الريدانية (العباسية) ليأخذ طريق السفر للحجاز .. وقد استبدل فى فترات تاريخية حديثة مسجد الامام الحسين لبقاء المحمل بدلا من جامع الحاكم ليعرض خلال هذه الفترة على الناس .

المعركة التى أنقذت العالم من الدمار * * *

فى النصف الاول من القرن الثالث عشر خرجت من قلب القارة الآسيوية جيوش ضخمة من التتار الذين نجح جنكيز خان فى توحيد قبائلهم بعد حرب متواصلة ، ومن ثم انطلقت تلك الموجات البشرية ، المخربة خارج حدودها واكتسحت ببشاعة ماحصادف طريقها ، ودمرت وخربت وقتلت مئات الالوف من البشر .. وغزوا تركستان وماوراء النهر وإيران ، وسقطت بغداد فى أيديهم واتخذوا طريقهم الى حلب واحتلوها عام ١٢٦٠م ، وأسرت دمشق وغيرها الى الاستسلام لهولاكو ، وبذلك خضعت سوريا لسيطرة التتار ولم يبق خارجاً عن حكمهم فى الجانب الشرقى العربى إلا مصر والحجاز واليمن .

فى هذه الفترة كانت الدولة الايوبية قد انتهت ، ودخلت مصر فى حوزة ممالك هذه الدولة الذين سموا بالمماليك البحرية ، وكان أول هؤلاء السلطان عز الدين أيبك التركمانى الذى تولى حكم مصر عام ١٢٥٠م ، وتزوج شجرة الدر ، ولما قتل تولى الملك بعده ابنه على ولقب بالملك المنصور ، وهو صبى لايزيد عمره على ١١ سنة فقام بأمر الدولة الأمير سيف الدين قطز ، وقد وقعت فى عام ١٢٥٨م كارثة سقوط بغداد فى يد التتار ، وزالت الخلافة العربية ، فخلع قطز الملك الصغير وتولى هو الملك عام ١٢٥٩م ولقب بالملك المظفر .

وقد واجه قطز منذ بدء حكمه تهديد التتار لمصر ، اذ أنهم بعد أن استولوا على بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم استولوا على سوريا بأسرها ، وتقدموا نحو غزة يخرّبون وينهبون ويدمرون كل مايقع فى طريقهم .

وأرسل هولاكو رسله الى قطز يحملون انذاراً له بالخضوع والتسليم فى خطاب شديد اللهجة جاء فيه " يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الاعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه ، فلکم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمننا مزدجر ،

فاتعظروا بغيركم واسلموا إلينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ .. فنحن لانرحم من بكى ولا نرى لمن شكى ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب ، فأى أرض تؤيدكم وأى طريق تتجيبكم وأى بلاد تحميكم .. فما لكم من سيوفنا خلاص ولا من مهايتنا مناص .. سيوفنا صواعق وعدنا كالرمال ، فالحصون لدينا لاتمنع والعساكر لقتالنا لاتنفع ودعاؤكم علينا لايسمع .. فقد أنصفناكم إذ راسلناكم وأيقظناكم إذ حذرناكم " .

وكان رد قطز أن قطع رموس رسل هولاكو وعلقها على باب زويلة ، وجمع جيش مصر وزحف الى العريش ثم بلغ حدود فلسطين قبل أن يجمع التتار قواتهم ، وكان يعكسر معظمها فى سهل البقاع بين جبال لبنان ودمشق بقيادة قائدهم الكبيسـ كتيبغا نوين " .

وارتفعت الروح المعنوية عندما تمكن الظاهر بيبرس (وكان فى ذلك الوقت أحد قواد قطز) بطليمة الجيش من طرد حامية المغول من غزة .. وزحفت الجيوش المصرية حتى وصلت وعسكرت بالقرب من شرق عكا .

وفى عين جالوت التى تقع بوادى جالوت غرب بحيرة طبرية المطلة على وادى نهر الاردن التقى جيشا مصر والمغول يوم الجمعة ٢ سبتمبر ١٢٦٠ م .. أقبل كتيبغا معتمدا على قوته ، وكان قطز قد عبأ الجيش فى كمين ، ثم امتطى جواده وثبت مع نفر قليل من شجعان الفرسان ، وقابل كتيبغا مع عدة آلاف من الفرسان ، وقذف التتار سهامهم وحملوا على المصريين فتراجع قطز ، وتمعقه التتار ، وعندما بلغوا الكمين انقض المصريون من ثلاث جهات على جنود المغول ، وقتلوهم قتالا مستميتاً من الفجر حتى منتصف الليل ، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول واحقت بهم الهزيمة آخر الامر ، وظل كتيبغا يكافح بشدة الى أن كبا جواده فأسر وحمل مكبلاً الى قطز ، وحكم عليه بالموت .

وسرعان ما أخلى التتار دمشق وحلب وغيرها من المدن السورية ، ولانوا غاريسن

معتصمين بقمم الجبال ، وطاردهم المصريون وأفنوا أعداداً كبيرة منهم ، وهرب من سلم منهم الى الشرق ، ولم تكن تلك الهزيمة هى الاخيرة للمغول على يد المصريين بل لقد اصطدمت بهم جحافل المماليك فى معارك شتى وهزمتهم .

إن موقعه عين جالوت أنقذت العالم المتحضر كله من الدمار ، إذ كانت أول هزيمة تحل بالمغول لأول مرة فى تاريخهم ، مما كان سبباً فى زوال ذلك الاعتقاد الخاطيء بأن التتار لا يقهرون ، ولم تقم لهم بعد هذه المعركة قائمة .. ولو انتصر التتار فى ذلك اليوم لفعلوا بمصر كما فعلوا فى البلاد الاخرى ، ولتغير التاريخ .

وقد قدم الى مصر فى أوائل عصر السلطان الظاهر بيبرس طائفة من التتار واعتنقوا الدين الاسلامى ، وازداد عددهم فى عهد السلطان العادل ، واتخذوا حى الحسينية مقراً لهم .

خان الخليلى

* * *

يقع الى جوار المكان الذى كان يشغله القصر الشرقى الكبير الذى أنشأه " جواهر القائد " وهو يشغل المكان الذى أعد فيه جواهر القائد المقبرة التى أنشأها لتضم رفات سلاطين الفاطميين وأسلاف المعز وخلفائه ، وسميت " تربة الزعفران " .

وقد سمي بخان الخليلى نسبة الى الامير جهاركس الخليلى ، الذى نبش قبور المقبرة وجمع عظامها وألقاها على التلال خارج القاهرة بدعوى أن الفاطميين كانوا كفاراً لا يستحقون الاحترام .. وبالرغم من هذا الاعتداء على رفات الموتى وعدم احترام مافى القبور ، فانه وقف الخان وغيره من العقارات وجعل ريعها خبزاً يوزع على فقراء مكة المكرمة ، وفى عام ١٤٠٤ م استبدل الخبز نقوداً .

ومما يذكر أن هذا الامير قتل بدمشق عام ١٣٨٩م وتركت جثته عارية فى الفضاء تنهشها الوحوش .

وفى عام ١٥١١ م هدم السلطان الفورى خان الخليلى ، وأنشأ مكانه محلات ووكالات يتم الوصول اليها من ثلاث بوابات ، إثنان متقابلتان وتنتهيان من أعلى بمقرنصات وزخارف غاية فى الابداع ، والثالثة فى الطرف الغربى المؤدى الى المشهد الحسينى .

ويتمتع خان الخليلى بشهرة سياحية عالمية ، ويقصده السائحون من جميع أنحاء العالم ، لاقتناء مايباع فيه من تحف ذهبية ونحاسية وأقمشة شرقية ومصنوعات شرقية من العاج والصدف والرخام .

إسلاميات

المصريون والبيت العتيق :

ساهم المصريون كثيراً بالنسبة للبيت العتيق ، ذلك أن هاجر هي أم اسماعيل الذي اشترك مع ابراهيم عليهما السلام في بنائه ، وفي عهد الظاهر بيبرس قامت عليه مصر ، وانفقت مالاً جزيلاً بل أن السلطان بيبرس بنى بيديه مع البنائين ، ثم تصدع البناء أيام الاتراك العثمانيين فقام المصريون على بنائه أيضا ، وأرسل والى مصر كل مايلزم لهذا البناء ، وبعث بالبنائين وأتوات البناء ، ثم أعيد بناؤه أيام محمد على على أيدي المصريين .

وحتى في هذه المرة الاخيرة التي قامت المملكة العربية السعودية فيها ببناء الحرم ، قام البناء على تصميم وضعه مصريون ورسم القاهرة ، ونفذ على أيدي مهندسين وبنائين مصريين .

مدفع رمضان :

عند غروب أول يوم من رمضان عام ٨٦٥ هـ أراد السلطان المملوكى (خشقدم) أن يجرب مدفعاً جديداً وصل اليه ، وقد صادف إطلاق المدفع وقت المغرب بالضبط ، فكان سرور الناس عظيماً ، حيث ظنوا أن السلطان تعمد إطلاق المدفع لتنبيه الصائمين الى أن موعد الافطار قد حان ، فخرجت جموع أهالى القاهرة الى مقر الحكم ، لشكر السلطان على هذه البدعة الحسنة التى استحدثها فلما رأى السلطان مدى سرورهم قرر المضى فى إطلاق المدفع كل يوم إيداناً بالافطار ، كما زاد على ذلك مدفعى السحور والامساك .

وكالة الغورى :

تعتبر أكمل وكالة اثرية احتفظت بالكثير من تفاصيلها فهي تتكون من فناء فسحح تحيط به مخازن تشغل الدور الارضى منها ، تعلوها بيوت صغيرة تشغل الادوار

العلوية ، وكانت معدة لنزول التجار القادمين بتجارتهم الى مصر ، وكانت غرف الوكالة حتى عهد قريب مملوكة للأهالى ، ولما ساء وضعها اخلتها مصلحة الآثار ونزعت ملكيتها ، وشرعت فى تنظيمها ويشغل غرفها الآن فنانون تشكيليون ، كما أن بها مركزاً لأحياء الحرف التقليدية .

أول دولة عربية عرفت الصحافة * * *

تعتبر مصر أول بلد عربي عرف الصحافة ، فعندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر عام ١٧٩٨م أحضرت معها مطبعتين واحدة بحروف لاتينية والثانية بحروف عربية ، وأصدرت صحيفتين فرنسيتين هما " لوكوربيه دي ليجبت " أى " بريد مصر " وصدر العدد الاول منها فى ٢٩ أغسطس ١٧٩٨ ، وكانت هذه الصحيفة شبه رسمية ، تصدر لجنود الحملة الفرنسية وتتضمن مواداً اعلامية تعمل على التخفيف من وحشة إغتراب الجنود ، ورفع روحهم المعنوية والثانية صحيفة " لاديكاد ايجيبسين " أى " العشرية المصرية " لان علماء الحملة كانوا يعتزمون إصدارها كل عشرة أيام ، وقد تخصصت فى معالجة المواد العلمية والادبية والقانونية دون السياسية ، وكان فى نيتهم اصدار صحيفة عربية باسم " التنبيه " ولكن تخرج موقفهم فى مصر حال دون ذلك .

ولما رحلت الحملة أخذت معها المطابع والحروف ، وظلت مصر دون مطابع حتى عام ١٨١٩ حين أسس محمد على والى مصر مطبعة بولاق ، وفى عام ١٨٢٧ أصدر محمد على أمره بإصدار " جرنال الخديو " وقد كان فى الواقع يهدف الى إصدار نشرة خاصة لاطلاعه هو نفسه ونفر من خاصته على شئون البلاد وماليتها ، ولكنه لم يلبث أن لمس حاجة الشعب الى الاطلاع على أعمال الحكومة فأمر بتوسيع نطاق جرنال الخديو .. الذى تحول الى صحيفة الوقائع المصرية وهى الجريدة الرسمية الاولى فى مصر والبلاد العربية ، وقد صدر العدد الاول منها فى نهاية ١٨٢٨ ، وكانت تصدر بالعربية والتركية فى البداية ثم اقتصر على العربية بعد ذلك .

وأول صحيفة يصدرها فرد فى مصر كانت صحيفة فرنسية اسمها " لومونيتور إجيبسيان " أى " الرائد المصرى " أصدرها رجل فرنسى " كامى تودل " عام ١٨٢٣ بتشجيع من محمد على الذى جعلها جهازاً من أجهزة الدعاية له .. أما أول صحيفة يصدرها مواطن مصرى فكانت " وادى النيل " وأصدرها عبد الله ابو السعود عام ١٨٦٧ .

وفى عام ١٨٦٥ أصدر د. محمد على البقل باشا وابراهيم الدسوقي مجلة " يعسوب " وهى أول مجلة طبية فى الوطن العربى ، وصدرت فى السنة نفسها " الجريدة

العسكرية المصرية " حيث لم تستطع الوقائع المصرية وحدها أن تنفرد بنشر التفاصيل التي تتصل بهذا الجيش .

وتوالى بعد ذلك اصدار الصحف والمجلات وأبرزها " روضة المدارس " عام ١٨٧٠ وكان يديرها رفاة رافع الطهطاوى ، وكان لروضة المدارس طابعها الثقافى المتميز ، فقد كانت صحيفة ديوان المدارس ، وكانت توزع على التلاميذ مجانا ، كما كانت محفلاً لكل كتاب العصر وعلمائه .

وفى عام ١٨٧٦ أصدر اللبنانيان سليم وبشارة تكللا جريدة الاهرام فى الاسكندرية ثم نقلت عام ١٨٩٨ الى القاهرة حيث بلغت فى فترة قصيرة من الزمن شأناً بعيداً من التقدم والانتشار وكانت اسبوعية ثم أصبحت يومية ، وكانت أول صحيفة عربية تستخدم آلات الجمع السطرى العربى ..

وأول صحيفة كاريكاتورية فى العالم العربى هى " أبونظارة " ليعقوب صنوع وصدرت عام ١٨٧٧ ، وقد صارت الحكومة جريدته لغلوه فى النقد والتجريح ضد رجال الدول والسياسيين الاجانب ونفتة الى باريس ، وهناك استأنف إصدارها تحت أسماء " أبوزمارة " و " أبو صفارة " و " الحارى " وذلك لتفكك من الرقابة .

وفى عام ١٨٨١ صدر أول قانون للمطبوعات فى مصر ، وكان أول تشريع يحدد واجباتها ويقيّد حقوقها ، وقد اشتمل على ٢٣ مادة كان أهمها إيداع مبلغ (١٠٠ جنيه) مقابل الحصول على الترخيص ، وكان من حق الحكومة الامتناع عن اعطاء الترخيص أو نزع الترخيص فى أى وقت تشاء كذلك حرمت ورود الصحف من الخارج .

وبدأت الصحافة بعد الاحتلال البريطانى لمصر مرحلة جديدة حيث رأت سلطات الاحتلال ألا تقف نون حرية الصحافة ، فألغت العمل بقانون المطبوعات حيث كان الانجليز فى أمان بعد النكسة التى أصابت الثورة العرباية وإحساس المصريين بالأحباط . ولما اشتدت الحركة الوطنية مرة أخرى أحييت قانون المطبوعات وحالت دون دخول مجلة العروة الوثقى التى يصدرها جمال الدين الافغانى ومحمد عبده فى باريس عام ١٨٨٤ .

وفي عام ١٨٨٦ صدرت في اسبوط أول صحيفة محلية في مصر وهي صحيفة "النزهة" وأصدرها جورجى خياط و خليل ابراهيم ويوسف تادرس وهي نبذة نصف شهرية ثم تحولت بعد ذلك الى اسبوعية .

وظهرت في هذه الفترة صحف تدافع عن حقوق الباب العالي في مصر ، وصحف تدافع عن مصالح فرنسا فيها وأخرى تدافع عن الانجليز ، غير أن الوطنيين لم يلبثوا أن انشأوا صحيفة المؤيد عام ١٨٨٩م وكان صاحبها الشيخ على يوسف ، وكان لها مراسلون في عدد من عواصم الشرق والغرب وكانت أول صحيفة في مصر تستخدم طباعة روتاتيف (نواره) وذلك عام ١٩٠٦ ... وفي عام ١٨٩٢ وبعد أن عاد عبد الله النديم الى مصر أصدر مجلته الاسبوعية "الاستاذ" وتم نفيه من مصر فنزح الى يافا ، بعد أن اغلق صحيفته وودع قراءه .. وفي عام ١٩٠٠ أصدر مصطفى كامل " اللواء " .

ولما انتهت الحرب العالمية الاولى وتفجرت ثورة ١٩١٩ صدرت الصحف الحزبية فكان لحزب الاتحاد الموالي للسراى صحيفة الاتحاد ولحزب الوفد عدة صحف أهمها " البلاغ " و"كوكب الشرق " " والجهاد " " وروز اليوسف " " والمصرى " ، ولحزب الاحرار الدستوريين "السياسة" وعندما انشق أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى عن الوفد وكوينا الهيئة السعدية أصدرنا صحيفة الدستور " والاساس " وأصدر الحزب الوطنى " العلم المصرى " والدفاع الوطنى " وأصدر حزب الشعب " صحيفة الشعب " وجماعة مصر الفتاة " الصرخة " ولما تحولت الى حزب أصدرت صحيفة "مصر الفتاة " وأصدر الاخوان المسلمون جريدة " الاخوان المسلمين " وأصدرت الكتلة الوفدية "الكتلة".

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت صحف قديمة قد اختفت وظهرت صحف جديدة كان أبرزها " أخبار اليوم " لمصطفى أمين وعلى أمين عام ١٩٤٤ ، وبعد ثورة ١٩٥٢ توقفت صحف كثيرة عن الصدور لالغاء الاحزاب ، وأصدرت الثورة بعض الصحف والمجلات منها الجمهورية ومجلة التحرير .. وتمهيدا للقوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليو ١٩٦١ صدر فى ٢٤ مايو ١٩٦٠ قانون تنظيم الصحافة نقلت بمقتضاه ملكية نور صحف " الاهرام " " والهلل " وروز اليوسف ، وأخبار اليوم " الى الاتحاد القومى الذى حل محله بعد ذلك الاتحاد الاشتراكى .

ولما صدر قانون الاحزاب عام ١٩٧٣ وقامت الاحزاب التى سمح القانون بقيامها
أصدرت صحفا أسبوعية وكان أهمها " مايو " عن الحزب الوطنى الديمقراطى "
والاحرار" عن حزب الاحرار " والامالى " عن حزب التجمع الوطنى التقدمى
الوحدى " والشعب " عن حزب العمل الاشتراكى " والوفد " عن حزب الوفد الجديد .

الحجر الذى وضع أساس علم الآثار المصرية * * *

حجر رشيد .. ففى أثناء الحملة الفرنسية على مصر وفى اغسطس ١٧٩٩م عثر الضابط الفرنسى " بيير فرانسوا بوشارد " بالصدفة على حجر من البازلت فى حائط قلعة جوليان برشيد عندما كان جنود الحملة يحفرون الخنادق بالقرب من مصب نهر النيل برشيد .. ولذلك عرف بحجر رشيد .. ويبلغ ارتفاعه ١١٣سم وعرضه ٧٥ سم وسمكه ٢٧ سم .

وكان الغرض من الحجر أن يكون وثيقة عامة وأثرا يسجل عليه الكهنة المصريون الشكر لبطلليموس لانه عمل على إراحتهم من الضرائب وكان ذلك عام ١٩٦ ق.م ويحتوى الحجر على ثلاث كتابات ، هى الهيروغليفية للكهنة والديموطيقية للعامة والاغريقية للاغريق الموجودين فى مصر (كان الاغريق يحكمون مصر فى ذلك الوقت) .. ثم سقط الحجر ودفن بين الاطلال حتى تم اكتشافه .

وترجع أهمية حجر رشيد الى أنه كان الأداة التى استطاع بها جين شامبليون فى عام ١٨٢٢ أن يحل رموز الكتابة المصرية مما وضع الأساس للعلم المعروف " بعلم الآثار المصرية " وفتح مجالا واسعا للبحث فى هذا الميدان ، وكانت الطريقة التى تمكن بها شامبليون من حل رموز الكتابة المصرية القديمة هى أنه اكتشف أن الاسمين بطليموس وكليوباترا مكتوبان بالاحرف الهيروغليفية والحرور الاغريقية على الاثر نفسه ، فاستطاع بذلك تحديد أصوات اثنى عشر رمزاً من الرموز المستعملة فى كتابة هذين الاسمين ، وأثبت أنها حروف هجائية ، وحينئذ تمكن شامبليون من قراءة عدة أسماء أخرى من أسماء الملوك والملكات ، ولم يكن ليستطيع قبل ان يصل الى هذه المرحلة الاستفادة من حجر رشيد الذى مكنه من زيادة عدد مايعرفه من الرموز الهيروغليفية ومن معرفة معانى الكلمات ، وقبل أن يموت عام ١٨٣٢ كان قد وضع مؤلفاً صغيراً فى قواعد الهيروغليفية وأعد معجماً صغيراً فى هذا المجال .. ويوجد حجر رشيد الآن فى المتحف البريطانى بمدينة لندن .

محمد على وحلم مصرى الملامح * * *

مهما قيل فى شخص محمد على ومهما قيل فى عصره ، فإن محمد على هو الذى أدخل مصر والبلاد العربية فى العصور الحديثة ، أنشأ دولة وحكومة ثابتة مستقلة شملت معظم الدول العربية ، وأنشأ من ما يشبه العدم جيشاً ضخماً حديث العدة والإعداد وبنى أسطولا قوياً واجه الدول الكبرى وحقق إنتصارات باهرة ، وأصلح الادارة والاقتصاد وضاعف الاراضى المزروعة أكثر من مرتين وشيد المستشفيات وشق الترع ، وأدخل مصر والعرب فى عصر التصنيع .

تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥ م ، ووجد أن إصلاح أمور الدولة يبدأ بإصلاح الجيش ، وجاءت الفرصة عام ١٨٢٠ بعد أن فرق الجيش القديم فى أماكن بعيدة ، وكانت الخطوة الاولى افتتاح المدرسة الحربية فى أسوان التى زودها محمد على بالضباط والمعلمين ممن تشبعوا بالنظام العسكرى الجديد ، وتم إعداد ألف ضابط فى هذه الكلية خلال ثلاث سنوات شكلوا النواة الاولى للجيش المصرى الحديث .

ثم انطلق محمد على فى مشروعه فأنشأ المستشفى العسكرى الاول ثم مدرسة الطب ثم المدرسة الحربية للمشاة ثم مدرسة أركان الحرب بالخانكة ، وقد دعم محمد على تدريب جيشه بإرسال فرقته الى ميادين القتال المختلفة فى الجزيرة العربية والسودان وبلاد اليونان ، وفى مطلع ١٨٢٤ كان قد أنشأ معسكراً كبيراً للجيش فى الخانكة كان يضم ما يقرب من ٢٥ ألف من الجنود النظاميين ، وأرسل عدداً من المصريين الى أوروبا لإكمال دراستهم الحربية ليحلوا محل المدربين الاجانب ، وتوسع فى إنشاء المدارس العسكرية وترجمة الانظمة العسكرية الفرنسية الى اللغة العربية ، وكانت كافة تنظيمات الجيش المصرى مماثلة لجيش نابليون تماماً .

ثم أنشأ أول الترسانات العسكرية فى القلعة لتزويد الجيش بالاسلحة ، ثم أنشأ الى جانبها مصانع أخرى ، مثل مصنع البنادق فى الحوض المرصود ومصنع البارود بجزيره الروضة ، وفى عام ١٨٣٩ بلغ التعداد العام للجيش المصرى ما يقرب من ربع مليون جندي وهو رقم عظيم للغاية بالمقياس الى جيوش الدول العظمى فى ذلك الزمان .

وقد اهتم محمد على بالاسطول البحرى فبدأ فى تشكيل نواته عام ١٨١٠ عندما أنشأ ترسانة بولاق ، وظل يعتمد على شراء بعض السفن الحربية من أوروبا حتى حدثت موقعة نافارين الشهيرة ، وقرر محمد على بعدها تشييد أسطول جديد بأيدى مصرية حتى لا يكون أسطوله رهن الإرادة الأوربية ، فبدأ العمل فى إنشاء ترسانة الاسكندرية عام ١٨٢٩ وماهى إلا سنوات حتى كان لمصر اسطول بحرى قوى وكانت ترسانة الاسكندرية واحدة من أعظم المنشآت الحربية.

ورأى محمد على أن بناء الجيش الحديث لا يكون دون اقتصاد قوى فأنشأ عدة مصانع لصب الحديد وغيره من المعادن ، ومصانع لجميع أنواع الاقمشة ، وتطورت فى عهده صناعة الغزل والنسيج تطوراً ملحوظاً ، وبعد أن كانت لوازم المصانع تستورد من الخارج أصبحت تصنع محلياً ، وأدخلت الآلات البخارية فى المصانع ، وأرسل بعثات من العمال الفنيين للاطلاع على أحوال الصناعة فى أوروبا واكتساب المهارات ، ولتطوير صناعة الحرير عنيت الدولة بغرس أشجار التوت وتطوير مصانع الصباغة والالوان .. واهتمت الدولة بتطوير صناعة سبك الحديد والواح النحاس والمواد الغذائية ، والعناية بزراعة قصب السكر وتصنيعه .

ومع ازدهار الصناعة اتسع نطاق التجارة وازداد حجم الصادرات ولاسيما من القطن ، وقد وفر ذلك الاعتمادات اللازمة لتطوير الصناعة وبناء الدولة ، وقد ساعد الاسطول التجارى الذى انشأته السلطات المصرية الى جانب الاسطول الحربى فى توسيع رقعة التجارة حتى بلغ مجملها خمسة ملايين جنيه سنوياً ، وقد اقتضى ذلك تطهير البحر الاحمر وجميع خطوط المواصلات البحرية من القراصنة ، كما اقتضى ذلك العناية بالطرق الداخلية ، وكان من نتائج ازدهار الصناعة والتجارة أن قامت الحكومة ببناء القناطر وشق الطرق وتشيد المستشفيات وبناء المدارس وإنشاء الخطوط التلغرافية وتنظيم البريد وإنشاء دار المحفوظات لحفظ الوثائق .

وكان محمد على قد بدأ فى السنة التالية لتوليهِ السلطة إصلاحاته الزراعية ، فقام بشق العديد من الترع التى أحيت الكثير من الاراضى الزراعية وسهلت المواصلات وزادت مساحة الاراضى المزروعة من مليون فدان عام ١٨٢١ الى ٣ مليون فدان عام ١٨٣٣ ، وكان القطن المعروف فى مصر من النوع الرديء ، فشجع على زراعة نوع من القطن النادر طويل التيلة فأحدث بذلك إنقلاباً فى ميدان زراعة القطن .

وقد أدرك محمد على أن تأسيس الدولة الحديثة لا يتم إلا عبر التعليم ، وكانت الخطوة الأولى استقدام المدرسين الأجانب وإرسال البعثات الى الخارج من أجل إعداد كوادر من المتعلمين تعليماً عالياً ، وقد بدأ محمد على باختيار بعض المتخرجين من الأزهر لإمداد المدارس العالية ، وقد أصبح الكثيرون منهم في غضون سنوات قليلة أساتذة بارزين ، وأنشأ محمد على مدرستين للهندسة في القلعة وبولاق ومدرسة للطب في أبي زعبل حيث يوجد المستشفى العسكري وألحق بها حديقة لزراعة النباتات لاستخراج العقاقير منها ، ثم قسمت الدراسة فيها الى قسمين لتخريج الأطباء والصيادلة ، ثم أنشأ مدرسة القابلات والولادة ، كما أنشأ مستشفى خاصاً للنساء .

كما أنشأ محمد على مدرسة الترجمة (اللسن فيما بعد) عام ١٨٣٦ وكان لها شأن كبير في النهضة الفكرية بالعالم العربي ، كما أنشأ مدرسة المعادن في مصر القديمة ومدرسة المحاسبة بالسيدة زينب ثم مدرسة الفنون الى جانب مدرسة الزراعة ببنبره أولاً ثم بشبرا بعد ذلك ، ومدرسة الطب البيطري برشيد ، ثم في أبي زعبل ثم في شبرا وأنشأ مطبعة بولاق لتمد هذه المدارس بما تحتاجه من كتب ومؤلفات .

لقد أراد محمد على أن يقيم دولة عربية مستقلة تضم كافة الدول العربية وتكون نواتها مصر ، وكاد أن يحقق ما أراد لولا تدخل الدول الأوروبية ، فقد استطاع تحقيق ما عجزت عنه الدولة العثمانية وأخذت الحركة الوهابية ، وبسط نفوذه على سائر أنحاء الجزيرة العربية ، ووصلت الجيوش المصرية الى اليمن والخليج العربي ثم بدأ تدخل بريطانيا ، كما ضم السودان ، وقاد حملته الى بلاده المورة في اليونان لخماد ثورة اندلعت هناك لولا تدخل الدول الأوروبية التي حطمت الاسطول المصري عام ١٨٢٧ ، واستطاعت الجيوش المصرية بعد ذلك أن تبسط سيطرتها على الشام وأصبح الطريق مفتوحاً الى الاستانة مما أذهل الدول الأوروبية التي تدخلت كالعادة ، وضغطت ببريدانيا وفرنسا عليه لقبول صلح كوتاهية ١٨٣٣ وأعطى محمد على بمقتضاه حكم بلاد الشام وابنه ابراهيم حكم (أطنه) على ألا يكون لهما الحق في توريثهما من بعدهما .

وهكذا قامت بفضل جيش مصر الحديث دولة عربية تمتد من أطنه شمالاً الى غندكرو بالسودان جنوباً ومن الخليج العربي شرقاً الى برقة غرباً ، ولم يبق سوى العراق التي حاول محمد على ضمها لولا دسائس الانجليز وعندما استأنف

السلطان العثماني الحرب ضد محمد علي عام ١٨٣٩ وحلت الهزائم الفادحة بجيوشه وأصبح الامر لمحمد علي لامحالة ، عملت انجلترا على تأليب الدول ضد مصر وعقد إتفاق في لندن عام ١٨٤٠ ونص على أن يعرض السلطان على محمد علي أن يكون له حكم مصر حكماً وراثياً وولاية عكا طول حياته ، وأن يكون لولاية مصر حقوق في إدارة البلاد تحت سيادة الدولة العثمانية ، وإذا لم يقبل محمد علي هذه الشروط في عشرة أيام يحرم من ولاية عكا ، فاذا لم يقبل فللسلطان الحق في إتخاذ أى طريق تشير به عليه مصالحه الخاصة ومصالح حلفائه ، وتعهدت الدول الاوربية بمساعدة السلطان فعليا ضد محمد علي .. وكان هذا الاتفاق كارثة على مصر وعادت الدول العربية بعد ١٨٤٠ الى ماكانت عليه من الانقسام .

أول مطبعة فى مصر

* * *

مطبعة بولاق .. ذلك أن الحملة الفرنسية بعد أن رحلت عن مصر عام ١٨٠١ أخذت معها مطابعها ، وظلت مصر بلا مطابع حتى ١٨١٩ حين أسس محمد على والى مصر مطبعة بولاق ، وطُبعت فى البداية قاموساً عربياً إيطالياً ، وفى عام ١٨٢٨ طُبعت جريدة الوقائع المصرية ... وقد تأسس بعدها عدد من المطابع الصغيرة منها مطبعة مدرسة الطب بأبى زعبل ، ومطبعة الطوبجية (المدفعية) بطرة ، ومطبعة ديوان الجهادية ومطبعة ديوان الخديوى ومطبعة القلعة وغيرها .

وقد مرت فترة من الركود بمطبعة بولاق ، وفى ٧ أكتوبر ١٨٦٢ أهداها سعيد باشا لعبد الرحمن رشدى بك الذى بدأ تجديدها ، ولما تولى اسماعيل حكم مصر اشتراها من صاحبها لحساب الدائره السنیه وجلب لها محركاً بخارياً وهو أول محرك بخارى يستخدم فى مطبعة مصرية ، كما أضيفت لها طابعة للطبع بالالوان وقامت فى تلك الفترة بطبع الطوابع الأولى للبريد المصرى ، واستحوقت مطبوعات بولاق الميدالية الفضية فى معرض باريس الذى أقيم عام ١٨٦٧ .. وفى عام ١٨٧٤ تم طبع أول كتاب باللغة الايطالية بمطبعة بولاق وهو " النخبة الترجمانية فى اللغة التليانية " ، وفى يونيو ١٨٨٠ انتقلت ملكية المطبعة الى الحكومة المصرية.

ويلاحظ أن الافراد المصريين لم ينشئوا مطابع قبل ١٨٣٧ عندما بدأوا التعرف على الاهمية التجارية لها ، أما الاجانب فقد انشأوا مطبعة فى الاسكندرية حوالى عام ١٨٢٤ .

وعرفت القاهرة أول مطبعة أفرنجية عام ١٨٤٢ وهى مطبعة " ميلونى " ، وفى عام ١٨٦٠ أسس " أنطون موريس " بالاسكندرية مطبعة جلب لها أول طابعة اتوماتيكية عرفت بها مصر .. وفى عام ١٨٦٧ أسس " بناسون " بالاسكندرية أول مطبعة حجرية فنية اجنبية بمصر .

وفى عام ١٨٦٦ أنشئت أول مطبعة لطبع صحيفة هى مطبعة وادى النيل التى انشئت اساساً لطبع صحيفة وادى النيل ، وقد طبعت هذه المطبعة الى جانب ذلك بعض

الكتب منها كتاب " القراءة والكتابة للعميان " وهو أول كتاب من نوعه يصدر في مصر والبلاد العربية .

وفي عام ١٨٧٢ أنشئت مطبعة أركان حرب الجيش المصرى بالقلعة وهى من أوائل المطابع فى الشرق العربى التى طبعت بالالوان .

وفي عام ١٨٩٨ أنشئت مطبعة مصلحة المساحة وهى أول مطبعة فى مصر تقتنى مطبعة اوفست ، وقد نالت مطبوعاتها الدبلوم والميدالية الذهبية فى المعرض الدولى الذى أقيم فى مدينة " لياج " ببلجيكا عام ١٩٣٠ .

وكانت مطبعة المعهد الفرنسى للأثار الشرقية التى بدأت نشاطها فى عام ١٨٩٨ هى أول مطبعة فى مصر استخدمت الحروف الهيروغليفية .

وفي عام ١٩٠٦ اشترى الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد لجريدته أول مطبعة دائرية (روتاتيف) فى الشرق العربى .. وكانت مطبعة الهلال أول دار صحفية ادخلت طباعة (الروتغرافور) الى الطباعة الفائرة .

هذا الرجل دُون تاريخ مصر

هو عبد الرحمن حسن الجبرتي (١٧٥٤-١٨٣٥) .. أرسله والده وهو طفل الى مدرسة السنانية القريبة من منزلهم بالصنادقية ليحفظ فيها القرآن الكريم ، وأتم حفظه في سن الحادية عشرة ، ثم التحق برواق الشام بالازهر ليتعلم أصول الدين على مذهب الحنفية ، وتزوج الجبرتي في الرابعة عشرة من عمره ، وبعد موت أبيه ورث عنه ثروة ضخمة مادية وأدبية .

وكان الجبرتي يعمل في ديوان القضايا حين دخل الفرنسيون مصر ، وقد اختاره الجنرال ميتو آخر قواد الحملة الفرنسية عضواً في الديوان الثالث الذي انشأه هذا القائد ، ومن أهم مؤلفات الجبرتي كتابه " عجائب الآثار في التراجم والخبار " أرخ فيه الاحداث يوماً بيوم ، ولقد وقعت أجل الاحداث في عصره من قبيل دخول الفرنسيين مصر الى فترة كبيرة من عهد حكم محمد علي ، فدون في تاريخه كل ماجد فيها في تلك الفترة حسب مارأه وماسمعه ، وأعقب كل سنة بتراجم من مات فيها من الأمراء وكبار العلماء والاعيان ، وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية .

وعند الجبرتي دون المؤرخين جميعا نشعر أننا نعيش في بيئة مصرية خالصة ، نجد الاسماء والاماكن والعطفات والدروب التي لانزال نرى كثيراً منها ، وهو ياخذنا دائماً كي نعيش بين هذه الاماكن ونشهد بأعيننا وعواطفنا هذه الوقائع والاحداث ، كما نجد التعبيرات المصرية الخالصة والامثال المصرية البحتة التي خلفتها البيئة المصرية ، وتفاصيل كثير من ثورات شعب مصر في وجه حكام مصر الظالمين ، وهو لم يسجل مواقف المكافحين من سادة القوم وزعمائهم فحسب بل سجل مواقف الأولاد البلد في القاهرة والاقاليم .

وقد نال كتاب عجائب الآثار في التراجم والخبار تقديراً كبيراً من الباحثين والعلماء ، فقد ترجم قسم منه الى اللغة التركية بأمر من السلطان سليم الثالث وهو القسم الخاص بالحملة الفرنسية . وقد ترجم الكتاب كله الى الفرنسية في تسعة أجزاء.

كان الجبرتي يدين بولاء واحد ، هو ولاء لمصر وحدها وهذا سر مانجده من مظاهر التناقض في تدوينه لأحداث عصره وتسجيله سير العظماء من رجاله ، فهو تارة يبدو صديقا مدافعا عن الممالك يمدحهم ويذكر مآثرهم وأخلاقهم وصفاتهم باكبار وتعظيم ، وتارة يسخط على أعمالهم وأخلاقهم وصفاتهم ، وهو على كراهيته القوية الواضحة المتأصلة لمحمد على يسجل له بعض ما أقدم عليه من عمل صالح كان يرى فيه الجبرتي منفعة لمصر ، وهو على صدق تدينه وإيمانه يمدح في مناسبات كثيرة الفرنسيين وقائدهم ، ولكن هذا تناقضا ظاهرا فقط فقد كان الجبرتي يعيش الأحداث والرجال بمقاييس الصدق والحقيقة والخير ، فهو يمدح للممالك ما يصنعون من خير ويذم لهم ما يفترون من شر ، وذلك حاله مع الفرنسيين .

وقد أصيب الجبرتي بمحنة قاسية في آخر حياته ، ففي فجر أحد الأيام كان ولده خليل عائدا من قصر محمد على في شبرا - حيث كان يعمل فلكيا - خرج عليه جماعة وأخذوا يضربونه حتى قضوا عليه وخنقوه ثم ربطوه بحمار ، فلما أصبح الصبح عرفه الناس ووجدوا على صدره دفاتر مكتوبة وأسطرلاباً لرصد النجوم ، وقد قيل أن رجال محمد على هم الذين قتلوه للخلاف الموجود بين محمد على والجبرتي .. ولقد تحطمت حياة الجبرتي بموت ابنه على هذه الصورة ، وكان قد فرغ منذ شهور من تهذيب كتابه الخالد وانشغل بعدها في تنوين كتاب عن أحداث " الثورة اليونانية " كما وضع كتاب "مظهر التقديس في ذهاب دولة الفرنسيين" وترجم الى الفرنسية والتركية .

وترك الجبرتي القراءة والكتابة والتأليف ، وعاش في حزن وصمت حتى ذهب بصره ثم توفي .

وقد بقي تاريخ الجبرتي بالعربية محجوباً أو ممنوعاً حتى أذن الخديو توفيق بطبعه ، فطبع لأول مرة بالمطبعة الاميرية عام ١٨٨٠ م .

أول خط سكك حديدية فى الشرق

* * *

كانت مصر هى أول دولة فى الشرق تعد خطاً لسكة حديد وبدأت فى انشاءه عام ١٨٢٥ م وتم افتتاحه عام ١٨٥٤ وهو الخط بين القاهرة والاسكندرية ثم مد الى طنطا عام ١٨٥٥ حتى تم توصيله الى القاهرة فى عام ١٨٥٦ واشرف على اقامته الانجليزى روبرت ستيفنسن ابن جورج ستيفنسن مخترع القاطرة البخارية .. وما أن تم مد هذا الخط حتى بدىء فى مد خط جديد من القاهرة الى ميناء السويس عبر الصحراء وتم افتتاحه لحركة النقل فى نوفمبر ١٨٥٨ وبذلك اكتملت الحلقة التى ربطت بين البحر الاحمر والبحر المتوسط . وسهلت الاتصال بين الشرق والغرب .

أما الوجه القبلى فقد بدىء فى مد شبكة الخطوط الحديدية اليه فى عام ١٨٦٧ م حيث وصلت الى ملوى فى عام ١٨٧٠ تم توالى مد باقى الخطوط .. أما خط حلوان فقد أنشئ بين عامى ١٨٧٠ و ١٨٧٢ وقد قامت الحكومة فى عام ١٩٥٦ بكهربة الخط وانشاء خط اضافى له فى سفح الجبل الشرقى ليخصص لسير قطارات البضائع التى تخدم المصانع المنشأة بالقرب من حلوان .

وفى ٢٧/٩/٨٧ تم افتتاح اول مترو أنفاق بأفريقيا والعالم العربى وهو مترو الانفاق بالقاهرة الذى يمتد من حلوان الى رمسيس فى مرحلته الاولى .

ومما يذكر أن أول خط حديدى فى العالم قد مد بين مدينتى ستوكتن ودارلنجتون بانجلترا عام ١٨٢٥ ، واشرف على إقامته جورج ستيفنسن الذى اطلق على قاطرته البخارية اسم " الروكيت " وكانت سرعتها ٣٥ ميلا فى الساعة وهى محفوظة الآن فى متحف لندن لوسائل النقل .

وفى متحف السكك الحديدية بميدان رمسيس بالقاهرة الذى أفتتح عام ١٩٣٣ يوجد نماذج عديدة تبين تطور النقل والسكك الحديدية فى مصر والعالم من فجر التاريخ وخاصة عند قدماء المصريين ، فهناك نموذج مجسم يبين كيف كان الفراغة ينقلون تمثالا يزن ستين طناً على زحافة بنظام هندسى بديع ، ونماذج تبين وسائل المواصلات

والنقل فى عهد الاغريق والرومان ، واقسام أخرى تعرض مجموعة كبيرة من النماذج تشرح تطورات القاطرات الاولى فى العالم ومصر ، ومن بينها نموذج لأول فكرة للقاطرات التى ظهرت عام ١٧٨٣ ، وأخرى لأول قاطرة سارت بمصر عام ١٨٥٤ ، كما يوجد نماذج وصور للمحطات القديمة والحديثة وأنواع كبارى السكك الحديدية وتطورها وتاريخها .

أول مجلس نيابى فى مصر

* * *

مجلس شورى النواب الذى اجتمع لأول مرة فى ٢٢ اكتوبر ١٨٦٦ فى فترة حكم الخديوى اسماعيل ، ويبدو أن هدف اسماعيل من وراء إنشاء هذا المجلس كان تحقيق المزيد من السيطرة على كبار الاعيان الذين تكون منهم المجلس وكسب تأييدهم السياسى ودعمهم المالى له ، وتحسين صورة عهده أمام المحافل الاوربية والبنوك التى كان يقترض منها .

وتألف المجلس من ٧٥ عضواً ينتخبون لمدة ٢ أعوام ، ويكون الانتخاب حسب تعداد السكان فى كل منطقة ، وتتمثل الهيئة الناجبة فى مشايخ البلاد وعمدها فى المديرىات ، والاعيان فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ، ولم يكن يمثل هذه المدن الثلاث الكبرى سوى ستة أعضاء ، وهكذا سيطرت عناصر من كبار ملاك الارض على المجلس ولم يكن للصناع أو التجار أو المتعلمين وجود يذكر فيه ..

ويشترط فى النائب أن يكون مصرياً ممن يتصفون بالرشد والكمال ، لا يقل عمره عن ٢٥ سنة ، ولا تكون قد صدرت ضده أحكام جنائية أو طرد من وظائف الحكومة أو حكم عليه بالافلاس وألا يكون من الفقراء المحتاجين ، أو من موظفى الحكومة والعسكريين ، كما وضع شرط معرفة القراءة والكتابة على أن يطلق بالنسبة للناخبين بعد ٣٠ سنة مراعاة لظروف انتشار الامية فى البلاد ، ويتمتع أعضاء المجلس بالحصانة الجنائية أثناء دورة إنعقاده إلا إذا ارتكب أحدهم جريمة القتل ، ويعقد المجلس دورته لمدة شهرين كل سنة من منتصف ديسمبر الى منتصف فبراير ، ويكون اختيار رئيس ووكيل المجلس من حق الخديوى .

وكان المجلس لا يناقش سوى المسائل التى تعرضها الحكومة عليه ، كذلك فإن سلطة المجلس استشارية وليست قطعية ، ومن ثم فإن ما يصدر عنه هو بمثابة توصيات ليست ملزمة للخديوى وإنما ترفع له وهو يمتلك سلطة إصدار القرار .

وفى ١٧ مايو ١٨٧٩ تقدم محمد شريف باشا بمشروع اللائحة الاساسية التى تعد

أول مشروع دستور نيابى برلمانى فى مصر ، وفى ٢ يوليو قدم الى المجلس مشروع اللائحة الانتخابية .

وحسب مشروع اللائحة الاساسية فقد كان للمجلس الذى تكون من ١٢٠ عضواً سلطة البرلمانات الحديثة مثل اقرار حق الميزانية والقوانين واعتبار النظارة (الوزارة) مسئولة امامه ، وحق النواب فى توجيه الاسئلة والاستجابات الى النظار (الوزراء) ، كما أعطى المجلس حق انتخاب رئيسه ووكيله وحق الحكم فى صحة انتخاب نوابه دون تدخل أى جهة اخرى .

أما النائب فهو يمثل الامة بأسرها وليس دائرته الانتخابية فقط ، ومنع الجمع بين النيابة والنظارة والنائب حر فى إبداء رأيه ويتمتع بالحصانة البرلمانية .. وأعطيت اللائحة للخديوى الحق فى حل المجلس والدعوة الى انتخابات جديدة فى حالة الخلاف بين المجلس والنظارة ورفض الاخيرة الاستقالة .

ولكن هذا التطور سرعان ما أوقف نتيجة للتدخل الاوربى واصدار السلطان فرماناً بخلع الخديوى اسماعيل وتنصيب الامير توفيق بدلا منه فى ٢٦ يونيو ١٨٧٩ ، وقام الخديوى بفض مجلس شورى النواب وعطل الحياة النيابية مايزيد على عامين ، ورفض التصديق على اللائحة الاساسية ، ثم رشح لذلك فى النهاية بعد تصاعد حركة أحمد عرابى فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ ودعا لانتخاب أعضاء مجلس شورى النواب تبعاً لأحكام اللائحة الاساسية .

وبعد الاحتلال الانجليزى لمصر أقامت سلطة الاحتلال نظاماً للحكم يضمن مصالحها فصدر القانون النظامى فى أول مايو ١٨٨٣ والذى يعد نكسة فى التطور الدستورى لمصر .. ونص على تعدد المجالس وهى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، ولا يمكن القول بأن ذلك يعد أخذاً بنظام المجلسين ، فهذا يفترض اختلاف طريقة تكوين كل مجلس بينما كان الوضع أن مجلس شورى القوانين يدخل بكامل هيئته فى تكوين المجلس الآخر كما أن رئيس الاول هو رئيس الثانى ، بالاضافة الى الطبيعة الاستشارية للمجلس فى الغالب .

وفى أول يوليو ١٩١٣ صدر قانون نظامى جديد يسمح بتمثيل متوسطى ملاك الاراضى الزراعية ، وفى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وأنشئت الجمعية التشريعية التى لم تختلف كثيراً عن التنظيمات السابقة من حيث مقوماتها وأسسها وطبيعتها الاستشارية .. وكانت الجمعية تتكون من ٨٣ عضواً تعين الحكومة منهم سبعة عشر لتمثيل الأقليات والمصالح ويكون من بينهم الرئيس وأحد الركيلين ، وهكذا ادخل القانون تمثيل الطوائف التى قصد بها تمثيل الاقليات الدينية والمصالح الاقتصادية والطائفية مما يكرس الفروق الدينية والاجتماعية ، وعقدت الجمعية التشريعية دورتها الاولى فى ٢٢ يناير ١٩١٤ .

وقد نص دستور ١٩٢٣ على أن الاختصاص التشريعى فى يد البرلمان - أى مجلسى النواب والشيوخ - والملك بحيث لا يصدر قانون إلا اذا أقره البرلمان وصدق عليه الملك .

وتكون البرلمان - حسب المذكرة التفسيرية للدستور - من مجلسين تحوطاً من امكانية استبداد البرلمان إذا كان مكوناً من مجلس واحد ، وتلافياً للخطأ والتسرع إذ يقوم كل من المجلسين بمراجعة أعمال الآخر وتصحيح الاخطاء ، ولكن المذكرة لم تشر الى حقيقة أن مجلس الشيوخ كان أقل ديمقراطية فى تكوينه وأكثر تعبيراً عن الطبقات الثرية فى المجتمع ، كما تميز بأن للملك حق تعيين خمسى أعضائه ولذلك يرى البعض أن السبب الاساسى لاتباع نظام المجلسين هو إحداث التوازن بين الاتجاهات الديمقراطية والشعبية للنواب . والاتجاهات الاستبدادية للقصر والطبقات التى رأت فى الحركة الشعبية خطراً على مصالحها .. وبخصوص العلاقة بين المجلسين فلا يصدر قانون الا بموافقة المجلسين وفى حالة الخلاف بينهما يسقط القانون باستثناء الميزانية فيعقد اجتماع مشترك للمجلسين فى هيئة مؤتمر ويؤخذ التصويت بالاغلبية المطلقة .

ولكل منهما حق اقتراح القوانين باستثناء حق اقتراح إنشاء الضرائب أو زيادتها فقد قصر على الملك ومجلس النواب ، كذلك فان مناقشة الميزانية يجب أن تبدأ فى مجلس النواب ، وهو الذى يستطيع سحب الثقة بالوزارة .. ولايجوز الجمع بين عضوية المجلسين كما لايجوز الجمع بين عضوية أى منهما وتولى الوظائف العامة ، ولم يحدد الدستور عدد أعضاء المجلسين ولكن ربط بين عدد الاعضاء وعدد سكان البلاد ، فعوض مجلس الشيوخ المنتخب ينوب عن ١٨٠ ألفاً من السكان وعضو مجلس النواب ينوب عن ٦٠ ألفاً .

عندما مات مائة ألف مصري من أجل قناة السويس

* * *

إن فكرة شق قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر فكرة قديمة .. وكانت تعود الى الحياة بين الحين والحين ، ولكن اتساع التجارة بين أوروبا والهند والشرق الأقصى حفز الناس على التفكير في طريق أقصر ، حيث كانت السفن المتجهة من أوروبا الى الهند تنور حول افريقيا ، وكان من الطبيعي أن يكون الانجليز هم أول من يفكروا في حفر قناة السويس بسبب اتساع تجارتهم ، ولكن الفرنسيين هم الذين سبقوا الى العمل رغبة في ترسيخ أقدامهم في الشرق ، فعندما غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨م قام بإجراء مسح للمنطقة إلا أنه صرف النظر عندما اكتشف وجود فرق قدره ١٠ أمتار في المنسوب بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ، مما جعل الامر يبدو مستحيلا ولكن تبين بعد ذلك أن هذا الاكتشاف كان خاطئا .

وفي ٧ نوفمبر ١٨٥٤ استطاع الفرنسي فرديناند ديلسبس - الذي كان يعمل قنصلا مساعداً لحكومته في الاسكندرية - أن يتقرب من الامير محمد سعيد الذي تولى عرش مصر ، فاتصل به وعرض عليه مشروع حفر قناة السويس التي تمتد من ميناء بور سعيد في البحر المتوسط الى ميناء السويس في خليج السويس المؤدى الى البحر الأحمر ... وتمكن في ٣٠ ديسمبر ١٨٥٤ من أن يحصل على امتياز حفر القناة.

وفي ١٨٥٦ تكونت الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وساهمت فيها مصر وتركيا وفرنسا واخذت مصر ٤٤٪ من الاسهم ، ووقع الاختيار بين عديد من التصميمات على التصميم الذي أعده مهندس ايطالي لامع يسمى " لويجي نيجريللي " .

وقد تعهدت الحكومة للشركة بتقديم العمال بالسخرة .. وفي ٢٥ ابريل ١٨٥٩ بدأ العمال المصريون يحفرون القناة دون أن يتقاضوا أجراً ، وكان يرسل منهم لهذا العمل ستون ألف كل شهر ، في وقت لم يكن يزيد فيه مجموع سكان مصر كلها على أربعة ملايين نسمة ، ومات من هؤلاء العمال تحت الانهيارات الرملية ما يزيد على المائة ألف دون دفع أى تعويض عنهم ، ووضعت البلاد تحت تصرف الشركة جميع وسائل النقل

البرى والنهرى تستخدمها لىون أن تدفع اجراً ، وقامت الجهود المصرية فى كل من
ترسانة القاهرة والاسكندرية باعداد المشروعات اللازمة لإكمال حفر القناة .

ولمصر يعود الفضل الاول فى تمويل عمليات حفر القناة ، فقد بدأت الشركة برأس
مال لايتجاوز ١٥ مليوناً من الجنيهات ، ولكن تكاليف حفر القناة وصلت الى مايزيد
على ١٦ مليون جنيه ، فتحملت مصر الفرق كاملاً ، ثم لم تستطع الشركة الحصول
على تمويل خارجى يبيع أسهمها فى الاسواق الدولية ، فاشتريت الحكومة المصرية هذه
الاسهم ، ثم تدخلت مرة أخرى لمساعدة الشركة حين توقف العمل بها قبل افتتاحها
بسته أشهر عندما دفعت مصر ١٥ مليون جنيه ، ولم تكتف الشركة بذلك بل تحت
ستار بعض المحاولات من جانب حكام مصر لتعديل جانب من الشروط المهيئة فى عقد
الالتزام تقاضت الشركة من مصر حوالى ٣ مليون جنيه مقابل إلغاء السخرة
واسترداد بعض الاراضى الصحراوية الزائدة عن حاجة القناة .. ولولا هذه الجهود
المصرية ما أمكن لمشروع قناة السويس أن يشق طريقه .

وفى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ أقيم احتفال أسطورى بمناسبة إنتهاء أعمال حفر قناة
السويس ، حيث غادر ميناء بور سعيد أسطول مؤلف من ٢٠ سفينة يتقدمه اليخت
الامبراطورى الفرنسى " إيجل " الذى أقل فرديناند ديلسبس والامبراطورة أوجيىنى
زوجة نابليون الثالث ، وقد سار الاسطول يتهدى فى القناة حتى نهايتها حيث وصل
الى السويس ثم اقيمت الحفلات أثر هذا الافتتاح .

وبعد أن رفضت بريطانيا فى البداية المساهمة فى شركة قناة السويس ، إلا انها
تراجعت بعد أن وضحت أهميتها بل أن الملكة فيكتوريا كرمت ديلسبس ومنحته وسام
"نجمة الهند " واخذت تتحين الفرصة حتى وانتهى بعد وقوع مصر فى الديون ، واشترت
حصه مصر فى الشركة عام ١٨٧٥ بـ ٤ مليون جنيه ، وأصبحت تملك اغلبيه الاسهم ،
ومنحت الشركة حق إدارة القناة ٩٩ سنة ثم احتلت بريطانيا مصر .

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ تم تأميم شركة قناة السويس بعد أن انسحبت الولايات
المتحدة وبريطانيا من مشروع تمويل الأسد العالى ورفض البنك النولى تمويله ، وفى
ذلك الوقت كان دخل مصر من القناة مليون جنيه فى حين كان مجموع دخل القناة ٣٥
مليون جنيه .. وعلى الرغم من إعلان مصر بانها ستمنح الدول المالكة التعويض

المناسب ، إلا أن إنجلترا وفرنسا واسرائيل قامت بشن العدوان الثلاثى على مصر فى ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ فى محاولة لاستعادة الصفة الدولية السابقة للقناة ولكنهم لم يلبثوا أن أذعنوا للأمر الواقع .. وفى عام ١٩٦٧ نتيجة للعدوان الاسرائيلى على مصر اقفلت قناة السويس وظلت كذلك حتى افتتاحها للملاحة فى ٥ يونيو ١٩٧٥ بعد انتصار مصر فى حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .. لتعود أقرب شريان ملاحى يربط الشرق بالغرب .

أول من نادى بتعليم المرأة

* * *

رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) .. ولد فى طهطا فى مسعيد مصر ، وتنقل بين مدن الصعيد ، وحفظ شيئاً من القرآن الكريم ، وبعد وفاة والده أرسلته والدته الى القاهرة حيث التحق بالأزهر وتلقى العلم من شيوخه ، وظل فى الأزهر ثمانية أعوام ، ولما تخرج فيه اشتغل بالتدريس فى الجامع ، وكان فى هذه الفترة يسافر الى بلده حيث يلقي بعض الدروس على الطلاب .

وفى عام ١٨٢٤ م عين رفاعة الطهطاوى إماماً وواعظاً فى الجيش ، وفى عام ١٨٢٦ اختير إماماً للتلاميذ البعثة المصرية المسافرة الى باريس ، فاشتغل بتعلم اللغة الفرنسية وأدائها ، وانصرف الى الترجمة فنقل عدداً من الكتب الادبية والتاريخية والجغرافية والرياضية والعسكرية ، وسجل رحلاته فى كتاب " تخلص الابريز فى تخلص باريز " وفيها رسم صورياً من حياته فى باريس والحياة الاجتماعية فى فرنسا فى القرن التاسع عشر .

وقد اصيب رفاعة بضعف فى عينه اليسرى أثناء اقامته فى باريس نتيجة للمذاكرة والتحصيل ، حتى نصحه الطبيب بعدم القراءة ليلاً ، ولكنه لم يعتزل لأوامره حتى لايعرق ذلك تقدمه .

وعاد رفاعة الطهطاوى الى مصر عام ١٨٣١ ، وعين مترجماً فى مدرسة الطب بأبى زعبل ، وكان يرأسها كلوت بك ، وبعد عامين نقل الى مدرسة التوجيه مترجماً ، وعندما أنشئت مدرسة الاسن عين مديراً لها وأستاذاً بها ، ثم ألحق بالمدرسة قلم الترجمة ، وقد بلغ عدد الكتب التى ترجمها خريجوا المدرسة حوالى ألفى كتاب ، وكان لحركة الترجمة هذه أبعاد الاثر فى النهضة الفكرية فى القرن التاسع عشر .

ولما تولى عباس الاول الحكم كان الطهطاوى قد أقدم على ترجمة " دستور فرنسا " ونشره مفسراً ماجاء فيه من بنود عن " حقوق العوام " ، وبوشاية من بعض المشايخ المتعصبين أرغوا صدر عباس على رفاعة الطهطاوى ، وكان دليلهم هذا الكتاب ، وهدفهم إبعاده عن التعليم خوفاً على طرق تدريسهم التقليدية من المدرسة التربوية

الحديثة التى كان يبشر بها فى مدرسة الالسن التى مالبت أن أغلقها عباس هى الأخرى فيما أغلق من مؤسسات كثيرة ، وإذا بعباس ينتزعه من مدرسة الالسن ويختار له نظارة أول مدرسة ابتدائية مصرية فى الخرطوم .

وبعد وفاة عباس الأول وتولى سعيد بسبعة أيام فقط صدر أمر بإلغاء مدرسة الخرطوم ، وعاد رفاعة الى مصر وعين وكيلا للمدرسة الحربية ثم ناظراً لها فمديراً لمدرسة الهندسة ومدرسة العمارة مع الاحتفاظ بقلم الترجمة ، ولكن هذه المدارس جميعاً لم تلبث أن ألغيت فظل رفاعة الطهطاوى بلا منصب حتى عهد اسماعيل ، وإعادة قلم الترجمة من جديد فعين عضواً فى " قومسيون المدارس " وهو المجلس الأعلى الذى كان يشرف على التعليم والحركة التربوية .

وقد قام رفاعة الطهطاوى بجهود كثيرة فى ميدان الصحافة ، فعمل على تنظيم جريدة الوقائع المصرية ، وهى أول صحيفة عربية فى مصر والعالم العربى ، كما قام بالإشراف على مجلة " روضة المدارس " وبأشر تحريرها إبنه على بك فهمى .

ولاحظ رفاعة الطهطاوى أن كتب النحو المستخدمة فى المدارس جارية على الأسلوب العتيق ولا تصلح للعصر الحديث ، فوضع كتاباً جديداً أسماه " التحفة المكتبية فى القواعد والاحكام والاصول النحوية بطريقة مرضية " وحاول فى هذا الكتاب أن يبسط القواعد النحوية ويخلصها من الشوائب والتعقيدات وعرضها على شكل جداول حتى يتمكن الطلبة من حفظها .

كما ألف رفاعة كتاباً فى تعليم المرأة أطلق عليه " المرشد الامين للبنات والبنين ، وقد يكون ظهور مثل هذا الكتاب اليوم حدثاً عادياً ، أما ظهوره عام ١٨٧٢ فقد كان حدثاً غير عادى ، إذ تناول فكرة تعليم المرأة بالتحليل والتفصيل وخرب الامثلة من التاريخ فى وضوح وجلاء ، وروى أخبار كثير من النساء الشهيرات ، وكتب فصلاً بعنوان " تشريك البنات مع الصبيان فى التعلم والتعليم وكسب العرفان " جاء فيه " ينبغى صرف الهمّة فى تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرته الأزواج ، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك .. فان هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ويجعلهن

بالمعارف أهلاً فيعظمون في قلوبهم ، ويعظم مقامهم لزوال ما فيهن من سخافة العقل
والطيش "

بهذه الروح كان رفاعة الطهطاوي أول من دعا إلى تعليم المرأة ، والتحرر من قيود
الجهل والخروج إلى نور المعرفة .

أول سلام وطنى مصرى * * *

اهتم المؤرخون للدولة المصرية القديمة بالحديث عن الموسيقى فى قصور الملوك الفرعنة ، ولكنهم لم يتحدثوا عن الموسيقى الرسمية أو اللحن الذى يعزف عند قدم الملك لإحدى الاحتفالات الرسمية وربما كان ذلك لعدم وجود لغة تكتب بها الموسيقى فى ذلك الوقت .

وكان أول سلام وطنى مصرى حفظت لنا ألحانه المتميزة هو السلام الوطنى الذى بدأ عزفه فى عهد الخديو اسماعيل وظل هو السلام الوطنى حتى ١٩٦٠ .. ولم تحفظ كتب التاريخ الموسيقى الطريقة التى أصبحت بها هذه الموسيقى سلاماً وطنياً ، ويقول البعض أن الموسيقى الايطالى " فيردى " كتب ألحان هذا السلام ، وعزف للمرة الاولى عام ١٨٧٢ ، ويقول البعض الآخر أن ألحان هذا السلام ليست إلا المقدمة الموسيقية (الكائنات) التى قدمت لأول مرة فى افتتاح دار الاوبرا وعزفت للمرة الاولى عام ١٨٦٩ .

وفى سنة ١٩٦٠ صدر القرار الجمهورى بإتخاذ سلام وطنى جديد وهو المؤسس على لحن كمال الطويل لنشيد " والله زمان ياسلاحى " للسيدة ام كلثوم ، ولم يكن هناك كلمات مصاحبة للحن لذا كان يطلق عليه السلام الجمهورى .. وفى عام ١٩٧٤ صدر قرار جمهورى بالاكْتفاء بعزف الجزء الاول منه فقط ، إلا أنه اجرى تعديل آخر عام ١٩٧٥ بالعودة لعزفه بالكامل كما كان .

وفى عام ١٩٧٩ صدر قرار جمهورى بتعديل السلام الجمهورى لجمهوريه مصر العربية الى اللحن الخالد لفنان الشعب سيد درويش " بلادى بلادى " والذى أعاد توزيعه الموسيقار محمد عبد الوهاب ، ثم صدر فى ديسمبر ١٩٨٢ قرار جمهورى بمراعاة أن تصاحب كلمات المقطع الاول من نشيد بلادى بلادى " النوتة الموسيقية فى جميع الاحتفالات الشعبية والوطنية ، وأن يقتصر السلام الوطنى على عزف النوتة بغير نشيد فى حالة استقبال الرؤساء والوفود الاجنبية ، وفى غير ذلك من الاحوال التى تقتضى عزفه مع السلام الوطنى لدولة أجنبية .

قصر عابدين

* * *

كان فى الاصل قصراً صغيراً تملكه " حسن شاه خاتون " أرملة محمد بك عابدين أحد أمراء المماليك ، وقد أوقفته واشتراه الخديو اسماعيل من أصحاب الاستحقاق فى الوقف مقابل ١٨٠ فدانا بعزبة برحكيم بالدقهلية ، وعدت بذلك حجة شرعية باسم الخديو شخصياً ، وقد بناء الخديو بمبالغ وصلت فى ذلك الوقت الى حوالى ٧٠٠ ألف جنيه بخلاف نفقات تأثيثه بأفخر الاثاث والتحف بما لا يقدر بثمن .

وقد بدأ العمل فى بناء قصر عابدين عام ١٨٦٣ م وانتهت عام ١٨٧٤م وظل منذ ذلك الحين المقر الرسمى للدولة بدلاً من قصر الجوهرة بالقلعة .. وأقيم على مساحة قدرها ٢٤ فدانا تشغل الحديقة منها ١٩ فدانا ، وتبلغ مساحة القصر نفسه خمسة أفدنة .

وقد أقام الخديو اسماعيل فى أحد جوارب القصر ثكنات الحرس الخديوى ، ثم فتح شارع عابدين وشارع عبد العزيز وجعلهما من الطرق المؤدية الى القصر وخطط منطقة عابدين كلها ورسم ماكان حولها من برك مثل بركة الناصرية وبركة السقاين وبركة الفوالة ، ثم أدخلت تعديلات بعد ذلك حيث هدم حى الفوالة الذى يقع خلف بنك مصر ، وأنشئ حى أرض شريف مكان سراى محمد شريف باشا رئيس وزراء مصر الاسبق

وكان الحى الرئيسى فى عابدين حينذاك هو شارع البلاقسة ومايحيط به ويتفرع عنه من حارات ، وكان حى الشيخ عبد الله فى ذلك الوقت جبانة أزيلت ولم يبق من معالمها غير مسجد الشيخ عبد الله وضريح الشيخ ريحان ومدفن عماد الدين صاحب الشارع الشهير المجاور لضريحه ، وقد كان عماد الدين هو الخادم الخاص لصلاح الدين الايوبي .

أول وزارة في مصر * * *

نظارة نوبار باشا التي تشكلت في ١٨٧٨/٨/٢٨ م .. ويذكر انه كان مسموحاً فقط للسلطان العثماني في تركيا باطلاق اسم الوزارة في تركيا ، أما في البلاد التابعة فهي مجرد نظارة .. ويرجع سبب تشكيل هذه النظارة الى أنه نظرا لتدهور الاوضاع الاقتصادية في عهد اسماعيل واستمرار الضغط الاوربي لضمان الانتظام في سداد الديون ، أوصت لجنة التحقيق العليا وهي لجنة أوربية في يناير ١٨٧٨ ببحث أسباب العجز في الإيرادات واقترح أوجه العلاج ، بتغيير نظام الحكم وبضرورة نزول الخديو عن سلطته المطلقة ، وكان مبعث هذا الاقتراح رغبة انجلترا في زيادة قبضتها وسيطرتها على مصر .. وبالفعل تكونت نظارة نوبار باشا وقد شكلها من رياض باشا للداخلية وراتب باشا للجهادية وعلى باشا مبارك للوقاف والمعارف العمومية ، واحتفظ لنفسه بوزارتين هما الخارجية والحقانية (العدل) ، وبعد مرور شهر أصدر الخديو مرسوماً بتعيين مستر ريفرس ويلسون الانجليزى ناظراً للمالية ومسئودى يلينز الفرنسى ناظراً للاشغال العمومية ، وهنا يتضح أن إنشاء نظام الوزارة في مصر لم يكن دعماً للحركة الدستورية بل تكريساً للنقوذ الاجنبى بمعنى أنه حد من سلطة الخديو من أجل مصلحة القوى الاجنبية .

وكان من القرارات التي اتخذتها هذه النظارة تسريح ٢٦٠٠ ضابط مما أشعل المعارضة لها في خارج وداخل مجلس شورى النواب ، وقام الضباط بمظاهرة في ١٨/فبراير / ١٨٧٩ مما أدى الى إعفاء الوزارة في ١٨٧٩/٢/٢٣ .

ومن الجدير بالذكر أن نوبار باشا لم يكن مصرياً ، بل كان أرمنيا ولد في أزمير عام ١٨٢٤ ، وتعلم في فرنسا وسويسرا ، ثم جاء الى مصر وعمل بالترجمة ، ثم سكرتيراً خاصاً لابراهيم باشا ، ثم سكرتيراً لعباس باشا ، ثم مديراً للسكة الحديد في عهد سعيد ، ثم رسولا لاسماعيل في أوروبا لحل المشكلات (الممثل الشخصى) وكان صاحب فكرة المحاكم المختلطة ، وعندما تقرر انشاء الحكومات تم اختياره أول رئيس للحكومة المصرية .

وفي ١٨٧٩/٤/٧ كلف محمد شريف باشا بتأليف أول نظارة مصرية خالصة تكون

مستنولة أمام مجلس شورى النواب تحت ضغط من جميع القوى السياسية في مصر ، وهو الضغط الذي تبلور في لائحة وطنية في نفس الشهر وطالب بتشكيل وزارة مصرية بلا أجنب .

ويرجع أصل الوزارة الى مجموعة النواوين التي أنشأها محمد علي ، وهذا في تكوينها عدة مرات ، وكانت تتكون أساسا من مجموعة من الموظفين ، وفي البداية أنشأ محمد علي الديوان العالي والذي سمي احيانا بالديوان الخديوي أو ديوان الوالي أو ديوان المعونة ومقره القلعة ، وتكون من عدد من كبار الموظفين ورأسه نائب الوالي ليقوم بالتداول في شئون الحكم قبل التنفيذ ، كما أوجد الوالي لكل مجال من مجالات الحكم ديوانا مثل ديوان الجهادية وديوان البحرية وديوان الاشغال وديوان المدارس وديوان التجارة وكانت بمثابة فروع من الديوان العالي .

وفي عام ١٨٣٤ أنشئ المجلس العالي ويتكون من نظام الدواوين وعدد من كبار الموظفين واثنين من العلماء يختارهم شيخ الجامع الأزهر واثنين من التجار يختارهم كبير تجار العاصمة ، واثنين من ذوي المعرفة بالحسابات ، كما يضم اثنين من الاعيان عن كل مديرية ، ومدة عضوية المجلس سنة ، وأكد محمد علي على ضرورة إستماع رئيس المجلس الى الآراء المختلفة ألا يتحدث قبل الاعضاء حتى لا يتأثروا برأيه وأن تكون المناقشة جادة وفي اطار حر.

وفي عام ١٨٣٧ أصدر محمد علي القانون الاساسي (السياسية) وأشار فيه الى أن النظام الامثل لمصر يتطلب تركيز السلطات في يد الحاكم ، وأن تكون جميع المصالح المتعلقة بالامور الداخلية مرجعها الى ديوان واحد ، وحدد اختصاصات الحكم في سبعة دواوين عرفت باسم دواوين العموم ، وفي عام ١٨٤٧ استكمل البناء الحكومي بإنشاء ثلاثة مجالس أخرى .

وكانت الدواوين أجهزة فنية معاونة ذات صفة استشارية ، ولم يكن لها سلطة اتخاذ القرار التي ركزت في يد الوالي ، واستمر هذا الوضع أساساً في الفترة التي تلت محمد علي باستثناء بعض التعديلات التنظيمية ، فقام عباس باشا بإعادة تكوين المجلس الخصوصي ، كما أعاد سعيد باشا تنظيم الدواوين في أربعة فقط .

وأول وزارة تألفت في ظل الاحتلال الانجليزي كانت تحت رئاسة محمد شريف باشا (أغسطس ١٨٨٢-يناير ١٨٨٤) وكانت هي النظارة التي تلقت التبليغ الانجليزي الشهير ومؤداه أن على النظارة والمديرين المصريين ضرورة اتباع نصائح ممثلى حكومة جلالة الملكة أو التخلّى عن مذهبهم ، حتى قدمت النظارة استقالتها نتيجة الخلاف مع الانجليز حول موضوع إخلاء السودان .

ومع إعلان الحماية الانجليزية على مصر عام ١٩١٤ تغير اسم النظارة الى الوزارة دون أن يترتب على ذلك تغير فى الاختصاصات .. ولم يكن تغير الاسم مسألة شكلية بل حمل معنى قطع العلاقة مع الدولة العثمانية ، فقد كان سبب عدم لجوء مصر الى تسمية الوزارة راجعاً الى شيوع تسمية الوزارة العثمانية ولم يكن من المقبول أن يستخدم التابع والمتبوع نفس الاسم .

وأول وزارة سياسية فى تاريخ مصر هي وزارة عدلى يكن باشا (مارس ١٩٢١ - ديسمبر ١٩٢١) فالوزارة خلال فترتى الاحتلال والحماية لم يكن لها وجود سياسى او ارادة سياسية مستقلة ، وانما ارتبطت دائماً بالخديو أو سلطة الاحتلال ، ولكن نتيجة تصاعد الحركة الوطنية واعتراف انجلترا بمبدأ القبول بانتهاء الحماية تغيرت طبيعة الوزارة لان هدفها أصبح إجراء المفاوضات مع الانجليز لتحديد شكل العلاقة بين البلدين .

وأطول وزارة فى التاريخ المصرى هي وزارة مصطفى فهمى باشا (نوفمبر ١٨٩٥ - نوفمبر ١٩٠٨) وكانت أطول الوزارات عمراً وأكثرها إذعانا لرغبات الانجليز وأشدّها ممالاة لهم ، ومع بداية عهد الوفاق بين الخديو وسلطة الاحتلال ١٩٠٧-١٩١١ استقال مصطفى فهمى ، واختار الخديو بطرس باشا غالى رئيسا للحكومة فى نوفمبر ١٩٠٨ .. وأقصر الوزارات عمراً فى التاريخ المصرى هي وزارة احمد نجيب الهلالي الثانية (٢٢ يوليو ١٩٥٢ - ٢٤ يوليو ١٩٥٢) وهي آخر وزارات مصر قبل الثورة .

كان يوماً " حامي حمى الديار المصرية "

* * *

أحمد عرابى .. ولد فى ٣١ مارس ١٨٤١ بقرية " هرية رزنة " على مقربة من الزقازيق بمديرية الشرقية ، كان أبوه شيخ البلد ، تعلم أحمد عرابى مبادئ القراءة والكتابة فى كتاب القرية ، وتدرّب على الكتابة والأعمال الحسابية على يدى صراف البلدة نحو خمس سنوات ، ثم أرسله أبوه الى الجامع الأزهر عام ١٨٤٩ ومكث فيه أربع سنوات ، ورجع الى بلده قبل أن يتم دراسته .

وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره انتظم فى سلك الجندي وتدرج فى الجيش حتى وصل الى رتبة القائمقام عام ١٨٦٠ وكان أول مصرى يصل الى هذه الرتبة .. ثم فصل أحمد عرابى فى عملية لانقاص الجيش ثم عاد مرة أخرى اليه .. وفى عهد الخديو اسماعيل شهد أحمد عرابى ظلم رؤساء الجيش الشراكسة والأتراك ومحاباة صغار الضباط الشراكسة لانهم من مماليك أو أبناء مماليك العائلة الخديوية ، ومنذ ذلك الحين بدأ يبيت فى نفوس الضباط الوطنيين فكرة الاتحاد والمطالبة بحقوقهم ، وفى يونيو ١٨٧٩ رقى عرابى الى رتبة أميرالاي وعين على آلاى المشاة الرابع الذى كان مركزه القاهرة ، ويعرف بالآلى العباسية وظل يشغل هذا المنصب حتى شبت الثورة العرابية - التى نسبت اليه - عام ١٨٨١ .

وكانت أول بادرة للثورة العرابية الشكوى التى قدمها أحمد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهى باسم الضباط المصريين الى رياض باشا للمطالبة بعزل عثمان رفقى الشركسى ناظر الحربية والذى كان يتحيز للضباط الشراكسة والأتراك ، وبدلاً من فحص الشكوى قرر مجلس النظار فى ٣١ يناير ١٨٨١ محاكمة الضباط الثلاثة امام مجلس عسكري وأصدر ناظر الحربية أمراً بالقبض عليهم وسجنهم فى ثكنات قصر النيل ، ولم يكّد يتم القبض حتى هجم الآلاى الاول (وكان مقره بقشلاق عابدين) واقتحم الجنود الديوان وأطلق سراح الضباط الثلاثة ، وسار الجميع الى قشلاق الآلاى الاول بعابدين ، وهناك انضم اليهم آلاى طره ، وكان من نتيجة احتشاد الجنود بأسلحتهم على هذا الوجه أن أذعن الخديو لمطالب عرابى فعزل عثمان رفقى وأسندت نظارة الحربية الى محمود سامى البارودى عضو الحزب الوطنى ، وصديق الضباط (الفلاحين) وأكبر شعراء القرن التاسع عشر فى العالم العربى .

ولكن الخديو مالبث أن غضب على البارودى فقدم استقالته ، وشددت الحكومة قبضتها على الضباط وحرمت عليهم الاجتماعات ، وكان لحادثة قصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١ أثرها البالغ فى الامة التى وجدت فى عرابى ضالتها المنشودة ، وجدت رجلا تكمن قوته فى إخلاصه وجرأته وبلاغته الخطابية وتدينه وتعبيره عن آمال الامة وآلامها ، وأخذ عرابى يجمع الترتيبات لعريضة شاملة تهدف الى زيادة عدد الجيش ، وإعادة الحياة النيابية واسقاط نظارة رياض .

وفى ٩ سبتمبر ١٨٨١ توجه عرابى على رأس الجيش فى مظاهرة عسكرية انضمت اليها جموع الشعب التى وفدت من الاقاليم لمناصرة عرابى ، وذلك لعرض مطالب الجيش على الخديو ، وقال عرابى كلمته المشهورة وهو ممتطيا صهوة جواده " لقد خلقنا الله احراراً ، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً ، فوالله الذى لا اله الا هو إننا لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم " وأمام الضغط أذن الخديو ، وسقطت نظارة رياض ، وعهدت النظارة الى محمد شريف باشا وتم اجراء انتخابات عامة وأطلقت الحريات وأعيد المنفيون الى البلاد ، وحين بلغ المد الثورى غايته تنكر الخديو للحكم الدستورى ، وكان أن سقطت نظارة شريف ، وأجبر الخديو على اختيار البارودى رئيسا للنظارة التى عرفت فيما بعد بنظارة الثورة وتولى فيها عرابى نظارة الحربية فى ٤ يناير ١٨٨٢ .

وحيثذاك تدخل الاستعمار ممثلاً فى انجلترا وفرنسا للقضاء على هذا النصر السياسى للامة مما دفع الدولتان الى الاتفاق على التدخل المسلح فى شئون البلاد بدعوى إنقاذ عرش الخديوى ، وقامت الدولتان فى ١٩ مايو ١٨٨٢ بمظاهرة بحرية فى ميناء الاسكندرية وفى ١١ يونيو ١٨٨٢ حدثت مذبحة الاسكندرية عقب أن قتل رجل مالطى من رعايا بريطانيا أحد المصريين ، وقد أدت هذه المذبحة الى ازدياد إلتفاف الشعب حول عرابى .

وعمل عرابى على تقوية الاستحكامات فى الاسكندرية والقاهرة ومنطقة قناة السويس ، وفى ١١/يوليو/ ١٨٨٢ ضرب الاسطول البريطانى الاسكندرية بمدافعه التى اخذت تشيع الدمار وتحصد الارواح وأصابت العديد من المنازل ، وقد دافعت الحاميات دفاع المستميت وتفانى الاهالى فى الدفاع عن المدينة رغم أن الحرب كانت حرب مدافع وسفن ، وقد أدرك الثوار بقيادة عرابى أن الانجليز لابد محتلون الاسكندرية بعد أن

ذكروا حصونها فقرر الانسحاب منها للمقاومة في الداخل .. وفي هذا الوقت دبر أعوان الخديو مؤامرة إحراق الاسكندرية ، وحاولوا إلصاق الجريمة بعرايى بينما كان الرجل يتراجع بجيوشه الى كفر الدوار ليحمى البلاد من تقدم جيوش الغزو .

وعسكر عرابي في كنج عثمان بالقرب من كفر الدوار ، وفي ٢٠ / يوليو / ١٨٨٢ أصدر الخديو أمراً بعزل عرابي من نظارة الحربية ، واحتل الانجليز مدينة السويس في ٢ / أغسطس ، وفي ٥ / أغسطس ١٨٨٢ حدثت موقعة الرمل ، وفي ٧ / أغسطس حدثت موقعة عزبة خورشيد ، وانتصر المصريون في الموقعتين ، وفي ٢٠ / أغسطس / ١٨٨٢ احتل الانجليز بور سعيد والقنطرة والاسماعيلية وتم للانجليز احتلال القناة بعد خيانة ديلسبس الذي سمح للانجليز باستخدامها بعد أن تعهد لعرايى ألا يفعل ذلك ، وكان عرابي بناء على هذا التعهد قد رفض أن يردم القناة .

وفي ٢٢ أغسطس ١٨٨٢ احتل الانجليز نفيشة وكان الثوار يرابطون بها ، وفي ٢٥ أغسطس استولوا على " المسخوطة " تم " المحسنة " فانتقل عرابي بجيشه الى معسكر التل الكبير ، ثم حدثت موقعة القصاصين الاولى في ٢٨ أغسطس والثانية ٩ سبتمبر ١٨٨٢ وهي التي هزم فيها الجيش المصرى نتيجة لخيانة الامير الاى على يوسف خنفس ، وفي ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ حدثت موقعة التل الكبير واستبسل الجيش المصرى وكاد ينتصر لولا عوامل الخيانة ، وفي ظهر هذا اليوم رجع عرابي الى القاهرة ، ثم احتلت جيوش المعتدين مدينة بلبيس في ١٣ سبتمبر ، واحتلت القاهرة في ١٤ سبتمبر ، وتمت هزيمة الثورة العرابية بدخول الخديو توفيق الى القاهرة في حماية جيوش الاحتلال .

واعقل احمد عرابي وزعماء الثورة العرابية ، وحكموا أمام محكمة عسكرية بتهمة عصيان الخديو ، وكانت محاكمة عرابي في ٣ ديسمبر ١٨٨٢ ، وصدر الحكم باعدامه ثم تلاه صدور الحكم بابدال الاعدام بالنفى المؤبد ، تم حوكم زملاء عرابي الستة وهم محمود سامى البارودى ومحمود فهمى ويعقوب سامى وعبد العال حلمى وعلى فهمى الديب وطلبة عصمت ، وحكم عليهم جميعا بالاعدام ثم عدل الحكم الى النفى المؤبد ، وأصدر الخديو أمراً في ١٤ ديسمبر بمصادرة أملاك الزعماء السبعة المحكوم عليهم

ورحلوا عن أرض الوطن في ٢٨ ديسمبر ١٨٨٢ حيث أقلتهم الباخرة الى سيلان ،
 ووصلوا الى ميناء كولبو في ٩ يناير ١٨٨٣ وقاسوا ألام النفي والاغتراب .

وبعد تسعة عشر عاماً من النفي أصدر الخديو عباس حلمي الثاني عفوه عن احمد
 عرابي فرجع في أول أكتوبر ١٩٠١ ، وادع احمد عرابي في بيته العتيق بالمنيرة
 لايفادره ، وفي مساء ٢١ سبتمبر ١٩١١ لفظ عرابي آخر انفاسه ولم يكن بمنزله
 مايكفي لتجهيزه ودفنه .. وخرجت جنازته في صمت ومن خلفها اولاده وأهله لانه لم
 يكن مسموحاً لاحد بان يسير في جنازته ، ولكن مصر كلها كانت تنن لوفاة من كان
 يوماً "حامي حامي الديار المصرية " .

محمد عبده يؤسس أول صحيفة عربية في أوروبا * * *

عاش في الفترة بين (١٨٤٩ - ١٩٠٥) ، ولد بقرية " محلة نصر " بالفريية من أبوين متوسطي الحال ، وتعلم القراءة والكتابة بمنزل والديه دون أن يذهب الى كتاب القرية ، وبعد أن جاوز العاشرة من عمره وأتم حفظ القرآن الكريم ، ذهب الى الجامع الاحمدى في طنطا ليتم تجويد القرآن ودراسة قواعد اللغة العربية ، غير أن منهج التعليم بالجامع الاحمدى كان وعرأ وشاقاً حتى كاد الصبى يصاب بالياس ويشتغل بالزراعة لولا أن التقى بأحد أحوال ابيه (الشيخ درويش) فاستطاع أن يوجهه توجيهاً سليماً .

ثم التحق بالازهر عام ١٨٦٦ حيث قضى حوالى ثلاث سنوات ولم يجنى فائدة تذكر من الدروس ، ولما لبث أن انصرف عن العلوم الازهرية وتطلعت نفسه الى علوم جديدة .

وكان من حسن حظه أن التقى بجمال الدين الافغانى ، واستطاع بفضل معاونته أن يقبل على الحياة العامة ، وأخذ يبذل جهده للتحرد من سلطان العرف السائد والتقاليد الموروثة ، وأخذ يقرأ ما ينقل الى العربية من ثمرات الثقافة الغربية .

وفى عام ١٨٧٧ تقدم لامتحان العالمية فى الازهر وظفر بالشهادة رغم الشكوك التى حامت حول اسمه لاتصاله بجمال الدين الافغانى ، ولكتابته الفصول التى يدعو فيها الى التجديد وترك الجمود والتقليد ، وأصبح من حق محمد عبده أن يقوم بالتعليم فى الازهر ، فأخذ يلقي فيه دروساً فى التوحيد والمنطق والاخلاق ، ثم عين مدرساً للتاريخ فى دار العلوم ومدرساً للغة العربية فى مدرسة اللسن ، واستمر حتى تولى الخديو توفيق ، فأمر بنفى جمال الدين الافغانى من مصر وعزل محمد عبده من دار العلوم .

ولكن رياض باشا أراد إصلاح جريدة الوقائع المصرية وكانت لسان الحكومة الرسمى ، فعين محمد عبده محرراً بها ثم رئيساً لتحريرها وكان يرى أن غايته رفع مستوى الامة فى تدرج وأناة وتطور ، وكان يرى أن ذلك يتم إذا سلك قادتها سبيل التثقيف والتربية ونشر التعليم لاسبيل تقليد الغرب من غير فهم ولا إدراك عميق أو التمسك بظواهر المادية المادية مع الغفلة عن صميم المادية الروحية الصحيحة .

وفى أثناء ثورة أحمد عرابى اشترك فيها محمد عبده حتى صار أحد القيادات المدبرة لشئون الحكومة الوطنية ، وبعد فشل الثورة اتهم محمد عبده بالتآمر مع رجال الثورة فحكم عليه بالسجن ثم بالنفى ثلاث سنوات فاختار سوريا منفى له ورحل اليها فى عام ١٨٨٣ ، ولكن إقامته لم تطل فيها إذ دعاه الافغانى الى اللحاق به فى باريس ووصل اليها عام ١٨٨٤ وهناك عمل مع استاذة على تأسيس جمعية وصحيفة باسم " العروة الوثقى " التى كانت أول صحيفة عربية ظهرت فى أوروبا ، وكانت تدعو لتقوية أواصر الجامعة العربية ودفع عدوان الغرب عن الشرق بوجه عام ومكافحة التسلط الاجنبى والطغيان الداخلى وانقاذ مصر من الاحتلال البريطانى بوجه خاص ، وحال الانجليز نون توزيع هذه الصحيفة فى البلاد العربية واضطر الى مغادرة باريس عام ١٨٨٥ الى بيروت حيث عهد إليه بالتدريس فألقى فيها دروسه المشهورة فى " علم الكلام " التى كانت اصلا لرسالته عن الله وصفاته وأعماله وهى " رساله التوحيد " ، كما ألف جمعية دينية سرية كان من أهدافها التقريب بين الاديان الكبرى وانضم اليها القس " اسحاق تيلر " راعى الكنيسة الانجليزىة الذى نشر فى لندن عدة مقالات عن الاسلام ، ويبدو أن نشاط محمد عبده فى هذه الجمعية فسر فى تركيا تفسيراً سياسياً يناقض مصالح الخلافة العثمانية مما دفع السلطان عبد الحميد الى السعى لدى الحكومة البريطانية لاصدار العفو عنه ودعوته الى مغادرة سوريا .

وعاد الى مصر عام ١٨٨٨ فعين قاضياً بالمحاكم الشرعية ثم مستشاراً فى محكمة الاستئناف ثم عين عضواً بمجلس إدارة الازهر ، ووضع مشروعه الاصلاحى المشهور لإصلاح الازهر ، ولكنه لم يستطع تنفيذه لكثرة ما وضع فى طريقه من عقبات . وما لبث أن عين مفتياً للديار المصرية عام ١٨٩٩ وأشهر الفتاوى التى أصدرها ثلاث ، الاولى تبيح للمسلمين إدخار اموالهم واخذ الفوائد والارباح عليها ، والثانية تبيح لهم أن ياكلوا من ذبائح غير المسلمين عند الضرورة ، والثالثة تبيح لهم أن يلبسوا زى غير زيهم التقليدى تيسيراً لهم فى امور معاشهم ، وقد سببت هذه الفتاوى كثيراً من المجادلات ، وجلبت عليه ضروباً من التشهير لم تكن النوافع اليها دينية خالصة فى أكثر الاحيان .

عملاق الأدب العربى

* * *

" ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعد " .. قالها الامام محمد عبده عندما زار المدرسة التى التحق بها عباس محمود العقاد تلميذاً صغيراً ، وكان من عادة أستاذ الانشاء بالمدرسة أن يعرض كراسات موضوعات الانشاء للعقاد على كبار الزوار ، وأثنى الاستاذ الامام على التلميذ الصغير ، وصدقت نبوته .

ولد الشاعر الاديب عباس محمود العقاد فى أول يوليو ١٨٨٩ باسوان ، ولم ينل الا الشهادة الابتدائية التى مكنته من العمل فى احدى الوظائف الصغيرة بالدولة ، غير أنه برم بالوظيفة الرتيبة فاستقال واشتغل بالتدريس مدة ما ، ثم بدأ يكتب فى جريدة الدستور ثم فى غيرها من الصحف حتى أصبح عميداً لكتاب حزب الوفد الذى انشأه سعد زغلول ، بل أصبح عميداً لكتاب الصحف بمقالاته الدقيقة الفذة واسلوبه اللاذع .

وقد تميزت كتب العقاد - وهى نحو مائة كتاب وديوان شعر - بالعمق والدراسة الاصيلية ، وقد تأثر تأثراً شديداً بفلاسفة القرن التاسع عشر ، وعرفهم عن طريق قراءات فى اللغة الانجليزية التى أتقنها إتقاناً تاماً .. ومن أهم المزايا التى حققت هذه المكانة للعقاد تمسكه بكرامته وبرأيه وباحساسه بان الحاجة الى لقمة العيش لاتعنى أن يدوس هذه الكرامة ، ولهذا عاش متواضعاً يسير على قدميه ، ويركب المترو من ضاحية مصر الجديدة إما الى مقر عمله فى احدى الصحف او الى واحدة من مكتبات القاهرة يجمع منها أحدث ماوصل اليها من الكتب .

وكان معتداً بنفسه جريئاً فى الحق الامر الذى أدى به الى السجن فى عهد الملك فؤاد حين أعلن فى مجلس النواب أن الشعب على استعداد لتحطيم أكبر رأس تقف بون الامانى واستقلال وحرية البلاد .

وكان له فى صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ندوة فى منزله بمصر الجديدة يجلس اليه فيها مجموعات من الشباب والشيخوخ يستمعون اليه ويناقشونه فى الآراء المختلفة ، ولم يكن يتردد مطلقاً فى أن يعلن رأيه صراحة لانه كان يرى انه صاحب رسالة .

وفى عام ١٩١٦ ظهر الجزء الاول من ديوان العقاد الذى أسماه فى الطبقات التالية " يقظة الصباح " وقد امتازت قصائد هذا الديوان بما يسمى بالوحدة العضوية ، فكانت القصيدة تقوم على موضوع واحد تتناوله من شتى نواحيه فى وحدة سلسلة وترابط منطقي .

وفى عام ١٩٢١ ظهر الجزء الاول والثانى من كتاب " الديوان " واشترك معه فى تحريره المازنى ، وهاجم العقاد فى كتاب الديوان شعر شوقى هجوماً عنيفاً ، ونقده نقداً مريراً رداً على هجوم شوقى عليه .. وكان العقاد مولعاً بالتجديد والابداع ، وقد دفعه هذا الولع الى الاسهام فى خلق مدرسة شعرية جديدة هى مدرسة شعراء الديوان التى تعد أساساً للأدب الرومانسى فى الادب العربى .. وقد هاجم العقاد طيلة حياته الشعر الحر وثار على الابتذال والعامية والسوقية .

وقد صدر للعقاد فى حياته عدة نواوين منها الجزء الاول من ديوانه حتى الاربعين ١٩١٦ ، هدية الكروان ١٩٣٣ - عابر سبيل ١٩٣٧ - أعاصير مغرب - بعد الاعاصير ١٩٥٠ ، كما خلف العقاد ثروة كبيرة من المؤلفات فى الأدب والنقد والدفاع عن الاسلام وتحليل عبقرياته ومن كتبه " ابن الرومى " و " مراجعات " و " مطالعات " و " الفصول " و " ساعات بين الكتب " و " شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى " و " النازية والاديان " و " فى بيتى " .

توفى فى مارس ١٩٦٤ ودفن فى اسوان مسقط رأسه .. ومن شعره :-

سلينى كيف كنت وكيف صيرت وقولى ما صنعت وما صنعت
قدرت على الحوادث بعد لآى وهانذا كأننى ما قدرت

سيد درويش * * *

" احفظوا اسم هذا الشاب ، واذكروا أنى فخور به ، معتر بفته ، ولتعلن نبأه بعد حين " .. كلمات قالها سلامة حجازى وهو يقدم سيد درويش على مسرح (عباس) لأول مرة .

بالموسيقار الكبير سيد درويش يبدأ عهد جديد لتاريخنا الفنى الغنائى والمسرحى ، فقد نهض سيد درويش بالموسيقى ، وبعد أن تركها عبده الحامولى عربية خالصة ، جاء سيد درويش وجعلها عربية واقعية مما يجعلك تحس بنبضات من يليها .

ولد سيد درويش بكرم الدكة بالاسكندرية فى ١٧ مارس ١٨٩٢ لأب يعمل نجارا ويملك حانوتاً صغيراً للتجارة البسيطة ، وينتمى بكل كيانه ومشاعره الى طائفة التجاريين ، ونشأ سيد درويش موسيقياً بطبيعته منذ أن بدأ يحفظ القرآن الكريم سواء فى مدرسة (شمس المدارس) بكرم الدكة أو بالمعهد الدينى بالاسكندرية .

وعندما توفى أبوه وهو فى السابعة استطاع سيد درويش أن يقوم بأعباء أسرته عن طريق هذا الصوت وذلك النطق الفنى بتلاوة القرآن الكريم والسيره النبوية فى البيوت ، أو الغناء فى المحلات العامة كقهوة (أبو راضى) بحى الجنية بالبلان ، وقهوة (أمينة المنصورية) بالبلان ايضاً ، وبالقهوة (العالية) وقهوة (السلام) بالمنشية الصغرى .

واضطر سيد درويش حيناً الى إعترال الغناء إثر أزمة اقتصادية ألمت بالبلاد ، وابتعد الناس خلالها عن الغناء ، واشتغل مناولاً عند أحد المقاولين يحمل الطوب والاحجار الى البناء ويصعد الادوار العليا ثم يهبط الى الارض ، فصور له ذلك شأن الدنيا من إقبال وإدبار ، وعكس ذلك كله فى أغانيه .. وفى تلك الفترة سمعه مصادفة (سليم عطا) أحد اصحاب الفرق الغنائية وألحقه بفرقته التى سافرت خارج البلاد عام ١٩٠٩ ولم تلق هذه الرحلة نجاحاً ، فسافر مرة اخرى عام ١٩١٣ واجتمع فى سوريا بأقطاب الموسيقى والغناء مثل (عثمان الموصلى) مما كان له أكبر الأثر فى دراسته الموسيقية .

وفي عام ١٩١٧ كان سلامة حجازي مصابا بالشلل عندما دعاه جورج ابيض لتلحين أول أوبريت ستقدمه فرقته الجديدة ، وهو أوبريت " فيروز شاه " فاعتذر الشيخ بمرضه ، واقترح على جورج ابيض إسما جديدا هو سيد درويش ، وسرعان ما استدعاه جورج ومنحه مرتبا لا يحلم به وهو ثمانية عشر جنيها في الشهر .

وتصاعد نجم سيد درويش وتبلورت عبقريته ، وبلغت قدرته الموسيقية أنه كان في وسعه أن يلحن خمس روايات في شهر واحد .. وفي عام ١٩٢١ أنشأ فرقته الخاصة التي أخرج لها روايات (شهر زاد - البروكة - العشرة الطيبة) .

وتمتاز ألحان سيد درويش المسرحية بشعبيتها وسهولتها ، وقد كان في الحانة زاهداً عن التخت وسيطرته ، كما أدخل الهارموني والكوتراينت في الآلات .. وقد لحن في ست سنوات بين عامي ١٩١٧ - ١٩٢٣ ما يقرب من عشرين مسرحية تزيد ألحانها على المائتي لحن ، وكان أشهر هذه المسرحيات (نشر - قولوا له - أش - زن - العشرة الطيبة) لفرقة نجيب الريحاني ، و (مرحب - الهلال - أم ٤٤ - راحت عليك - البربري في الجيش - الانتخابات) لفرقة علي الكسار ، (كلها يومين - كليو باترا) لفرقة منيرة المهدية .

أما بالنسبة للدوار والتواشيح والتي تعتبر معجزة فنية الى يومنا هذا ، فنذكر منها لور " أنا هويت وانتهيت " و " في شرع مين " و " أنا عشقت " ، كما لحن مجموعة من الطقاطيق أهمها " زوروني كل سنة مرة " .

إن الميزة الأولى لألحان سيد درويش هو بساطتها وسرعة انتشارها بين الناس لانهم وجدوا فيها أنفسهم ، وقدرتها على التصوير والتعبير في زمن لم تكن تعرف فيه موسيقانا ولا أغانينا إلا التطريب ، وقد حاول سيد درويش الانطلاق بالموسيقى العربية الى العالمية ، ففي رواية البروكة وهي تعريب لأوبريت (لاما سكوت) الفرنسية ، حاول سيد درويش وضع موسيقى عالمية يمكن أن يفهمها كل انسان في أى بلد من البلاد وفي كليو باترا ومارك انطونيو حاول تجربة أسلوب الاوبرا ، ولكنه توقف عن العمل فجأة لانه لم يرض عن نفسه ، وقرر السفر الى إيطاليا لدراسة هذا الفن .

وفى يوم ١٥ سبتمبر ١٩٢٢ ، وعندما كان فى زيارة للاسكندرية تمهيدا للسفر الى
ايطاليا مات سيد درويش فجأة فى بيت شقيقته بحى محرم بك ، ولم يسر فى جنازته
اكثر من افراد يعدون على أصابع اليدين ، وفى مدافن المنارة بالاسكندرية رقد الشاب
الذى استطاع خلال حقبة قصيرة للغاية أن يصنع تاريخا مجيداً .. ولم يخلف من
حطام الدنيا سوى بيتا صغيراً بجزيرة بدران وخاتماً من الماس ، وجهازاً لتسجيل
الاسطوانات .. وعوداً .

أول دولة عربية وأفريقية عرفت السينما * * *

شاهد الجمهور أول عرض سينمائي في العالم في ١٨٩٥/١٢/٢٨ في باريس ، وفي العام التالي عرض في مصر أول عرض سينمائي وكان فيلماً مصنوعاً في فرنسا ، ونتيجة للنجاح الذي تحقّق من هذا العرض انتشرت صالات السينما في القاهرة والاسكندرية وغيرها ، إلا أن الجمهور المصري بدأ يمل مشاهدة المناظر الأجنبية التي ليس بينه وبينها أي رابط ، فما كان من أحد الأجانب المقيمين بالاسكندرية إلا أن أرسل في طلب كاميرا وفني من فرنسا ، وهكذا عرض في عام ١٩١٢ " ميدان الاوبرا بالقاهرة " و " السائحون على ظهور الجمال عند اهرامات الجيزة " و " عودة الخديو من الاسكندرية " و " حركة المسافرين في محطة سيدي جابر " .

وبعد ذلك بقليل فكر بعض الأجانب في الاسكندرية في إنتاج أفلام روائية قد تحقّق لهم الربح ، وكان أن كون مصور فوتوغرافي إيطالي شركة مصرية إيطالية قام بتمويلها أحد المصارف الإيطالية ، وأنتجت هذه الشركة " شرف البدوي " والزهور القتالة " و " نحو الهاوية " ، وقد عرضت هذه الأفلام في إحدى دور السينما بالاسكندرية عام ١٩١٨ وقد فشلت هذه الأفلام فشلاً ذريعاً بسبب ضعف مواضيعها وعدم وجود أي رابط بين المناظر المختلفة إضافة إلى أن الممثلين كانوا من الأجانب ، وتوالى بعد ذلك الأفلام القصيرة وقد نجح بعضها وفشل البعض الآخر .

ثم بدأت محاولات محمد بيومي والذي يعد الرائد الأول بحق لصناعة السينما في مصر ، فقد كان أول مصري سافر إلى ألمانيا في ١٩١٩ لدراسة فن السينما والتصوير السينمائي ، وأول مصري يؤسس استديو سينمائي ١٩٢٢ ، وأول مصري وقف خلف الكاميرا ، وأنتج أول جريدة سينمائية هي " جريدة أمون " ١٩٢٣ ، وأول مصري صور وأخرج فيلماً روائياً قصيراً " الباشكاتب " ١٩٢٤ ، وأول مصور سينمائي بشركة مصر للتمثيل والسينما إحدى شركات بنك مصر ١٩٢٥ ، وأول مصري يفتح معهداً لدراسة الجانب الصناعي لفن السينما ١٩٣٣ وجعل الدراسة فيه بالمجان .

ويمكن أن يقال أن صناعة السينما في مصر لم ترسخ إلا في عام ١٩٢٧ عندما أسست عزيزة أمير ممثلة المسرح مع وداود عرفى أول شركة سينما فوتوغرافية ، وكان

باكورة إنتاج هذه الشركة فيلم " ليلي " والذي أعتبر أول فيلم روائى مصرى أخرج بأيد مصرية وياموال مصرية ، وقام بالتمثيل عزيزة أمير ووداد عرفى واستيفان روستى وأحمد جلال والراقصة المشهورة فى ذلك الوقت بعبية كشر وتكلف الفيلم حوالى ثلاثة آلاف جنيه ، وبدأ سبيل الافلام المصرية يتدفق بعد ذلك ، وكان آخر الافلام المصرية الصامتة فيلم " زينب " عن قصة الدكتور محمد حسين هيكل ، وعرض هذا الفيلم عام ١٩٣٠ وحقق نجاحاً كبيراً .

أما أول فيلم مصرى ناطق فهو فيلم " أنشودة الفؤاد " الذى أنتجته " أفلام بهنا " وقد جمع هذا الفيلم نخبة من نجوم التمثيل فى مصر منهم المطربة نادرة والملحن زكريا أحمد وجورج أبيض وبولت أبيض وعبد الرحمن رشدى ، وألف أغانى الفيلم عباس محمود العقاد ، وتم تصويره فى باريس وعرض بالقاهرة عام ١٩٣٢ ، ولكن نجاحه كان متوسطاً ، وكان أن ترك إخوان بهنا الإنتاج وألغوا أول شركة للتوزيع فى العالم العربى .

أما أول ستديو مصرى كامل المعدات فكان " ستديو مصرى " الذى افتتح فى أول أكتوبر عام ١٩٣٥ ، ثم تتابع إنشاء الاستديوهات فى القاهرة والاسكندرية ، ثم ظهرت الافلام الملونة فى مصر بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت فى البداية ترسل الى الخارج لتحض ولكن المعامل مالبثت أن جهزت بكل أنواع تحميض الفيلم الملون .

رائد أدب الاطفال فى العالم العربى * * *

كان له خال كفيف يحكى له الحكايات أثناء الليل ، كما كان يعمل لديهم حـوذى (عربى) كان يحكى له الكثير من الحكايات المتعلقة بالسحر والخرافات ، وكان هناك شاعر شعبى من شعراء الربابة ينشد أقاصيص البطولة مثل أبو زيد الهللى فكان يذهب اليه كل ليلة فى ميدان القلعة كما كانت تعمل لديهم مربية يونانية كانت تقص له أساطير اليونان ، فكان لسماعه كل هذا وامتلاء أذنه بها منذ الصغر أكبر الأثر فى إتجاهه الى القصة .

إنه كامل الكيلانى (١٨٩٧ - ١٩٥٩) صاحب أول مكتبة عربية للأطفال ، .. ولد بحى القلعة بالقاهرة ، وتلقى علومه الاولى فى الكتاب ، والتحق بمدرسة أم عباس عام ١٩٠٧ ، وانتقل منها الى مدرسة القاهرة الثانوية التى حصل منها على شهادة البكالوريا ، وعكف بعد ذلك على دراسة الشعر والادبين الانجليزى والفرنسى ، والتحق بالأزهر بعد انتسابه للجامعة المصرية ، واشتغل بالتدريس فى المدرسة التحضيرية ليعلم الانجليزية والفرنسية ، ثم نقل مدرساً فى مدرسة الاقباط الثانوية بدمهور عام ١٩٢٠ ، ثم عمل فى وزارة الاوقاف عام ١٩٢٢ ، وكان آخر منصب تولاه هو سكرتير مجلس الاوقاف الاعلى ، كما عمل بالصحافة فاشتغل رئيساً لتحرير جريدة الرخاء عام ١٩٢٢ ، ورئيساً لنادى التمثيل الحديث عام ١٩١٨ ، وسكرتيراً لرابطة الادب العربى من ١٩٢٩ - ١٩٣٢ .

بدأ كامل الكيلانى حياته بأربعة أعمال كبرى : النقد الادبى وتأديب التاريخ والترجمة وتحقيق الأعمال الأدبية الكبرى ، فألف " ملوك الطوائف " و " مصارع الخلفاء " و " مصارع الاعيان " و " نظرات فى تاريخ الاسلام " ، وحقق " رسالة الفقرا " ، وترجم الأدب الاندلسى ، وشرح ابن الرومى وابن زيدون ، وترجم روائع القصص الغربى .

ثم وجه كامل الكيلانى إهتمامه الى فن " أدب الطفل " فكان رائد قصة الطفل ،

وأخذ يعمل دأباً على تحقيق فكرة إنشاء مكتبة الاطفال حتى أنشأها فعلاً عام ١٩٢٩ ، ومازال يعمل حتى اكتمل له منها ألف قصة ، ولم يطبع منها فى حياته سوى مائتى قصة .

وقد بدأ كامل الكيلانى حياته شغوفاً بالمطالعة ، وكان يرى أن الكتب العربية مليئة بالعظة والارشاد وبعبدة عن فهمنا ، فى حين كانت الكتب الاجنبية جميلة ومزينة بالصور ، وموضوعاتها ميسرة .

وهكذا اتجهت نيته الى أن يحجب القراءة للاطفال بكل الوسائل من صور وحكايات مشوقة لتجنبهم الخطأ اللفظى والخطأ المعنوى ، وحاول إعطاء الطفل كلمات عربية تقرب من العامية حتى تمتزج الكلمات الصحيحة بنفس الطفل ، وتتألف له ملكة عربية لا تكلف فيها ولا صعوبة ، ومتى أصبح قادراً على التعبير الصحيح بلا عناء أحب لفته كما يحب الاجانب لغتهم .

وكان هدف الكيلانى من خلال قصصه أن يسرد مفردات الادب العربى كله ، وبذلك تصبح عادية عند الطفل ، حتى إذا انتهى منها يستطيع أن يقرأ ابن الرومى وأبو العلاء والمتنبى بسهولة ، وإذا كانت قصص الكيلانى جسراً الى اللغة الفصحى فهم أيضاً جسر الى اللغات الاجنبية فقد نشر عدداً منها بشكل ثنائى ، اللغة العربية مع الانجليزية او الفرنسية او الألمانية او الاسبانية ، فعلمت النشء كيف يقرأ باللغات الاجنبية ، كما عرفت النشء فى البلاد الاجنبية بأدبنا ولغتنا ، كما قام الكيلانى بتعريف النشء بنماذج من الآداب الاجنبية كما فى سلسلة شكسبير أو القصص الهندى أو الأمريكى .

كما نقل بعض الاغانى العالمية للعربية ، ووضع ٦٥ أغنية ، وترجم فصولاً من أوبرا لاترا فياتا وكارمن .

عميد المسرح العربى

* * *

يوسف وهبى .. ولد فى ١٤ يوليو ١٨٩٨ على بحر يوسف بالفيوم ، ولهذا السبب أطلقوا عليه اسم (يوسف) وهو أصغر أشقائه جميعاً ، وكان والده عبد الله باشا وهبى من أشهر رجال الرى فى مصر ، وهو الذى حقق مشروع ترعة الفيوم التى حولت الصحراء الى أرض زراعية .

حصل يوسف وهبى على الابتدائية من مدرسة الناصرية والتحق بالمدرسة السعيدية ، ولكن الشكاوى تعددت من مشاغبته فألحقه والده بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التى كان رئيساً لها ، وذلك لكى يكون تحت رقابته فى هذه المدارس .. وبعد حصوله على الكفاءة عام ١٩١٤ ذاع صيته فى إلقاء المنولوجات التى كان يلقيها فى حفلات النادي الاهلى ثم انضم لجمعية أنصار التمثيل ، وصمم والده على إبعاده عن القاهرة فألحقه بمدرسة مشتهرة الزراعية .

لم يستسلم يوسف وهبى لمعارضة والده للتمثيل وقرر أن يسافر الى ايطاليا ليدرس التمثيل والمسرح والتحق بمعهد " فيلودراماتيكا ايتاليانا " وبرز بين زملائه وكان ترتيبه الاول دائماً مما جعل أستاذه " كيانتونى " سيد المسرح الايطالى يأخذ بيده ويجعله مقرباً اليه .

ولما عاد لم يجد له عملاً فقرر انشاء فرقة مسرحية خاصة به ، وكانت العقبة الاولى هى مواجهة الفرق المسرحية الاستعراضية والفكاهية ، فأعد ترتيبات خاصة ودعاية كبيرة واتفق مع عزيز عيد أن يكون مخرج الفرقة ، وشيد مسرح رمسيس ومكانه الآن مسرح الريحانى ، وعمل يوسف وهبى على هذا المسرح ٢٥ سنة ، وعلى هذا المسرح نبت شهرته ووصل بفرقته الى مركز الصدارة بين جميع مسارح القاهرة .

وفى ١٠ مارس ١٩٢٣ افتتح يوسف وهبى مسرح رمسيس بمسرحيته " المجنون " وكانت من تأليفه واستوحى فكرتها من زيارته لأكثر من مستشفى من مستشفيات الامراض العقلية فى الخارج .. ولم يتأثر يوسف وهبى فى تمثيله بأحد حتى استأذنه الايطالى ولكنه خلق لنفسه طابعاً خاصاً فأخذ عن المسرح الايطالى حرارته وتحاشى

كثرة إشارات ، وعن المسرح الفرنسى جمال الالتقاء وتحاشى طريقة التتبع ، وعن المسرح الانجليزى قلة الاشارات ودراستها مع استغلال تعبير الوجه اكثر من الايدى ، ولم يكد ينزل الستار بعد تقديم العرض فى الليلة الاولى لافتتاح مسرح رمسيس حتى انفجرت عاصفة من التصفيق استمرت عدة دقائق معلنة مولد نجم جديد .

وتوالى بعد ذلك نجاح فرقة رمسيس ، وبعد المجنون قدم (غادة الكاميليا) ثم أصبح يقدم رواية جديدة كل أسبوع ومعظمها مترجمات عالمية تاريخية وعصرية من جميع اللغات فشملت روائع شكسبير وموليير وابسن وادمون روستان وبرنشتين وسابانينى ..

وكان للفرقة لجنة ترجمة ، ثم بدأ يوسف وهبى فى استقلال المسرح العربى وتشجيع المسرحية المصرية واستعان بالعديد من المؤلفين ، كما ألف العديد من مسرحياته ، وقد عالجت هذه المسرحيات قضايا ومشاكل مختلفة ومنها " انتقام المهرجا " و " الاستعباد " و " الصحراء " و " أولاد النوات " و " أولاد الفقراء " .

وفى أول ١٩٣٠ انشا يوسف (مدينة رمسيس) ومكانها الآن " مدينة الاوقاف ومسرح البالون بالعجوزة " ، وقد كانت هذه المدينة ميدانا لسباق الكلاب شيدته شركة انجليزية ، واضطرت بعد خسائر فادحة الى اغلاقه ، وكان يوسف وهبى يتطلع فى ذلك الوقت الى تقديم مسرحياته فى الهواء الطلق ، فشيد فى هذه المدينة مسرحا ثم استديو صامت تحول بعد ذلك الى ناطق بمناسبة اتمام فيلم (أولاد النوات) كما أسس أول دار سينما فى الهواء الطلق ، ونقل اليها محطة إذاعة مصر الملكية ، واتسعت رقعة مدينة رمسيس فأصبح فيها لونا بارك ومدينة رياضية ومسرح آخر مثلث على خشبته منيرة المهدية وفرقتها حتى حل محلها نجيب الريحانى وفرقته عندما أصيب بأزمة مالية ، وأخيرا بنى فيها ملهى استعراضيا كبيرا .

وقد قدم يوسف وهبى (١٧٨) مسرحية منها (٥٨) مسرحية من تأليفه ، كما قدم (٣٥) فيلما سينمائيا ، وكان فيلم " ليلة ممطرة " أول أفلامه السينمائية ، وحصل على العديد من الجوائز والالاقاب الدولية منها الجائزة الاولى فى التمثيل المسرحى عام

١٩٦٠ ، وميدالية " الباب الذهبية " عن دوره فى مسرحية " الكاردينال " ، ووسام
الاستحقاق الاكبر من المغرب ، والميدالية الذهبية من لندن ، وألقاب " كوماندا " من
موسولينى و " جراند اوميسييه " من باى تونس كما حصل على جائزة النولة التقديرية
فى الفنون عام ١٩٧٠ ، وحصل على الدكتوراه الفخرية من الرئيس السادات .. توفى
فى ١٧ / اكتوبر / ١٩٨٢ .

أعظم متحف للآثار المصرية في العالم * * *

يعتبر المتحف المصرى بالقاهرة أهم وأغنى متحف للآثار المصرية فى العالم ،
فمتاحف اللوفر والمتحف البريطانى وتورين وبرلين ومتر وبوليتان وشيكاغو على أهميتها
لاتقاس مجموعاتها بمجموعات المتحف المصرى .

وترجع فكرة إقامة متحف يضم الآثار المصرية الى عهد محمد على ، فقد كان
الأوربيون والمغامرون يأتون الى مصر ويجمعون مايجدون من آثار لينقلوها الى بلادهم
دون أن يتعرض لهم أحد ، فقد كانت هذه الكنوز متاحة للجميع دون أن يعرف قيمتها
أحد سوى هؤلاء المغامرين ، ثم جاءت الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م ووضع علماءها
مجلداتهم الضخمة فى وصف مصر .. والغريب أنه اصبح مسموحاً بعد ذلك لقناصل
الدول الاجنبية وممثليهم فى مصر الحفر لاستخراج الآثار بتصريح من السلطان نفسه
، ومن خلال هذه الفرمانات تكونت لدى هؤلاء القناصل مجموعات كبيرة من الآثار
أصبحت بعد ذلك نواة لمجموعات المتاحف الاوربية التى تضم آثاراً مصرية مثل اللوفر
والمتحف البريطانى ومتحف برلين .

ولكن فى عهد محمد على أتخذت بعض الاجراءات للحد من تسرب الآثار المصرية
الى الخارج ، وذلك بعد أن نصحه شامبليون بضرورة الحفاظ على آثارنا .. وبدأ محمد
على فى إنشاء متحف لحفظ الآثار فى مبنى ملحق بالمدرسة المدنية بالازبكية .. وأشرف
على هذه المجموعة " " لينان بك " الفرنسى الجنسية ويوسف ضياء افندى ، وبعد ذلك
نقلت المجموعة بعد أن زادت الى احدى صالات وزارة المعارف بالقلعة إلا أن عباس
باشا أهدى كل ماكانت تملكه الدولة من آثار الى الارشيدوق مكسيميليان النمساوى
الذى زار مصر عام ١٨٥٥ م .

وبعد سنتين أعلن لويس نابليون عن رغبته فى زيارة مصر فقرر سعيد أن يقدم له
هدية اكبر من تلك التى قدمت للارشيدوق ، وكان ديلسبس وراء هذا القرار ووقع اختيار
ديلسبس على عالم آثار شاب كان يعمل فى متحف اللوفر وهو " أوجست مارييست "

الذى شرع على الفور فى عمليات تنقيب واسعة وشاء القدر ألا يحضر لويس نابليون الى القاهرة الامر الذى أدى الى إنشاء مكان خاص بمجموعة الآثار المكتشفة فى هذه الاماكن .

وفى أول يوليو ١٨٥٨ صرح لمارييت ببناء متحف للآثار المصرية فى بولاق مكان المكتب القديم لشركة الملاحة النهرية التى أغلقت أبوابها بعد عمل خط سكة حديد من القاهرة والاسكندرية ، وبدأ المتحف بـ ٤ صالات .. وفى عام ١٨٩٠ نقلت هذه الآثار من بولاق الى القصر القديم الخاص بالخدّيو اسماعيل ، وكان يقع مكان حديقة الحيوان والاورمان حالياً والذى عرف بعد ذلك باسم متحف الجيزة .. إلا أن التفكير فى بناء متحف للآثار المصرية ظل مستمراً حتى عام ١٨٩٧ عندما فاز المهندس الفرنسى (جورجون) بمسابقة لبناء المتحف الحالى الذى أنشئ عام ١٩٠٠ وبدأ العرض بـ ٣٠ ألف قطعة أثرية ، ثم استمر تطوره ليصبح اعظم متحف للآثار المصرية فى العالم على الاطلاق .

أم كلثوم أسطورة تمشي على قدمين * * *

" ما هفوت في حق أم كلثوم إلا مرة واحدة حين قلت أن حنجرتها مسروقة من الحمام الموصلية وكان الرأي أن أقول أن حمام الموصل سرقت رخامة الصوت من الحنجرة الكلثومية " .. قال هذه العبارة د. زكي مبارك عن أم كلثوم عام ١٩٤٠ ، هذه المرأة الوحيدة التي استطاعت أن تجمع العرب في لحظة واحدة في الخميس الأول من كل شهر حتى قيل انه لو ركبت سيارة وانطلقت بها على امتداد الوطن العربي فبانك تستطيع أن تستمع الى صوت ام كلثوم دون أن تحتاج الى مذياع في السيارة .

ولدت في طمائي الزهايرة بالمنصورة عام ١٩٠٠ م ، وذهبت الى كتاب القرية ، وكان والدها ابراهيم البلتاجي ينشد القصائد الدينية والتواشيح ويصحبها معه وشيئا فشيئا قلدت أباهما .. وذاع أمر الصوت الجميل حتى دعى والدها يوماً لأحياء ليلة في بيت شيخ البلد وزميلة الكتاب عائشة ، وخافت أم كلثوم ، فلوح لها الاب بطبق " المهلبية " بعد أن تغنى فلم يعد هناك مجال للتردد ، وغنت بنت الثامنة والنصف وأطربت ، وكان الفصل الثاني في بيت بعزية مجاورة ، وتقاضت أول أجر عشرة قروش ارتفعت الى ٢٥ قرشاً عندما غنت بعد ذلك في بيت تاجر غلال في مركز السنبلوين ثم قفز الى جنيه كامل في حفل أحيته في بلدة أبو الشقوق .

وبدأت أم كلثوم تغنى وهي ترتدى العباءة والعقال .. وبدأت الرحلة من السفح وانتقل صيتها من القرية الى المركز الى المديرية الى المديرية المجاورة وطافت مصر طولا وعرضاً .

ووسط المشقة التقت بالشيخ ابو العلا محمد على رصيف محطة السنبلوين ، واستمع اليها وبهرته ونصحها بالسفر الى القاهرة ، وبعد عامين جاءت الى القاهرة لتحي فرح كريمة جزار في حي كوم الشيخ سلامة قرب العتبة الخضراء ، ثم جاءت فرصتها الكبيرة حيث دعيت للغناء في سراي عز الدين يكن باشا في حلوان ، ولكن منظرها لم يرق للبasha فأمر خدمه بحبسها في البديوم بعيداً عن أنظار المدعوين ،

وظلت به حتى استسلمت للنعاس ، وأراد المدعون أن يضحكوا على القروية التي جاءت من أعماق الريف فايقظوها من نومها ، وغنت وإذا بها تسيطر على القلوب والاسماع .

وبعد ذلك استأجر الشيخ ابراهيم غرفة في فناء عمارة الدرى بشارع قولة بعبدين ولازمها الشيخ ابو العلا محمد ، وعن طريقه تعرفت على أحمد رامى الذى غنت له أكثر من ٢٥٠ أغنية .. وظلت أم كلثوم تغنى فى الحفلات الخاصة حتى عام ١٩٢٣ حينما أحييت أول حفل على المسرح وهى لاتزال ترتدى العباءة والعقال الذى لم تخلعه الا عام ١٩٢٧ ونجح الحفل نجاحا كبيرا ، وشنت منيرة المهدي عليها حملة شعواء ولكن ذهبت محاولاتها أنراج الرياح امام الاعصار القادم .

وكان صوت ام كلثوم أول لحن تفتتح به الاذاعة المصرية حفلاتها الخارجية .. وأصبحت مطربة مصر الاولى ، وكوكب الشرق وسيدة الغناء العربى .

وكانت السينما بانتظارها ، وفى عام ١٩٣٦ مثلت أول افلامها " وداد " وهو الفيلم الذى تقاضت عنه خمسة آلاف جنيه ، وهو رقم مذهل بمقياس ذلك الوقت ، ثم مثلت " نشيد الامل " ١٩٣٧ ، " دنائير " ١٩٤٠ ، " عايذة " ١٩٤٣ ، سلامة " ١٩٤٥ ، ثم " فاطمة " ١٩٤٧ .

وجاءت الاربعينات لتحمل الحزن الى أم كلثوم .. مرض أصاب عينيها بسبب بكائها المتكرر على أمها ، وسافرت الى الولايات المتحدة واكتشفوا انها مصابة بالغدة الدرقية وكان لابد من إجراء جراحة فى مكان قريب من الحنجرة .. ونجحت العملية . ثم قامت الثورة وغنت ام كلثوم عدداً كبيراً من الاغانى الوطنية حتى أصبح نشيدها " والله زمان ياسلاحى " النشيد الوطنى لمصر .

وعندما وقعت هزيمة ١٩٦٧ قامت بجولة فى أنحاء العالم وخصصت دخلها للمجهود الحربى ، وكان الحفل الاول فى العاصمة الفرنسية باريس ، وغنت على خشبة مسرح أولمبيا أكبر مسارح باريس ، وتصدرت صفحات الصحف الفرنسية التى قارنتها بالمطربة الايطالية " ماريا كالاس " ، وغنت الاطلال التى أعادت بعض مقاطعها اكثر

من عشر مرات .. ثم بدأت رحلتها مرة أخرى الى السودان ثم فاس والرباط في المغرب ثم الكويت ومنها الى تونس واستمرت رحلتها قرابة عام جمعت خلاله مليوني دولار ، ومنحتها السلطات المصرية جواز سفر دبلوماسي وحصلت على لقب سفيرة .

وظلت أم كلثوم حتى موسمها الفئاني حتى مساء الخميس ٧/ ديسمبر / ١٩٧٢ حيث كان اللقاء العاشر بينها وبين الموسيقار محمد عبد الوهاب في اغنية ليلة حب .

تركت أم كلثوم ٧٠٠ أغنية لمعظم شعراء مصر والعالم العربي عبرت فيها عن صورة متكاملة من الحب ، ثروة شارك فيها ابو العلا محمد ٣٠ لحناً ، الشيخ زكريا أحمد ١٥٠ أغنية رياض السنباطي ٩٠ لحناً ، محمد القصبجي ٨٠ لحناً ، داود حسنى ٣٠ لحناً فضلاً عن ألحان عبد الوهاب والموجي وكمال الطويل وبلغ حمدي وسيد مكاوي .. ولم يكن غريباً أن تطلق مصر أسم أم كلثوم على واحدة من أشهر اذاعاتها .

لم تكن أم كلثوم مجرد مطربة وإنما كانت طرازاً فنياً فريداً فلا عجب أن قلدت قلادة النيل ووسام الاستحقاق وقلادة الجمهورية وجائزة الدولة التقديرية ولقب فنانة الشعب ، كما منحت وسام الارز من لبنان ، ووسام الاستحقاق من سوريا ، ووسام الجمهورية الاكبر من تونس ، ووسام نجمة الامتياز من باكستان .. ولا عجب في أن تضعها صحيفة هيرالد تريبيون العالمية في المجلد الخاص بمناسبة مرور ١٠٠ عام على صنورها ضمن مشاهير العالم والقمم في الفن .

وفي ٢٢ يناير ١٩٧٥ بدأت حالتها الصحية تتدهور ، وبعد اسبوع فاجأها نزيف في المخ ، وصارع قلبها الموت ١٠٠ ساعة حتى توقف تماماً بعد ظهر الاثنين ٣/ فبراير / ١٩٧٥ ، ليتوقف عصر طويل للطرب دام خمسين عاماً بعد أن نحتت نهراً من المشاعر يتدفق ويفيض داخل كل منا ..

أول بلد عربى وأفريقى عرف كرة القدم * * *

منذ أن اخترع المصريون القدماء شيئاً مستديراً يلهون به سارت كرة القدم مشواراً حتى نظم الانجليز أول بطولة لها عام ١٨٧٢ .. وكانت مصر هى أول بلد عربى وأفريقى يعرف كرة القدم ، ومارسها فى البداية الانجليز الموجودين بمصر منذ ١٨٨٢ .. وفى عام ١٨٩٥ شكل محمد أفندى ناشد أول فريق يلعب باسم مصر ، والتقى هذا الفريق مع بعض المنتخبات الانجليزية وهزمهم رغم حداثة عهده بالكرة .

وفى عام ١٩٠٣ تأسس نادى السكة الحديد (فى بولاق) وهو أقدم الاندية المصرية إلا أن أول ناد مصرى يمارس كرة القدم ممارسة واسعة كان النادى الاهلى الذى تأسس عام ١٩٠٧ ومن بعده نادى المختلط عام ١٩١١ (الزمالك حالياً) .. وفى عام ١٩١٣ بدأت أولى مسابقات الكرة فى مصر وشاركت فيها الفرق الأجنبية الى جانب الفرق المحلية وفاز بها نادى (السكة) .. وفى عام ١٩١٦ تكون منتخب مصر من فرق الاندية والمدارس والتقى مع منتخب من الانجليز وفازت مصر ٢/٤ .. وفى ١١ سبتمبر ١٩١٦ أقيمت أول مسابقة على الكأس المهداة من السلطان حسين وبدأ بعض المصريين فى ذلك الوقت جهودهم من أجل تعصير لعبة كرة القدم وعزل الاجانب عنها .

وفى عام ١٩٢٠ شاركت مصر لأول مرة بفريق لكرة القدم فى الدورة الاولمبية التى أقيمت بانفرس بلجيكا ، وكانت مصر هى أول بلد عربى وأفريقى يشترك بفريق كرة القدم فى الاولبياد ، وقد خرجت مصر من الدور الاول للبطولة حيث خسرت أمام المجر ١/٢ ، وكان نظام المسابقة يقضى بخروج المغلوب ، وقد فازت بلجيكا بالبطولة لانسحاب التشيك أمامها بسبب طرد أحد اللاعبين ، وغضب ملك بلجيكا لعدم إقامة مباراة نهائية تليق بالاولبياد ، وتم اختيار منتخب مصر ليلعب مباراة ودية مع بلجيكا فى نهاية الدورة ، وحقت مصر المفاجأة وفازت على بلجيكا وسط دهشة العالم كله .

وفى ٣ ديسمبر ١٩٢١ تأسس الاتحاد المصرى لكرة القدم وكان أول اتحاد مصرى خالص ، وفى العام التالى تأسست أول لجنة حكام ، وفى عام ١٩٢٢ بدأت مسابقة

كأس مصر التي أطلق عليها في ذلك الوقت كأس الأمير فاروق ، وقد فاز نادي المختلط (الزمالك) بأول مسابقة للكأس .

وفي عام ١٩٢٤ كان لمصر الشرف في أن تكون أول دولة من خارج أوروبا وأمريكا تشترك في كأس العالم بإيطاليا ، ولعب الفريق مباراة واحدة مع إيطاليا وخسرها ٢/٤ سجل خلالها عبد الرحمن فوزي مهاجم مصر هدفين اختير على أثرهما ضمن منتخب العالم الذي تشكل بعد البطولة ، ومضت ست وثلاثون عاما حتى ظهر ثاني منتخب عربي في نهائيات كأس العالم وهو الفريق المغربي عام ١٩٧٠ بالمكسيك .

وفي عام ١٩٤٨ قرر الاتحاد المصري إقامة أول مسابقة للدوري العام بمشاركة (١١) ناديا هي : الاهلي وفاروق (الزمالك) والترسانة والاسماعيلي والمصري والاتحاد والاوليمبي والسكة الحديد واليونان والتراجم وبور فؤاد ، وفاز النادي الاهلي بها .

وقد شاركت مصر في الدورات الاوليمبية ٩ مرات : في دورة انفرنس ١٩٢٠ - باريس ١٩٢٤ - امستردام ١٩٢٨ - برلين ١٩٣٦ - لندن ١٩٤٨ - هلسنكي ١٩٥٢ - روما ١٩٦٠ - طوكيو ١٩٦٤ - موسكو ١٩٨٠ - لوس انجلوس ١٩٨٤ .. وقد اعتذرت مصر عن دورة موسكو احتجاجا على عنوان الاتحاد السوفيتي على افغانستان .. وقد فاز الفريق المصري لكرة القدم بالمركز الرابع في دورتي امستردام ٢٨ وطوكيو ٦٤ .

وبالنسبة لبطولة كأس الامم الافريقية فاز المنتخب المصري بها ثلاث مرات ٥٧ بالسودان و٥٩ بمصر ، و٨٦ بمصر ، وكان أول أهداف بطولة الامم الافريقية للاعب رائف عطية لاعب مصر امام السودان في الدقيقة (٢١) من اولى مباريات بطولة ٥٧ .

وتعد مصر اكثر دولة افريقية اشتركت في نهائيات كأس افريقيا حيث لعبت ١١ مرة .. وقد فاز عدة لاعبين بلقب هداف البطولة : الديبة (٥) أهداف بطولة ٥٧ - الجوهري (٣) أهداف بطولة ٥٩ - بدوي عبد الفتاح (٣) أهداف بطولة ٦٢ - الشاذلي (٦) أهداف بطولة ٦٣ - طاهر ابو زيد (٤) أهداف بطولة ٨٤ - جمال عبد الحميد (٣) أهداف بطولة ٨٨ .

وعلى مستوى الاندية فازت الاندية المصرية بعشرة كنوس .. ففى بطولة الاندية ابطال النورى التى بدأت عام ٦٤ فاز بها ، الاسماعيلى ٦٩ - الاهلى ٨٢ - الزمالك ٨٤ - الزمالك ٨٦ - الاهلى ٨٧ ، وفى بطولة افريقيا للاندية ابطال الكأس التى بدأت عام ٧٥ فاز بها ، المقاولون العرب ٨٢ - المقاولون العرب ٨٣ - الاهلى ٨٤ - الاهلى ٨٥ - الاهلى ٨٦ واحتفظ بالكأس الى الابد .

وقد فاز فريق الزمالك بالكأس الافرو اسيوية الثانية للاندية الابطال بعد تغلبه على نادى فوروكاوا اليابانى بطل آسيا ٢/صفر عام ٨٨ وكان أول نادى عربى وافريقى يحصل على هذه البطولة .

كما فاز منتخب مصر لكرة القدم بالميدالية الذهبية فى دورة الالعاب الافريقية فى نيروبي عام ٨٧ .

وكان محمود الخطيب نجم النادى الاهلى والمنتخب القومى أول لاعب مصرى يحصل على الكرة الذهبية التى تقدمها مجلة (فرانس فوتبول) الاسبوعية الفرنسية لأحسن لاعب افريقى سنويا ، وكان ذلك عام ٨٣ ، كما اختير الخطيب عام ٨٧ ضمن منتخب العالم للاشتراك فى مباراة خيرية بفرنسا مع أفضل نجوم العالم ولكن إعتزاله فى نهاية هذا العام حال دون مشاركته .. ومما يذكر أن الخطيب يعد الهداف الاول على مستوى قارة افريقيا فى البطولات الافريقية حيث سجل (٣٧) هدفا .

وكان على قنديل هو أول حكم مصرى يشترك فى إدارة مباريات نهائيات كأس العالم لكرة القدم وذلك عامى ٦٦ ، ٧٠ .

الرجل الذي قاد تمصير الطب * * *

على باشا ابراهيم (١٨٨٠ - ١٩٤٦) ولد في الاسكندرية ، وكان والده رجلاً عصامياً يرجع أصله الى قرية مطويس بكفر الشيخ .. تلقى على ابراهيم تعليمه الابتدائي في مدرسة رأس التين الاميرية ، وحصل على المركز الاول في الشهادة الابتدائية ١٨٩٢ ، ثم التحق بالقسم الداخلي من المدرسة الخديوية بالقاهرة ، وحصل على المركز الثاني في البكالوريا ، ثم التحق بمدرسة الطب وتخرج عام ١٩٠١ وكان الأول على دفعته ، وتدرّب على يد الدكتور سيمرس أستاذ علمي الامراض والميكروبات .

وفي عام ١٩٠٣ أجرى عملية حصوة في المثانة بطريقة التفتيت ، ليبدأ نجمه بعدها في الصعيد في بني سويف ومصر الوسطى ، وفي عام ١٩٠٤ انتدبته مصلحة الصحة لبحث وباء انتشر في قرية " صيفا " وتوصل الى أنه الحمى الفحمية وأنها انتقلت الى الفلاحات عن طريق أقراص الروث الجاف ، ونشر نتائج أول أبحاثه في مجلة الجيش الملكي .

ثم أثبت إمكان انتقال العدوى الى جروح العمليات بواسطة الهواء ، وكانت نتيجة غريبة في مثل هذا الوقت ، ونشر هذا البحث في بعض المجلات الطبية الانجليزية ، وترتب عليه إنشاء غرف مغلقة للعمليات الجراحية في جميع المستشفيات . وفي أسيوط إستن نظام المرضات .. وقام باجراء عملية استئصال الطحال المتضخم عام ١٩٠٧ وتزداد قيمة هذه العملية إذا علمنا أن أول عملية من مثل هذا النوع أجريت بنجاح في قصر العيني عام ١٩١١ وقام بها أحد الأطباء الاجانب ، وفي عام ١٩١٣ منح رتبة البكوية .

وفي الحرب العالمية الاولى تولى أمر مستشفى جراحى أسسته جمعية الهلال الاحمر ، ثم بدأ معركته في سبيل استقلال الطب ، وحاول إنشاء نقابة للأطباء ولكن عدم تعاون الأطباء الاجانب مع الأطباء المصريين حال دون ذلك حيث كان لهم جمعية خاصة بهم .

وفي عام ١٩١٧ أصدر بالاشتراك مع زملائه المصريين المجلة الطبية المصرية ، ونشرت له أول بحوثه الطبية في اللغة العربية ، وكان بحثاً عن " بلهارسيا الحالب " أجراه بالاشتراك مع د. أنيس انسى .

وفي عام ١٩٢٠ شارك في إنشاء الجمعية الطبية المصرية ، وتولى رئاستها عام ١٩٢٥ وحتى وفاته .. ثم أنشأ مبنى لها هو " دار الحكمة " بشارع قصر العيني التي وضع حجر الاساس لها عام ١٩٢٦ ، وتولى المهندس مصطفى بك فهمى الاشراف على البناء حتى خرجت أية من آيات العمارة الاسلامية ، واختير لها هذا الاسم تيمناً باسم المعهد الطبى الذى انشأه الخليفة المأمون في بغداد والفاطميون في مصر في عصور الاسلام المزدهرة ، وقد أصبحت مقر نقابة الاطباء فيما بعد .

وفي عام ١٩١٨ تولى على ابراهيم إدارة قصر العيني ، ولما انتهت الحرب أنعم عليه بوسام الإمبراطورية البريطانية لبراعة أدائه .. وقد كافح على ابراهيم من أجل تمصير التعليم الطبى حتى استطاع أن ينتزع للمصريين ست وظائف رئيسية في أقسام المستشفى ، وفي عام ١٩٢٤ اختير لشغل وظيفة أستاذ الجراحة وكان أول مصرى يشغل هذا المنصب .. ثم اختير عام ١٩٢٦ وكيلا لكلية الطب عقب قيام الجامعة المصرية ، وفي عام ١٩٢٩ تولى عمادة الكلية ليكون أول مصرى يشغل هذا المنصب ، وقد شغل هذا المنصب حتى عام ١٩٤٠ ، وكان أبرز انجازاته خلال هذه الفترة تمصير هيئة التدريس بكلية الطب .

ولانزاع من أن كلية طب قصر العيني كلها من إنشاء على ابراهيم ذلك الرجل الذى وضع لحياتها برنامجاً محكماً ونظماً دقيقاً ، وكان أول ماغنى به أن ينشئ مستشفى حديثاً يتسع لآلافى سرير ، وقد وضع الملك فؤاد حجر الاساس في عام ١٩٢٨ في الاحتفال بالعيد المنوى لمدرسة طب قصر العيني ، وتولى على ابراهيم أمر المستشفى الذى كان ينقصه كل شيء المال والرجال والمعدات ، ولكن طبيعته ساعدته على تحقيق هدفه وأنشأ ذلك الصرح التعليمى الضخم .. ثم جهز معامل الكلية ومتاحفها ، وأنشأ مستوى رفيع للدراسات العليا ، ولم يترك على ابراهيم عمادة الكلية إلا بعد أن نهض بها الى مكانة مرموقة على المستوى الدولى ، وأصبحت كلمة " قصر العيني " مفتاحاً سحرياً لكثير من الابواب الطبية العالمية .

وفى هذه الاثناء لم يأل على ابراهيم جهداً فى النهوض بكليتى طب الاسنان والصيدلة ، كما شارك بفاعلية فى مشروع القرش عام ١٩٣١ ، ومشروع القرى الذى كان هدفه إنتشال القرية المصرية من بؤسها بنشر التعليم والتعاليم الصحية والاجتماعية والزراعية والاقتصادية ، وقد استطاع هذا المشروع أن يمحو فى عامه الأول فقط أمية أربعين ألفا من أهل الريف ..

وفى عام ١٩٣٠ حصل على رتبة الباشوية ، واختير رئيساً للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، وفى عام ١٩٣٦ اختير رئيساً لجمعية الهلال الاحمر واستطاع أن ينشئ مستشفى جراحة العظام التابع لها فى شارع رمسيس والذى احتل مكانة مرموقة بين المستشفيات التخصصية فى العالم .

كما أشرف على بناء مستشفى المعجزة وتجهيزه حتى صار على تلك الصورة من الشموع على نيل القاهرة ، وفى ١٩٣٣ استطاع أن يحصل على موافقة الملك فؤاد على إنشاء الاتحاد الملكى للجمعيات الطبية ، وكان أهم أغراضه إنشاء رابطة تضامن علمية وأدبية بين الجمعيات الطبية المصرية ، وتولى رئاسة هذا الاتحاد الذى كان الخطوة الاولى من أجل إنشاء نقابة الاطباء ، التى انشأها فيما بعد وانتخب أول نقيب لها .. وفى عام ١٩٤٠ حين انشئ اتحاد المهن الطبية انتخب على ابراهيم أول رئيس لهذا الاتحاد الذى ضم الاطباء البشريين والاطباء البيطريين وأطباء الاسنان والصيدلة .

وفى ٢٧/٦/١٩٤٠ عين وزيراً للصحة، واستمر بهذا المنصب ١٣ شهراً ، ولكن فى هذه الفترة الوجيزة نظم الوزارة وقسمها الى مصالح متكاملة .. وفى عهده صدر الدستور المصرى للألوية ، ودفع بمشروع إنشاء شركة مصر للمستحضرات الطبية حتى خرج الى حيز التنفيذ .

وقد حرصت كثير من الجمعيات النولية أن تضم على باشا ابراهيم عضواً بها إعترافاً بمكانته ، فقد كان عضواً بارزاً فى المجمع العلمى المصرى ، والجمعية الطبية البريطانية ، وجمعية طب المناطق الحارة وصحتها بلندن ، والمعهد الملكى للصحة العامة بلندن ، ولجنة التأليف الالمانية للجراحة ببرلين ، وكان مراسلاً لأكاديمية الجراحة بباريس .

وقد أختير فى مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ ، واهتم فيه بتعريب المصطلحات الطبية ، وفى عام ١٩٤١ أختير مديرا لجامعة القاهرة التى قضى أحد عشر عاما من عمره يجمع بين وكالتها وعمادة الطب بها .. ولم يكد يتولى على ابراهيم رئاسة الجامعة حتى عمل على أن ينشئ من خلالها جامعة الاسكندرية .

وقد حظى على باشا ابراهيم بتقدير الشرق والغرب ، ففي عام ١٩٨٠ منح الرئيس السادات اسم الجراح الكبير قلادة الجمهورية ، وفى عام ١٩٣٩ منحه بريطانيا أعظم ما يمنح لاجنبى وهو نيشان الامبراطورية البريطانية لقب فارس (سير) ومنحته كلية الجراحين الملكية زمالتها الشرفية وهى الدرجة التى لا تمنح إلا لعدد محدود جداً من أُمير أعضائها وخريجها .

أول حزب فى مصر

* * *

الحزب الوطنى الذى انشئ فى اجتماع شعبى بمسرح زيزينيا بالاسكندرية مساء الثلاثاء ٢٢/ أكتوبر/ ١٩٠٧ برئاسة مصطفى كامل ثم خلفه محمد فريد عام ١٩٠٨ ، وقاد الحزب التيار الرئيسى للحركة الوطنية حتى بداية الحرب العالمية الاولى .. وبعد أول تنظيم حزبى حقيقى فى مصر ..

ويتحفظ البعض فى اطلاق كلمة حزب بالمعنى العلمى - بمعنى أنه أداة الوصول الى الحكم والاحتفاظ بالسلطة السياسية بناء على برنامج سياسى معين - على الحزب الوطنى الذى تأسس عام ١٨٧٩ بزعامة احمد عرابى ، والذي يشار اليه عادة على أنه أول حزب فى مصر حيث انه كان فى حقيقة الامر أقرب مايكون الى جبهة وطنية ذات أهداف عامة ، وافتقدت التنظيم اللازم للاستمرار الحزبى ، كما أن حزبى الامة والاصلاح على المبادئ الدستورية اللذان تأسسا عام ١٩٠٧ لم يتوفر لهما شروط الحزب ، فالاول تكون حول مجموعة مخلوذة من المثقفين وكبار ملاك الارض ، ولم يكن له وجود تنظيمى أو ثقل جماهيرى ، والثانى ارتبط بشخص مؤسسه الشيخ على يوسف وانتهى بوفاته دون أن يكون له وجود حقيقى سياسى أو تنظيمى .

وهناك خلاف حول السبب الذى دفع مصطفى كامل الى إعلان الحزب ، فهناك من يرى أن ذلك يرجع الى شعوره بإعتلال صحته وبنو أجله ، ويرى آخرون أن السبب هو تكوين حزب الامة فى سبتمبر وإدراكه خطورة الاحزاب التى لاتمثل الشعب وانما تنبذ فى ركاب الاحتلال والسراى ، ويرى البعض أن السبب يكمن فى بلوغ الحركة الوطنية درجة من النضج والتبلور استوعبت قيام الحزب كتنظيم علنى .

وجدير بالذكر أن مصطفى كامل كان متردداً فى إنشاء الحزب خوفاً من تفتيت وحدة الشعب ، فكان يرى أن مصر لم تكن تحتاج الى تنغيمات حزبية وتبدو حاجتها الى الوحدة وإيقاظ الوعى الوطنى .

وقد انطلق فكر مصطفى كامل ومجموعة الحزب الوطنى من ضرورة جلاء الانجليز

عن مصر ، ومن ثم فإن الاستقلال هو هدف مصر الاول ، وضرورة إيجاد حكومة دستورية في البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسئولة امام مجلس نيابي تام السلطة كمجالس النواب في اوربا .

وقد اتسم الحزب بديمقراطية تنظيمية واضحة فكان هناك هيكل حزبي على اساس ديمقراطي ، ورفض مصطفى كامل أن يقوم بتعيين اللجنة الادارية للحزب ، وترك ذلك للجمعية العمومية ، وقد اعتمد على اساليب الاعلام والصحافة وعرض قضية مصر على الرأي العام النوى ، وتهيئة وإنعاش الرأي العام الداخلى ، وأصدر صحفاً باللغة العربية والانجليزية والفرنسية ، وقام مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد بزيارات مستمرة للدول الاوربية لتأليب الرأي العام الاوربي ضد انجلترا ، وحرك الطلبة المصريين في اوربا حول مبادئ الحزب .. وقد اهتم برنامج الحزب بالمشكلة الاجتماعية فنص على ضرورة نشر التعليم حتى يعم الطبقات الفقيرة ، وحث الاغنياء على تأسيس الجامعات وإرسال البعثات الى اوربا ، وإنشاء دراسات ليلية للعمال وتنمية الزراعة والصناعة والتجارة حتى تحصل البلاد على استقلالها الاقتصادي .. واهتم الحزب بتنظيم العمال بالذات تحت تأثير محمد فريد الذي كان مطلعاً على الفكر النقابي الاوربي وعلى معرفة بالنشاطات النقابية في العالم ، فانشأ نقابة الصنائع اليدوية ، وأنشئت نقابات أخرى في الاسكندرية والمنصورة وطنطا ، كما انشأ مدارس الشعب لتعليم العمال .

وقاد الحزب الكفاح الوطنى حتى ثورة ١٩١٩ رافعاً شعارات الاستقلال التام لمصر ، ووحدة مصر والسودان ولمفاوضات مع انجلترا قبل الجلاء ، ولكن نفوذه بدأ في التضاؤل ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب من اهمها ظهور الوفد كبديل ، كما قدم سعد زغلول طريقاً أكثر واقعية ، وأقنع المصريين بعدم جدوى شعار لامفاوضة إلا بعد الجلاء ، وبينما اعتمد الحزب الوطنى على المتعلمين في القاهرة والاسكندرية ، انتشر الوفد بين كل فئات الشعب وفي الاقاليم .

بالاضافة الى الشخصية التاريخية لسعد زغلول في الوقت الذي افتقد فيه الحزب الوطنى شخصياته القيادية بوفاة مصطفى كامل ، ووجود محمد فريد في الخارج ،

واتبعت السلطات الانجليزية سياسة اضطهاد وقمع تجاه قادته مما ادى الى استقالة عدد كبير منهم من الحزب أو الابتعاد عن النشاط السياسى ، وتدهورت اوضاعه المالية حتى أن أمتعة نادى الحزب بيعت بالمزاد العلنى فى مايو ١٩١٢ وفاءاً للدين المطلوبة عن ايجار المبنى ، كذلك فإن فترة الحرب العالمية الاولى وعلان حالة الطوارئ التى كانت فاصلا حجب الحزب عن الرأى العام ، وتغير الظروف الدولية التى نشأ وتطور الحزب الوطنى فى ظلها ففرنسا أصبحت حليفة لبريطانيا ، والدولة العثمانية هزمت فى الحرب ، ونتيجة لكل هذه العوامل تضاعف نفوذ الحزب ليعمل محله حزب الوفد .

الذيل الثائر

* * *

ولد محمد فريد فى ١٨٦٨/١/٩ فى أحد قصور السيدة زينب ، وكان أبوه أحمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية عام ١٨٨٦ ، وما أن بلغ الطفل السابعة من عمره حتى أدخله أبوه مدرسة خليل أغا ليتعلم القراءة والكتابة ، ثم نقل الى مدرسة الفرير ليدرس اللغة الفرنسية ، ثم التحق بالمدرسة التجهيزية ثم دخل مدرسة اللسن ثم مدرسة الحقوق ونال شهادتها عام ١٨٨٧ .

وعين بقلم قضايا الدائرة السنية ، وتدرج فى وظائف القضاء حتى أصبح وكيل نيابة محكمة الاستئناف الأهلية ، وابتداء من عام ١٨٨٧ بدأ يكتب المقالات ، وكان يوقع بالحرفين الاولين من اسمه لان والده أبى عليه الاشتغال بالصحافة خوفاً من أن يعرضه لغضب السلطة فى ذلك الوقت .

وعندما قدم الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد للمحاكمة فى إحدى القضايا ، كان محمد فريد وكيلاً للنياية ، وصدرت منه أثناء الجلسة عبارات عدتها الحكومة ماسة بها ، فأمرت بنقله الى الصعيد ، إلا انه أثر الاستقالة عام ١٨٩٧ ، واشتغل بالمحاماة مع محمود ابو النصر ، واصدر بالاشتراك محمد احمد حافظ عوض ومحمود ابو النصر مجلة علمية نصف شهرية اسمها " الموسوعات " عام ١٨٩٨ .

وكان محمد فريد قد اتصل بمصطفى كامل منذ عام ١٨٩٣ ، وصار سنده الاكبر فى بعث الحركة الوطنية ، واختاره مصطفى كامل وكيلاً للحزب الوطنى فى أول جمعية عمومية له عام ١٩٠٧ ، ولما تولى مصطفى كامل فى فبراير ١٩٠٨ تولى محمد فريد زعامة الحزب الوطنى ، وفى هذه الفترة كان الوهن قد بدأ يدب فى جريدتى الحزب الوطنى الفرنسية والانجليزية ، ذلك أن الاسلوب العنيف الذى كانتا تخاطبان به الانجليز أدى الى أن نفر منهما القراء الاجانب ، كما أن الشركات - وكان معظمها أجنبياً - امتنعت عن إمدادهما بالاعلانات فهبط الدخل والتوزيع وتم إغلاقهما عام ١٩٠٩ .. ولم يبق للحزب سوى صحيفة اللواء التى سرعان ما نشبت الخلافات حولها مع بعض ورثة مصطفى كامل على ملكيتها ، مما دفع محمد فريد الى إنشاء جريدة

العلم عام ١٩١٠ ، وحقق نجاحاً كبيراً مما دفع الحكومة الى إصدار قرار بعد ثلاثة عشر يوماً من صدورهما بتعطيلها شهرين لأنها خرجت عن حد الاعتدال ، ودفع ذلك محمد فريد الى إصدار جرائد " الاعتدال " و " الشعب " و " العدل " حتى انتهت مدة التعطيل .

ومن الجدير بالذكر أن الانجليز حاولوا عام ١٩٠٩ التقدم بمشروع لمحاولة مد امتياز شركة قناة السويس ٤٠ عاماً من ١٩٦٩ الى ٢٠٠٩ ولكن محمد فريد أثار الرأي العام ضده حتى تم إحباطه .

وفي ١٦/٦/١٩١٠ أصدرت الحكومة قانوناً ينص على إحالة جرائم النشر الى محاكم الجنايات بدلا من محاكم الجنج وكان الغرض ردع الصحفيين وأصحاب الآراء الحرة ، وبمقتضى هذا القانون الجديد قدم محمد فريد الى المحاكمة فى قضية ديوان " وطنيتى " للشيخ على القاياتى وحوكم عام ١٩١١ لكتابته مقدمه الديوان وحكم عليه بالسجن ستة اشهر قضاها فى سجن الاستئناف بباب الخلق .

وقد رأى محمد فريد ضرورة استناد الحزب الوطنى الى قاعدة عريضة ومنظمة من أكثر الفئات الاجتماعية ثورية وهى العمال والفلاحون والمتقنون فعمل على تنظيم هذه الفئات وربطها بالحزب الوطنى ، فأنشأ للعمال أول نقابة وهى " نقابة الصنائع اليدوية " بببلاق ، والتي تعد أكبر تنظيم عمالى فى مصر فى الفترة السابقة على الحرب العالمية الاولى ، وبلغ حجم عضويتها عام ١٩١٢ نحو أربعة آلاف عضواً وكان لها فروع فى الاقاليم ، وكان نادى النقابة بالنسبئية من أنشط مراكز النشاط العمالى ، وأنشأ للفلاحين النقابات الزراعية (التعاونيات) وللمتقنين أنشأ نادى المدارس العليا للطلبة والخريجين ، ومدارس الشعب لتعليم العمال ، وبدأت هذه المدارس نشاطها فى أواخر عام ١٩٠٨ ، وكان أولها مدرسة الشعب بببلاق (نوفمبر ١٩٠٨) ثم انتشرت فى أحياء ومدن أخرى ، وكان برنامج هذه المدارس يتناول مواد القراءة والكتابة والدين والصحة وتربية الطفل وقوانين الشئون الاجتماعية والحساب وتاريخ مصر وجغرافيتها والتاريخ الاسلامى والاخلاق والآداب ، ولكن عوامل عديدة وقفت امام هذا الحلم ، وعندما جاءت الحرب العالمية الاولى قررت بريطانيا إغلاق نقابة الصنائع اليدوية ومدارس الشعب .

وفى عام ١٩١٢ شعر محمد فريد بأشتداد وطأه اضطهاد الحكومة له ، وفى ٢٢ مارس من هذا العام ألقى خطبة نادى فيها بمتابعة السير فى مشروع إنشاء جامعة مصرية ، وضرورة تشكيل النقابات العمالية ومطالبة الحكومة بشد أزى حركة التعاون ، وأن عدم إتفات الحكومة الى ترقية شأن العامل والفلاح مرجعه الاحتلال الذى يريد أن تبقى هذه الطبقات كقطيع الغنم ، وختم خطابه بالمطالبة بالدستور ، ولم يكذ يعضى يومان حتى استدعى للنيابة بتهمة التحريض على كراهية ومحاربة قلب نظام الحكم .

كانت نية الاحتلال قد اتجهت الى شل حركته نهائيا ، ولم يعد أمامه من سبيل إلا الهجرة من وطنه ، فغادر مصر الى الاستانة ثم الى فرنسا فانجلترا فسويسرا ، وصدر عليه حكم غيابى بالحبس سنة مع الشغل .. وواصل كفاحه على صفحات الصحف الأجنبية وعقد المؤتمرات لشرح القضية المصرية .

وكان قد عقد مؤتمر الشبيبة المصرية فى جنيف عام ١٩٠٩ ، ودعا الى حضوره أغلب الزعماء البارزين فى الحركة الاشتراكية الاوربية ، وبحث المؤتمر المشكلات المصرية ، وفى العام الثانى حاول أن يعقد مؤتمرا آخر فى باريس ليكشف للعالم حقيقة السياسة البريطانية فى مصر، لكن الحكومة الفرنسية مجاملة منها لانجلترا منعت عقد المؤتمر فعقده فى بروكسل وكان من أعظم المؤتمرات التى عقدها الوطنيين بالخارج ، وفى عام ١٩١٠ حضر جلسات المؤتمر الثامن عشر لأنصار السلام فى استوكهلم ونجح فى جعل المسألة المصرية من المسائل الاساسية فى جدول اعمال المؤتمر للسنة التالية ، وفى عام ١٩١٢ حضر مؤتمر السلام بجنيف حيث قرر الاعضاء اعتبار احتلال الانجليز لمصر عملا غير مشروع .

وفى المنفى أسس محمد فريد فى جنيف جمعية " ترقى الاسلام " وأصدر لها مجلة باللغة الفرنسية عام ١٩١٣ ، كما حاول أن ينشئ جريدة أسبوعية فرنسية تحمل اسم " ايكودى ليجيت " أى " صدق مصر " ولكن بعد صدور العديدين الاول والثانى أوقفتها الحكومة السويسرية بدعى انها تعكر صفو الحياذ الذى تقفه سويسرا .

ومرت سنوات النفى ، وبدأ يعانى من ضيق ذات اليد وعرفت الازمات المالية طريقها اليه بعد أن باع كل املاكه وأراضيه وانفق ثمنها فى سبيل قضية بلاده حتى نفذت

نقوده ، وبعدها بدأت قسوة الحياة وجوع المنفى واعتلت صحته وهو فى برلين حيث عاش أيامه الاخيرة ، فى حجرة عارية محرومة من وسائل التدفئة ، وكان يقف فى طابور المترددين على " مطاعم الشعب " شبه المجانية ، وقد اثارت هذه المعلومات شماتة الخديو عندما سمعها ولم يكن يعرف أنه سيشرب من نفس الكأس وينفى بأمر الانجليز أثناء الحرب العالمية الاولى .

ولم يتحمل محمد فريد هذه الحياة القاسية التى لا تتناسب مع سنه فأشتد عليه المرض ، ونصحه طبيبه بالعدول عن سياسته ، وبالاتفاق مع الانجليز على اساس الحماية حتى يتمكن من العودة الى مصر لانه كان فى حاجة الى دفء مناخها لكى يشفى من داء الكبد ، ولكن محمد فريد رفض ، وفى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ فاضت روحه فى برلين ، ولم تنقل وفاته الى أرض الوطن الا فى ٩ / يونيو / ١٩٢٠ ، على نفقة أحد المصريين هو الحاج خليل عفيفى .

مصر صاحبة فكرة أهم البطولات الافريقية والعربية * * *

كانت مصر هي أول دولة عربية وافريقية تتقدم لعضوية اللجنة الاولمبية الدولية عام ١٩١٠ ، وأول دولة من خارج أوروبا وأمريكا تشترك في الدورات الاولمبية منذ عام ١٩١٢ ، ثم أنها كانت الدولة الرائدة في الدعوة لإنشاء دورة ألعاب دول البحر الابيض المتوسط عام ١٩٤٩ وإقامة أول دورة في مدينة الاسكندرية عام ١٩٥١ ، كما أن مصر كانت هي الدولة الرائدة في الدعوة لإنشاء دورة ألعاب الدول الافريقية ، وأول دورة ألعاب للدول العربية في الاسكندرية عام ١٩٥٣ ، وأول بطولة لكأس الامم الافريقية في كرة القدم بالخرطوم عام ١٩٥٧ .

وقد تشكلت أول لجنة اولمبية مصرية عام ١٩١٠ برئاسة الامير عمر طوسون وبادرت في الاشتراك باللجنة الاولمبية الدولية لتكون الدولة رقم ١٤ في قائمة الدول المشتركة وأول دولة عربية وافريقية ، وقد عينت مصر سكرتيراً عاماً للجنة الاولمبية المصرية وهو (انجلر بولاناكي) وهو شاب رياضي يوناني الجنسية لكنه مصري المولد والاقامة وكان رياضياً متفوقاً أحرز عدة بطولات في مسابقات العدو وظل يشغل هذا المنصب طوال ٢٤ عاماً حتى عام ١٩٣٤ .

وفي عام ١٩٣٤ حدث تطور كبير في مسيرة الرياضة المصرية بإنشاء اللجنة الاهلية للرياضة البدنية لتنظيم الرياضة في مصر تبعاً للأنظمة الحديثة ، وكذلك حدث تطور كبير بأن طالبت مصر بتنظيم اللجنة الاولمبية المصرية واستجابت اللجنة الاولمبية الدولية واختارت محمد طاهر باشا ليكون ممثلاً لها في مصر .

وكانت فكرة إقامة دورة ألعاب البحر المتوسط مصرية ، وكان صاحبها محمد طاهر باشا عضو اللجنة الاولمبية الدولية وممثلاً في مصر ، وقد عرضت فكرته على اللجنة الاولمبية في مؤتمرها الذي عقد في مدينة روما في شهر ابريل ، وصدرت الموافقة بأن تتولى مصر تنظيم أول دورة رياضية للدول المطلة على البحر الابيض المتوسط في مدينة الاسكندرية في شهر اغسطس ١٩٥١ ، وقد وجهت اللجنة دعوتها واستجابت لها عشر دول هي :

اسبانيا / مالطة / ايطاليا / تركيا / اليونان / يوغو سلافيا / لبنان / سوريا /
موناكو / فرنسا ، وذلك الى جانب مصر الدولة المنظمة .

وقد اقيمت أول دورة في الاسكندرية من ٥ الى ٢٠ اكتوبر ١٩٥١ وتضمنت ١٣ لعبة
رياضية هي : ألعاب القوى / كرة القدم / كرة السلة / السلاح / الهوكي / التجديف
/ الجمباز / السباحة / الملاكمة / المصارعة / الرماية / الفروسية / رفع الاثقال .

وكانت شارة دورة البحر الابيض المتوسط تشمل منظراً لمخارة الاسكندرية تعلوها
علامة الألعاب الاولمبية وتقرر اقامتها كل ٤ سنوات .

كما كانت مصر هي صاحبة الدعوة الى إقامة دورة الألعاب الافريقية ، وقد وافقت
اللجنة الاولمبية الدولية على هذه المبادرة من جانب مصر وقررت في اجتماعها عام
١٩٢٧ إقامة أول دورة افريقية في مدينة الاسكندرية ، وكان هذا دافعاً لانشاء استاد
الاسكندرية عام ١٩٢٩ ، ولكن لم يتحقق تنفيذ دورات رياضية افريقية الا بعد ٣٥ عاما
عندما قرر المجلس الاعلى للرياضة في افريقيا إقامة أول دورة افريقية في مدينة
برازيل عاصمة الكونغو عام ١٩٦٥ واشتركت فيها ٢٨ دولة افريقية وحصلت فيها
مصر على المركز الاول بـ (١٨) ميدالية ذهبية و (١٠) فضية و (٣) برونزية .

وقد صممت ميدالية الألعاب الافريقية لتحمل صورة المصارع المصرى العظيم بطل
العالم ابراهيم مصطفى باعتباره أول مصرى وافريقى يحصل على أول ميدالية ذهبية
في المصارعة في الألعاب الاولمبية التي اقيمت في امستردام عاصمة هولندا عام
١٩٢٨ .

وكانت مصر أيضاً هي صاحبة الدعوة لاقامة دورة رياضية للدول العربية حتى
صدر قرار مجلس جامعة الدول العربية في اجتماعه يوم ٩/ابريل / ١٩٥٣ باقامة دورة
ألعاب رياضية اقليمية على غرار الدورات الاولمبية كل ٤ سنوات للدول الجامعة العربية
، وقد اقيمت أول دورة في شهر يوليو ١٩٥٣ بملاعب ستاد الاسكندرية واشتركت فيها
٠٠ مصر / فلسطين / الاردن / الجزائر / العراق / الكويت / سوريا / لبنان /
ليبيا .

كما كانت مصر هي صاحبة الدعوة لاقامة مسابقة كأس الامم الافريقية في كرة القدم التي اقيمت أولى مسابقاتها في الخرطوم في فبراير ١٩٥٧ واشتركت فيها ثلاث دول هي مصر والسودان واثيوبيا وفازت بها مصر .

أول رواية عربية * * *

تعتبر رواية " زينب " التي كتبها المصرى الدكتور محمد حسين هيكل أول رواية طويلة يكتبها أديب عربى ، وقد نشرها فى الصحف المصرية عام ١٩١١ بامضاء " فلاح مصرى " ، وكانت من أولى الروايات التى تم إخراجها للسينما وعرضت على الشاشة عام ١٩٢٧ .. وقد كتبها فى باريس اثناء إعداده رسالة الدكتوراة فى القانون .

وتصور رواية " زينب " شاباً متعلماً من الريف من أسرة ثرية أحب ابنة عم له ، غير أنه لم يستطع التعبير عن هذا الحب بسبب العادات والتقاليد ، وفى أحد الايام فوجئ بزواجها من شخص آخر ، وحطمت المفاجأة ودفعته لأن يحب فتاة ريفية ساذجة تسمى " زينب " غير أنها كانت فى منزلة متواضعة لا ترتقى الى منزلة أسرته ، فمُنحت حبها لشخص فى مستواها الاجتماعى ثم اضطرت الى الزواج ، وتؤدى الظروف ببطل القصة الى الذهاب للسودان ليعمل فى الخدمة العسكرية ، وتقع زينب أسيرة لمرض أودى بحياتها .

وتتميز القصة بأسلوب رقيق ووصف رائع للحياة فى الريف ، وهى تنتقد التقاليد التى تسيطر على الحياة الريفية التى تدفع بطل القصة الى أن يحاول تحطيم هذه القيود البالية التى تقيد حركته .

ولد محمد حسين هيكل فى كفر غنام بمركز السنبلوين بالدقهلية عام ١٨٨٨ م ، وتخرج فى مدرسة الحقوق عام ١٩٠٩ ثم سافر الى باريس فحصل على درجة الدكتوراة فى الاقتصاد السياسى عام ١٩١٢ ثم عمل فى الصحافة ثم أستاذاً للحقوق فرئيساً لتحرير جريدة " السياسة " فوزيراً للمعارف فالثئون الاجتماعية فرئيساً لمجلس الشيوخ .

ومن أعمال هيكل كتاب " جان جاك روسو " الذى صدر عام ١٩٢٣ ، وكان هيكل مغرمًا " بروسو " لسببين هما طريقتة فى التفكير التى تكاد تكون شرقية وشخصيته الفكرية التى خلده .. ونشر هيكل عام ١٩٢٥ " فى أوقات الفراغ " وهى مجموعة

رسائل أدبية تاريخية أخلاقية فلسفية .. ثم أخرج كتاب " عشرة أيام فى السودان " وسجل فيه رحلته الى هناك وأزال الشبهات عن هذا البلد حيث كان يظنه بعض الناس أرضاً جرداء لاتصلح للحياة ولايمكن أن تكون إلا منفى لمن غضب عليه فى مصر ، ومنهم من كان يظنه مكاناً لا يصلح لزراعة أو صناعة أو تجارة ، فأزال هيكلاً بكتابه كثيراً من الشبهات عن السودان وسكانه .

ثم وضع كتابه " تراجم شرقية وعربية " ثم كتاب " ولدى " و " ثورة فى الادب " ثم كتب عدة دراسات تاريخية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب ثم كتاب " مذكرات فى السياسة المصرية " ثم قصة " هكذا خلقت " .

وتوفى محمد حسين هيكل فى ٨ ديسمبر ١٩٥٦ .

أول دولة تشترك فى الاولمبياد من خارج اوربا وامريكا

* * *

كانت مصر هى أول دولة من خارج اوربا وامريكا تشترك فى الاولمبياد .. وكان أحمد حسنين لاعب السلاح هو أول لاعب يمثل مصر وذلك عام ١٩١٢ فى أولمبياد إستوكهلم بالسويد ، عندما سافر على نفقته الخاصة وقام بجميع المهام كلاعب وإدارى ورئيس بعثة .

وقد رأس أحمد حسنين أول بعثة أولمبية كاملة فى دورة انفرس الاولمبية ببلجيكا عام ١٩٢٠ واشترك فى لقاءات السلاح وكان قد تولى منصب رئيس الديوان الملكى ، واشتركت مصر وقتها فى ست (٦) ألعاب هى كرة القدم وألعاب القوى ومثلها لاعبان والجمباز لاعبان أيضاً والسلاح ورفع الاثقال والمصارعة الرومانية وفى كل منها مثل مصر لاعب واحد فقط ، وفيما يلى لوحة الشرف التى تتضمن أشهر الميداليات التى حصلت عليها مصر فى الدورات الاولمبية :

فى دورة باريس ١٩٢٤ حصل ابراهيم مصطفى على المركز الرابع فى المصارعة الرومانية لوزن الثقيل وهو أول مركز شرفى تحصل عليه مصر فى الاولمبياد ، وحصل عليه ايضا الرابع المصرى حامد سامى فى وزن خفيف الثقيل فى رفع الاثقال .

وفى دورة امستردام عام ١٩٢٨ حصل السيد نصير على أول ميدالية لمصر فى الاولمبياد وهى الميدالية الذهبية فى رفع الاثقال .. وفاز ابراهيم مصطفى بالميدالية الذهبية فى وزن الثقيل فى المصارعة الرومانية .. كما فاز فريد سميكة بالميدالية الفضية فى القفز من السلم الثابت والبرونزية فى السلم المتحرك وذلك فى مسابقة الغطس ، والغريب أن حكام الغطس اعلنوا النتيجة بفوز سميكة بالميدالية الذهبية فى البطولة ثم عدلوا قرارهم ليعطوا الذهبية لأحد لاعبي هولندا والفضية لسميكة .

فى دورة برلين ١٩٣٦ فازت مصر فى رفع الاثقال بذهبيتين وفضية وبرونزيتين ، فاز بالذهبية خضر التونى (المتوسط) بمجموعة ٣٩٢ر٥ كجم (رقم اوليمبى وعالمى وقتها) أنور أحمد (الخفيف) بمجموعة ٢٤٢ر٥ كجم (رقم اوليمبى وقتها) والفضية

صالح سليمان (الريشة) والبرونزية وصيف ابراهيم (خفيف الثقيل) و ابراهيم شمس (الريشة) .

فى دورة لندن ١٩٤٨ حقق المصريون فى رفع الاثقال ميداليتين ذهبيتين وقضية واحدة ، وفاز بالذهبية محمود فياض (الريشة) و ابراهيم شمس (الخفيف) وفاز بالفضية عطية ابراهيم (الخفيف) .

وفى المصارعة فاز محمود حسن بالميدالية الفضية فى وزن الديك (مصارعة رومانية) و ابراهيم عربى بالميدالية البرونزية فى وزن الثقيل (مصارعة رومانية) .

وفى دورة هلسنكى ١٩٥٢ حصل عبد العال راشد على الميدالية البرونزية فى وزن الريشة (مصارعة رومانية) .

وفى دورة روما ١٩٦٠ حصل عيد عثمان على الميدالية الفضية فى وزن الذبابة (مصارعة رومانية) وحصل عبد المنعم الجندى على البرونزية فى وزن الذبابة فى الملاكمة .

وفى دورة لوس انجلوس ١٩٨٤ حصل محمد رشوان على الفضية فى الوزن المفتوح (جودو) وكان بإمكانه الحصول على الميدالية الذهبية لو أنه استغل إصابته منافسه اليابانى ياماشيتا فى قدمه ولكن أخلاقه الرياضية أثبت عليه استغلال هذا الموقف .

عميد الأدب العربي يحصل على أول دكتوراة مصرية * * *

ولد عام ١٨٨٩ فى قرية عزبة الكيلو مركز مغاغة بالمنيا ، وفقد بصره وهو فى الثالثة من عمره بعد أن أصابه مرض فيهما ، وحددت الصدمة مستقبله فلم يبعث به أبوه الى المدرسة ، بل عزم على أن يدخله الكتاب حتى يصير شيخاً من حفظة القرآن الكريم ، وقد يسعده الحظ فيرسل به الى الازهر الشريف .. ولم يكد طه حسين يكمل التاسعة من عمره حتى أتم حفظ القرآن الكريم كله .. وفى عام ١٩٠٢ ذهب ليدرس فى الازهر وكان قد بلغ من عمره الثالثة عشرة ، وظل به حتى التاسعة عشرة ، وفى هذه السنوات التقى بشيوخ مختلفين منهم من جمدوا على القديم ووقفوا عنده ، ومنهم من مالوا الى التجديد والتطوير ، فسخط أشد السخط على الجامدين المتحجرين برضى كل الرضا عن الفريق الثانى ، وكان من اساتذته الشيخ محمد مصطفى المراغى والامام محمد عبده .

وأفاد الازهر طه حسين كثيراً فغيه تلقى علومه الاسلامية ، وفى رحابه تكونت أصول ثقافته العربية القديمة ، وما كان يمكنه أن يكون طه حسين الذى عرفته دنيا الادب والفكر لو درس الثقافة الحديثة وحدها .. وفى عام ١٩٠٨ وعندما أنشئت الجامعة الاهلية سارع الى الالتحاق بها ، ودفع جنيها رسم التحاق بالقسم المسائى قدمه له صديقه أحمد حسن الزيات .

وبدأ طه حسين ينتزع بعض الوقت من الدراسة ليوافى الصحف ببعض المقالات ، وبدأ مشاركة الحياة الادبية والاجتماعية من حوله ، وبدأ تعلم اللغة الفرنسية ، وفتحت له الجامعة الابواب لدراسة الثقافة العصرية المتطورة ودراسة التراث العربى الاحيل ، وقد سجلت له هذه السنوات نجاحاً فى دراسته داخل قاعات الجامعة ، وقد توج هذا النشاط برسالة قدمها للجامعة فى ١٥/٥/١٩١٤ بعنوان " تجديد ذكرى أبى العلاء " ونال بها درجة الدكتوراة ، وكانت أول دكتوراه تمنحها جامعة مصرية ، واعتزازاً من الجامعة بابنها النابغة قررت فى ٢/٨/١٩١٤ أن يسافر فى بعثة الى فرنسا على نفقتها .

ولم تلبث الحرب العالمية الاولى أن شبت فتقرر أن يكون سفره الى موندلبيه بدلا من باريس التي تهددها الحرب ، وأمضى هناك عاما تمكن فيه من اللغة الفرنسية ، ودرس الادب والتاريخ وعلم النفس ، وفجأة استدعته الجامعة الى مصر لعجز ألم بمواردها المالية ، وحين عاد أخذ يكتب المقالات دفاعا عن بعثته ، وتدارك الامر الامير أحمد فؤاد وأنقذ الجامعة من عجزها المالي ، وعاد طه حسين الى فرنسا والى باريس هذه المرة . وهناك تزوج " سوزان بريسو " فى ١٩١٨/٨/٩ وكانت ذات أثر كبير فى حياته فقد وقفت الى جانبه ، وكانت خير قارىء تنقل له كنوز اللغة الفرنسية نقلا واعياً متتوقفاً ، وكانت تسجل له مايمليه عليها ، واعانته على دراسته حتى حصل على الدكتوراه فى " الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون " عام ١٩١٨ ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا عن رسالة تتصل بالقانون المدنى .

وعاد طه حسين الى مصر عام ١٩١٩ ، وعين أستاذاً للادب العربى ، ومضى يشق طريقه بين هيئة التدريس بالجامعة ، وفى تلك السنة ظهر له كتابان " الظاهر الدينية عند اليونان " " وتطور الآلهة وأثرها فى المدينة " ولم يكن يمضى عام دون أن يظهر له كتاب مؤلف أو مترجم وقد عمل طه حسين على أن يغير الادب العربى فى فكره وألوانه وأسلوبه ، ثار على الشعر والشعراء فى عصره لانه وجد أكثر مايقولون شعر مناسبات ، وشعراً باليا يقلد القدماء ويسرق منهم الفكرة والصورة والعبارة ، كما ثار على الكتابة والكتاب وراى أنهم يتحركون فى دائرة ضيقة محدودة خالية من الاشكال الفنية الصحيحة للنثر الحديث كالمقالة والقصة والمسرحية ، وأنهم مع ضيق هذه الدائرة يملنون نثرهم بالزخارف الخداعة .. وأحدثت آراؤه ضجة كبيرة فى ميدان الشعر والنثر ، وقاومه الكثيرون ، أما هو فلم يكتف بذلك بل عرض نماذج لهم من الاشكال الفنية الصحيحة فخرج كتابا بعنوان " صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان " وأخرج عام ١٩٢٤ كتابا بعنوان " قصص تمثيلية لجماعة من أشهر الكتاب الفرنسيين " وفى عام ١٩٢٥ ظهر المجلد الاول من أحاديث الاربعاء التى كانت تنشرها له صحيفة السياسة عن الشعراء المجددين فى العصر العباسى ، وظهر المجلد الثانى عام ١٩٢٦ .

وفى عام ١٩٢٦ أيضاً ظهر له كتاب " الادب الجاهلى " الذى كان كالزلزال ، زعزع ما استقر فى النفوس من حقائق عن ذلك الادب ، وثار الكثيرون ، وحول الكتاب الى

النيابة ، وتقرر منع نشره ، ولكن طه حسين احتال حتى اعاد نشره بعنوان " فى الأدب الجاملى " .

واختير طه حسين عميدا لكلية الآداب ، وعرض الامر على وزير المعارف ، ولم يكن من الحزب الذى يناصره طه حسين ، فأبى أن يوافق على إختيار الجامعة له ، وطلب اليه ان يستقيل من العمادة ، فأصر طه حسين على أن يعتمد الوزير تعيينه أولا ثم يستقيل بعد ذلك ، وقبل الوزير واعتمد التعيين واستقبال طه حسين من العمادة بعد يوم واحد ، وتولاهما عميد فرنسى .

وفى عام ١٩٢٩ ظهر الجزء الاول من " الايام " يحكى فيه قصة طفولته ونشأته ، وفى عام ١٩٣١ انتهت مدة العميد الفرنسى ، فاعادت الكلية انتخاب طه حسين عميدا لها ، ولكن حدث أن حلمى عيسى وزير المعارف سارمه على ان يكون رئيس التحرير لجريدة هذه الوزارة ، فأبى حتى لا يخالف مبدأه السياسى فاضمرها الوزير فى نفسه ثم عاد فطلب اليه منح بعض السياسيين درجة الدكتوراة الفخرية فرفض ، فقام الوزير بنقله الى وزارة المعارف ، وقامت مظاهرة ضخمة ضد القرار ، ولم يجد اسماعيل صدقى رئيس الوزراء إلا ان يعزله .

ظل طه حسين خارج الوظيفة أربع سنوات ، وظل يعمل أديباً ومؤرخاً للأدب وناقداً ، وكان من الكتب التى ظهرت له فى التاريخ الاسلامى " على هامش السيرة " وفى القصة الاجتماعية " دعاء الكروان " وفى السياسة " من بعيد " وفى التراجم " أديب " و " مع ابي العلاء فى سجنه " وفى التاريخ الادبى " الحياه الادبية فى جزيرة العرب " .

وفى عام ١٩٣٦ عاد مره أخرى عميدا لكلية الآداب ، ولقبه الادباء عميد الادب العربى لانه رائد نهضته التى بعثت بعثاً جديداً .

وفى عام ١٩٤٢ أختير مستشاراً للمعارف ، وندب مديرا لجامعة الاسكندرية ثم أختير وزيرا للمعارف بين سنتى ١٩٥٠ / ١٩٥٢ ، وهو لم يدخل ميدان التربية على غير خبرة ، وفى عام ١٩٢١ نقل الى العربية كتاب " روح التربية " لجوستاف لوبون ،

وفى عام ١٩٣٨ ألف كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " وهو صاحب نظرية الماء والهواء فى التعليم ، وقد شهدت مصر على يديه نهضة قوية فى نشر التعليم ونقله الى أعماق الريف وتمكين الفقراء منه .

وخلال هذا المشوار استمر انتاجه فوضع روايات أحلام شهر زاد ، شجرة البؤس ، جنة الشوك ، المعذبون فى الارض ، جنة الحيوان ، كما كتب الشيخان ابو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلى وبنوه .. ترجمت بعض أعماله الى الفرنسية والانجليزية والعبرية والروسية والفارسية والصينية وغيرها ، وقد انتخب طه حسين رئيسا لمجمع الخالدين خلفا لأحمد لطفى السيد ، وفى ديسمبر ١٩٦٥ منحه الرئيس عبد الناصر أرفع أوسمة مصر " قلادة النيل " وتوفى عام ١٩٧٣ .

قصة اللاجئين السياسيين إلى مصر

* * *

منذ سنوات طويلة فتحت مصر أبوابها للاجئين السياسيين ، ففي عصر السلطان حسين كامل عرفت القاهرة وجوه الروس البيض الذين دفعتهم ثورة ١٩١٧ البلشفية في روسيا إلى الفرار إلى أرجاء شتى من هذا العالم وأطلق عليهم الروس البيض تمييزاً لهم عن الروس الحمر الموالين للثورة .. وفي شارع عماد الدين أسس الروس البيض منتدى اجتماعياً لهم ، وفي عام ١٩٤٦ أعادت القاهرة فتح أبوابها لعدد من الشباب اليوغسلاف الذين كان الخلاف السياسى قد احتدم بينهم وبين عصابة الشيوعيين اليوغوسلاف وهو التنظيم السياسى الذى كان الزعيم تيتو قد شارك فى تأسيسه .

وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٣١ وافق ملك مصر فؤاد الاول على المعاهدة التى وقعت بين مصر والعراق بشأن تسليم المجرمين ، ونصت المادة السادسة على ألا يسمح بالتسليم من أجل جريمة سياسية .

وقد نص الدستور المصرى فى مادته ٥٣ صراحة على حقوق اللاجئين وحظر تسليمهم ومقاومة الاضطهاد ، وانضمت مصر الى اتفاقية الامم المتحدة الخاصة باللاجئين عام ١٩٨١ ، واتفاقية ١٩٨٤ .

وكان الشاه " محمد رضا بهلوى " شاه ايران الاخير من أشهر من لجأ الى مصر سياسياً حيث لم يجد أمامه بعد قيام الثورة فى إيران سوى ملاجئ مؤقتة ومستشفيات متوسطة المستوى فى جزر البهاما والمكسيك بعد اكتشاف إصابته بالسرطان ، ورفضت المكسيك عودته إليها ثانية بعد خروجه منها إلى نيويورك ، ورفضت بريطانيا وسويسرا السماح له بدخول أراضيها ، ولم تجب فرنسا على طلبه بمنحه تأشيرة دخول أراضيها ، وكانت أسوأ لحظات حياته عندما علم أنه كان مادة لمفاوضات تهدف إلى تحقيق قدر معقول من تطبيع العلاقات بين إيران والولايات المتحدة ، فاستضافته مصر لاجئاً سياسياً حتى توفى .

وكان أطفال " بياتريس لوموبا " زعيم ثورة الكونغو - الذى لقي مصرعه على يد

رجال تشومبى - هم أصغر لاجئين سياسيين وطأت أقدامهم أرض مصر ، وكان أكبرهم لايتجاوز التاسعة من عمره ، وقد وصلوا الى القاهرة برفقة أحد الزعماء الكونغوليين البارزين ووزير التربية والتعليم فى حكومة لومومبا الثرية .

وقد استضافت مصر سياسياً معظم زعماء كينيا المعروفين مثل اوجنجا اودنجا ، ونجالا ، وتوم مبويا ، وجيمس جيشور وجوزيف مومبى ، كما لجأ اليها د. فيليكس موميه زعيم حزب اتحاد شعب الكامبيرون ، ومحمود حربى السياسى الصومالى وجيبويكارى زعيم حزب سوابا فى النيجر ، ولاجئون يمثلون اتحاد شعب الكامبيرون ، وحزب المؤتمر الوطنى الافريقى وحزب البان افريكى من جنوب افريقيا والحركة الشعبية لتحرير انجولا وجبهة تحرير موزمبيق وحزبى " زابو " و" زانو " من زيمبابوى .. وفى نهاية الخمسينات وبداية الستينات كان فى مصر لاجئون سياسيون من : كينيا / الجزائر / الكامبيرون / الكونغو / انجولا / موزمبيق / غينيا بيساو / جنوب افريقيا / ناميبيا / جزر القمر / كومورو / نيجيريا / اريتريا التى كان من لاجئها " ولد أب ردا ماريام " الذى نجا من سبع محاولات إغتيال دبرها له هيللا سلاسى مما جعل منه أسطورة فى اريتريا .

وقد كانت مصر المصدر الوحيد لتسليح وتدريب أغلب حركات التحرير الافريقية .

وعلى الصعيد العربى كان من أشهر اللاجئين السياسيين الى مصر الملك سعود أشهر لاجئ سعودى يختار مصر ملاذاً له بالرغم من الخلاف المصرى السعودى الحاد آنذاك .. والملك الليبى السنوسى أشهر اللاجئين الليبيين الى القاهرة وجاء اليها بعد ثورة الفاتح .. والرئيس السودانى جعفر النميرى .. والسعودى " ناصر السعيد " زعيم تنظيم اتحاد شعوب شبه الجزيرة العربية .. كما لجأ عدد كبير من السياسيين اليمنيين الى القاهرة .

وفى عام ١٩٦٢ استضافت القاهرة خمسة وزراء من سوريا هم وزراء حكومة الوحدة الذين عارضوا الانفصال بالاضافة الى مدير البرامج الثقافية بتليفزيون دمشق ومدير اذاعة حلب .

وهكذا ظلت مصر الملاذ الوحيد والكريم لمن ضاقت عليهم الارض بما رحبت .

الكنز الذى أصبح أن يظل مصرياً !!

" سأجعل العلاج بالنبوة كالعلاج بالاسيرين " قالتها ذات يوم مصرية عاشت عمرها الذى لم يتجاوز ٢٥ عاما فى سلسلة تفوق إعجازى مستمر .. اجتمع مجلس الوزراء من أجلها خصيصاً لتعين فى الجامعة .. وكاثت المصرية الوحيدة التى زارت المعامل السرية فى أمريكا .. وفقدت حياتها القصيرة فى حادث غامض .. إنها المعجزة المصرية د. سميرة موسى .

ولدت فى ٣ مارس ١٩١٧ بقرية سنمبو الكبرى مركز زفتى بمحافظة الغربية ، وعندما بلغت السادسة من عمرها التحقت بكتاب القرية ، وبقيت به حتى حفظت القرآن الكريم .. وبدأت رحلة النبوغ عندما مات سعد زغلول ، وأراد أبناء القرية قراءة ماكتب عنه فى الصحف ، وقيل أن سميرة تستطيع أن تقرأ ماكتب ، وإذا بها تقرأ الجريدة كاملة دون أن تخطئ فى كلمة واحدة ، وفى اليوم التالى طلب منها المدرس أن تقرأ لزميلاتها ماكتب عن سعد زغلول ، وإذا بها قد حفظت ماكتب بالجريدة عن ظهر قلب وبالحرف الواحد .

وألح الجميع على والدها أن يذهب بها الى مدارس القاهرة .. وما كان منه إلا أن استخار الله وباع بضعة أفدنة كان يمتلكها ، وجاء الى القاهرة واشترى بثمنها لوكائدة فى حي الحسين ، وألحق ابنته بمدرسة قصر الشوق الابتدائية ، وكان أن نجح المشروع التجارى مما أغراه باقامة لوكائدة اخرى هى لوكائدة " وادى النيل " بميدان العتبة .

ومن البداية احتفظت سميرة بالمرتبة الاولى حتى حصلت على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، وبعد ذلك التحقت بمدرسة بنات الاشراف بالعباسية ، وكانت ناظرتها نبوية موسى أول ناظرة مصرية ، وهنا ألقت لزميلاتها كتاباً فى الجبر للصف الاول الثانوى كتب على غلافه " الجبر الحديث " - الجزء الاول - لطلبة السنة الاولى الثانوية - تأليف سميرة موسى - الطبعة الاولى عام ١٩٣٢ - حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة " .. وهنا تكررت قصة التفوق المتواصل فقد كانت تجرى مسابقات بين المدارس

وكانت سميرة موسى محتركة المركز الاول على بنات القطر المصرى طوال السنوات الاربع حتى حصلت على شهادة الثقافة العامة .

وكان عليها فى البكالوريا أن تختار الشعبة التى تتخصص فيها ، واختارت شعبة العلوم ، ولكنها اكتشفت أن مدرسة بنات الاشراف لا توجد بها معامل ، وأرادت أن تنتقل الى مدرسة الاميرة فوزية ، إلا أن نبوية موسى رفضت أن تنقلها واشترت لها معملا تحتفظ لمدرستها بتميزتها النابغة ، وبقيت سميرة لتتخرج رحلتها بالحصول على المركز الاول للسنة الخامسة ولتكون الاولى على القطر المصرى .

وقد رت سميرة أن تلتحق بكلية العلوم ، فهى الكلية التى تتيح لها فرصة التجربة فى المعامل وكان عميد الكلية فى ذلك الوقت هو د . مصطفى مشرفه باشا ، واستطاعت سميرة أن تحصل على بكالوريوس العلوم عام ١٩٣٩ بامتياز مع مرتبة الشرف .. واعترضت الجامعة ووزير المعارف على تعيينها معيدة ، حيث لم يكن قد تقرر بعد تعيين المرأة فى هيئة التدريس ، واتخذ د . مشرفه موقفا حاسما بين تعيينها أو استقالته وذلك لاقتناعه بها ، واجتمع مجلس الوزراء خصيصاً واتخذ قرارا بأحقيتها فى ذلك الموقع العلمى .

وقد أرادت الجامعة إرسالها فى بعثة للحصول على الماجستير ، ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية منعتها من السفر ، ولم تياس وحصلت على الماجستير من مصر بتقدير امتياز فى موضوع " التوصيل الحرارى خلال الغازات وتكييف الهواء " .. ثم سافرت الى لندن للحصول على درجة الدكتوراة .. كانت مدة البعثة ثلاث سنوات ، وكانت المفاجأة حين حصلت على الدكتوراة فى عام ونصف ، وكانت أول عربية تحصل على الدكتوراة فى الاشعة السينية وتأثيرها على المواد المختلفة ، وقد شهد لها اساتذتها بالنبوغ والعبقرية وأطلقوا عليها لقب " مس كورى المصرية " تشبيها لها بالعالمة المشهورة مدام كورى التى اكتشفت الراديو .

ولأن المنحة كانت تتبع لها بقاء باقى الثلاث سنوات فى انجلترا ، فقد اشغلت هذه الفترة فى دراسة الذرة ، وظلت تفكر فى أهمية استخدامها فى الاغراض السلمية بحيث تكون سلاحا للتقدم الانسانى وقد تأكد لديها هذا الاتجاه بعد أن مرضت والدتها بالداء الخبيث ، فتركزت كل أبحاثها من أجل استخدام الذرة فى العلاج .

وكانت الدكتورة سميرة موسى قد أصبحت ذات شهرة واسعة في الأوساط العلمية الدولية وكانوا يعتبرونها التلميذة النابغة للعالم الكبير د. مصطفى مشرفه الذي كان واحداً من خمسة علماء في العالم كله فهموا نظرية النسبية لأينشتاين ، واستطاع أن يستوعب مفرداتها بما يتيح له أن يحقق نتائج في هذا المجال الهام .

وعينت د. سميرة موسى بكلية دار العلوم بقسم الطبيعة ، وفي عام ١٩٥١ بلغت دعوة للسفر الى الولايات المتحدة الأمريكية ، وحصلت على منحة فولبرايت لدراسة الذرة بجامعة كاليفورنيا ، وهي أشهر الجامعات التي عنيت بدراسة الذرة في ذلك الوقت ، واستطاعت أن تحصل على نتائج أذهلت الأوساط العلمية في أمريكا وأوروبا .

وكانت د. سميرة موسى هي المصرية الوحيدة التي سمح لها أن تزور المعامل السرية في أمريكا وتلت عروضا بأن تبقى في أمريكا وأن تحصل على الجنسية الأمريكية ولكنها رفضت، وفضلت أن تعود الى مصر وأن تواصل منها رسالتها العلمية والانسانية ، وفعلت بدأت تستعد للعودة وبعيت الى رحلة استجمام قبل عودتها .. وقبلت الدعوة .

وركبت د. سميرة موسى السيارة ، وفي منطقة مرتفعة اندفعت السيارة لتسقط في الهاوية الى عمق ٤٠ قدماً ، ومعها " الكنز المصري " بينما قفز قائدها واختفى الى الأبد .. وقد عثر على آخر سطر كتبته في أجندتها قبل أن تلقى مصرعها وكان " المنظر .. رائع .. رائع .. رائع " .

كان ذلك يوم ٥ أغسطس ١٩٥٢ ، وكانت د. سميرة موسى في الخامسة والثلاثين من عمرها ، وكانت آمالها اكبر بكثير مما تحقق ، وكانت مصر في ذلك الوقت تستعد لاستقبال ابنتها التي نافست مدام كوري في النجاح والشهرة والمجد . ثم ذهب الكنز الذي أصر أن يظل مصريا ، تاركاً خلفه ألف علامة إستفهام ؟؟؟ .

سعد زغلول وثورة ١٩١٩

* * *

ولد سعد زغلول عام ١٨٥٦ فى بلدة " إبيانة " بمركز قوه (بكفر الشيخ الآن) بمديرية الغربية وقد تعلم مبادئ القراءة والكتابة فى كتاب القرية وحفظ القرآن ، وانتقل الى الجامع الدسوقي حيث أتم تجويد القرآن ، وتلقى دروساً فى النحو والفقه ، ودخل الأزهر عام ١٨٧١ ليتم دراسته ، وفى أكتوبر ١٨٨٠ عين محرراً بالقسم الادبى فى الوقائع المصرية التى تولى رئاسة تحريرها الشيخ محمد عبده ، وبذلك انتقل سعد زغلول من الأزهر الى الوظائف الحكومية ، ثم نقل الى وظيفة معاون بوزارة الداخلية فغير زى العمامة ولبس الطربوش ، ثم نقل الى وظيفة ناظر لقلم القضايا بمديرية الجيزة فى أواخر عام ١٨٨٢ واتجه الى الدراسات القانونية وهو فى هذه الوظيفة ، وفى عام ١٨٨٤ انتظم فى سلك المحاماة ثم عين عام ١٨٩٢ قاضياً بمحكمة الاستئناف ، وفى عام ١٨٩٧ حصل على إجازة الحقوق من باريس وفى أكتوبر ١٩٠٦ عين وزيراً للمعارف .

وحين وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها تولى سعد زغلول زعامة الحركة التى قامت للمطالبة بالاستقلال .. وترجع ثورة ١٩١٩ الى أسباب عدة أهمها ما كان يعانيه الشعب من الاحتلال البريطانى منذ ١٨٨٢ ، وازدياد الاحتلال رسوخاً بعد الحرب العالمية الاولى بإعلان انجلترا حمايتها على مصر فى ديسمبر ١٩١٤ ، وقد اجتمعت الاحكام العرفية الى الاحتلال والحماية ورزحت البلاد تحت هذا الظلم الثلاثى أربع سنوات متصلة ، وجندت السلطة العسكرية نحو مليون مصرى فى أعمال الجيش البريطانى وحملاته ومات كثير منهم فى ميادين القتال وأصيب الكثير وأساء الجنود الانجليز معاملتهم مما أثار كراهية المصريين لهم.

وفى ١٢ نوفمبر ١٩١٨ نشأ الوفد كحركة تنوب عن الشعب المصرى فى المطالبة بالاستقلال الوطنى ، وقد تألف الوفد من سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ، وكانوا جميعاً أعضاء فى الجمعية التشريعية .. وفى هذا اليوم قام الوفد بمقابلة السيّد " ريجنالد وينجت " المنسوب السامى البريطانى فى مصر ، وكان قد مضى يومان على اعلان الهدنة فى الحرب العالمية الاولى .

وطالب القادة الثلاثة بضرورة إلغاء الحماية وحصول مصر على الاستقلال وأن ذلك لن يمس بالمصالح الحيوية الانجليزية في المنطقة ولا بسلامة الطريق الى الهند ولتأكيد الصفة التمثيلية باسم الامة تم تأليف هيئة باسم " الوفد المصرى " للحصول على توكيلات من الامة تخولها هذه الصفة .

وسعى سعد زغلول الى توسيع الوفد لضم مختلف القوى السياسية المصرية ، وانتهج عدداً من السبل للمطالبة باستقلال مصر ، فمن ناحية أولى بدأ فى الاتصال بالسلطات الانجليزية والاحتجاج لديها على استمرار الاحتلال والحماية طارحاً الحجج القانونية المدعمة لاستقلال مصر ، ومن ناحية ثانية خاطب الرأى العام الانجليزى والاوربى والامريكى محاولاً استقطاب أكبر قدر من التأييد للقضية المصرية ، ومن ناحية ثالثة اتجه الى الاجانب المقيمين فى مصر لطمأنتهم وكسب تأييدهم ، ومن ناحية رابعة بدأ فى تعبئة الرأى العام الداخلى فانتشرت حركة التوقيعات على التوكيلات الشعبية لتعزيز وكالته عن الامة ونظمت الاجتماعات لتتوير الشعب .

وفى يوم السبت ٨ مارس ١٩١٩ ألقت السلطات العسكرية البريطانية القبض على سعد زغلول وصحبه ووضعتهم فى ثكنات قصر النيل ، وفى اليوم التالى نفوا الى جزيرة مالطة .. وفى اليوم التالى شبت ثورة ١٩١٩ التى كانت أعنف ثورات المستعمرات فى هذه الفترة ، وبدأت بمظاهرات سلمية قام بها الطلبة فى ذلك اليوم ، وفى اليوم التالى أضرب جميع طلاب المدارس والازهر وألغوا مظاهره كبرى وانضمت اليهم جموع الشعب ، وأطلق الجنود البريطانيون الرصاص على المتظاهرين ، واستمر الاضراب العام ، وتعطلت المواصلات فى جميع أنحاء العاصمة وأغلق التجار متاجرهم واستمرت القوات البريطانية فى القتل وسفك الدماء .. وفى ١١ مارس اضرب المحامون الوطنيون وفى ١٥ مارس اضرب المحامون الشرعيون ، وعمال العنابر بالسكك الحديدية وتعطلت قطارات الوجه القبلى ، وفى ١٢ مارس عمت فكرة قطع المواصلات وقطعت السكك الحديدية وأسلاك البرق والتليفون ، وكان أول خط قطع بين طنطا وتلا ، وامتد القطع الى مختلف الخطوط وانقطعت المواصلات بين القاهرة والاقاليم وبين الاقاليم بعضها وبعض ، وتعذر على الناس أن ينتقلوا من جهة الى أخرى وأصبحت البلاد كلها فى ثورة عارمة .. وفى ١٦ مارس قامت السيدات بمظاهرات كبرى وأعددن

احتجاجاً مكتوباً على الفظائع التي ارتكبها الانجليز في قمع المظاهرات السابقة ،
وسلمن صورة منه الى معتمدى الدول .

وقد قام الازهر بدور مجيد في هذه الثورة ، وكانت تعقد فيه الاجتماعات العامة .
وتلقى فيه الخطب النارية وتبدأ منه المظاهرات .. وارتكب الانجليز لقمع هذه الثورة
فظائع بلغت حد الوحشية في القسوة والتنكيل .

وراجعت الحكومة الانجليزية الثورة بتعيين الجنرال (آدموند اللنبى) مندوباً سامياً
فوق العادة لمصر والسودان بدلا من السير وينجت ، وأفرجت عن سعد زغلول وصحبه
فى ١٧ / ابريل ، وفى مايو ١٩١٩ قررت الحكومة البريطانية تأليف لجنة برئاسة اللورد
(الفرد ملنر) وزير المستعمرات وقتئذ لتقرير نظام الحكم بعد إستشارة ومفاوضة
السلطان والوزراء وأصحاب الرأى والشأن من المصريين .. وفى ٧ ديسمبر وصل ملنر
وأعضاء لجنته فقبلوا من الامة بالمقاطعة التامة ، فعاد الى بلاده فى مارس ١٩٢٠ ،
ثم دعا الوفد للتفاوض معه فى لندن وأسفرت المفاوضات عن مشروع ظاهره الاستقلال
وياطنه الحماية ، ثم قطعت المفاوضات فى نوفمبر ١٩٢٠ ، وفى فبراير ١٩٢١ اصدرت
الوزارة الانجليزية قراراً يتضمن اعتبار الحماية علاقة غير مرضية ودعوة مصر للدخول
فى مفاوضات رسمية ، وتألقت وزارة عدلى يكن فى مارس ١٩٢١ وفى عهدها جرت
المفاوضات الرسمية ، والتي مالبثت أن أخفقت فاعتقل الانجليز سعد زغلول وبعض
أنصاره ونفوههم الى جزر سيشل بالمحيط الهندى ثم نقلوه الى جبل طارق ثم أفرجوا
عنه فى مارس ١٩٢٣ .

وقد نجحت ثورة ١٩١٩ فى القضاء على الحماية إذ اعترفت الحكومة البريطانية
فى فبراير ١٩٢١ بان الحماية علاقة غير مرضية ثم أعلنت الفاعها ضمن تصريح ٢٨
فبراير ١٩٢٢ واعترفت فى هذا التصريح بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة غير أن
الاحتلال ظل حتى ١٨ يونيو ١٩٥٦ حين جلا آخر جندى أجنبى عن مصر .

وبعد الافراج عن سعد أجريت الانتخابات البرلمانية الاولى فى يناير ١٩٢٤ ونال
الوفد الاغلبية فألف سعد زغلول الوزاره برئاسته ثم استقال فى نوفمبر ١٩٢٤ على اثر
مقتل السردار (لى ستاك) حاكم السودان .

ويمكن تحديد أهم إنجازات ثورة ١٩١٩ فى انها سياسيا أدت الى إلغاء الحماية ضمن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وإعلان الدستور عام ١٩٢٣ الذى كان حجر الزاوية فى البناء الدستورى لمصر حتى عام ١٩٥٢ ، وإقرار الحياة النيابية وكان ذلك تنويجاً لكفاح طويل بدأ من أيام الثورة العربية ، وإقتصاديا عبرت الثورة عن نشاط متزايد للطبقة الرأسمالية وأوجدت شعوراً وطنيا اقتصاديا تعتل فى انشاء بنك مصر عام ١٩٢٠ ، وإجتماعيا كرست الثورة الوحدة الوطنية المصرية بين المسلمين والاقباط فخطب القساوسة على منابر المساجد وخطب المشايخ أمام مذابح الكنائس ، كما أتاحت أحداث الثورة الفرصة لخروج المرأة المصرية الى ميدان العمل السياسى والاسهام فى النشاط العام .

وفى الحقيقة فإن الثورة أوجدت نهضة عامة شملت مختلف جوانب الحياة الاجتماعية فتكونت العديد من النقابات العمالية ، ونهضت الحياة الفنية على يد سيد درويش ، ونشأت جمعيات الكشافة ، وكونت جمعيات التموين التعاونية ، وكان أهم دلالات الثورة تأكيدها العمل على مفهوم الاعتماد على النفس بعد فترة كانت الحركة الوطنية فى مصر قد اهتمت كثيرا بمخاطبة رأى العام الخارجى .

أول بنك مصرى

* * *

كان محمد طلعت حرب هو صاحب هذه الفكرة ، وكان يريد إنشاء بنك مصرى يديره مصريون بأموال مصرية ، وكان إيمانه بالفكرة إيماناً عميقاً ، وكشف عنها لبعض أصحابه ولكن الكثيرين قابلوها بالفتور والتشكك ، ثم نادى بها فى مؤتمر مصرى كان منعقد فى عام ١٩٠٨ فآمن معه بالفكرة قلة وتوقع له الكثيرون الفشل ، فقد تسلط فى ذلك الوقت على الغالبية وهم مؤداه أن الاعمال المالية والصناعية والتجارية لا يقدر على فهمها إلا الأجانب .

وظل طلعت حرب على الرغم من ذلك معتصماً بإيمانه بصواب فكرته ، وأخذ يدعو لها فى الصحف وألف فى ذلك كتاباً عام ١٩١٠ عن (علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك مصر أو بنك الامة) ، وظل يناضل فى سبيل هذه الفكرة حتى اشتعلت ثورة ١٩١٩ فرمى بفكرته فى أتون الثورة فنضجت الى أن استطاع مع بعض رفاقه أن يعلن يوم الجمعة ٧/مايو/ ١٩٢٠ ميلاد بنك مصر .

وبدأ البنك برأس مال متواضع قدره ثمانون ألف جنيه ، واشترط طلعت حرب أن تكون أسهم البنك كلها للمصريين ، كما قرر جعل اللغة العربية لغة البنك فى كل أعماله وشئونه ثم أنشأ مطبعة مصر ومكتبة مصر لتزويد البنك وفروعه ومآقده ينشئه من شركات بالمطبوعات والدفاتر وأنوات الكتابة ، كما أنشأ عدداً كبيراً من الشركات منها شركة مصر لصناعة الورق / شركة مصر للغزل والنسيج / شركة مصر للطيران / شركة مصر للسياسة / شركة مصر للتمثيل / شركة مصر للنقل والملاحة / شركة مصر لمصايد الاسماك .

وبالإضافة الى جهوده فى مجال الاقتصاد كان يعمل على تشجيع الآداب والفنون فأنشأ دار التمثيل العربى بمدينة الازبكية وشجع المسرحيات المصرية والعربية .

ولم يقتصر جهد طلعت حرب على خدمة مصر وحدها وإنما امتد نشاطه الى البلاد العربية فقد أنشأ بنوكاً فى سوريا ولبنان باسم " بنك مصر - سوريا - لبنان " ويسر

لحجاج بيت الله الحرام بواخر مصرية ، وساهم بشكل فعال فى إقامة فنادق ممتازة فى الاراضى المقدسة ، وسك عملة سعودية لتثبيت أسعار النقد هناك .

ولد طلعت حرب بقصر الشوق بجهة الجمالية بالقاهرة ، وعاش بين عامى (١٨٦٧ - ١٩٤١م) وتدرج فى التعليم حتى نال شهادة الادارة والالسن ثم عمل مترجماً بقلم قضايا الدائرة السنية خلفاً للزعيم محمد فريد الذى تولى حينذاك رئاسة هذا القلم ثم تدرج الى أن أصبح مديراً لأقلام القضايا ثم عمل مديراً لشركة كوم امبو ، وأحيلت عليه فى الوقت نفسه الشركة العقارية المصرية حيث تدرّب فيها على الاعمال المالية ، واستمر فى عمله بهذه الشركة حتى مصرها ، وأصبحت غالبية رأس مالها فى أيدي المصريين .

الملك الصغير وأعظم كشف فى تاريخ علم الآثار الحديث * * *

لو لم يكتشف قبره فى عام ١٩٢٢ لبقى ذكره مدفوناً معه ، فقد تولى الحكم حوالى عام ١٢٥٠ ق م وعمره اثنى عشر عاماً ، ومات دون العشرين ، ذلك أن اخناتون لم يزدق ولداً يعقبه فى الملك ، فلما مات اعتلى العرش صهره " توت عنخ آتون " وبتوليته لاحت الفرصة التى كان كهنة آمون يتربصونها فأجبروه على ترك " اخيتاتون " والعودة الى طيبة ، كما أجبروه على تغيير اسمه فصار " توت عنخ آمون " أى " صورة آمون الحية " .

ولم يقم توت عنخ آمون بأعمال جليلة تميزه عن غيره من الملوك ، ومع ذلك فقد ذاع صيته وطارت شهرته فى الافاق منذ أن كشفت مقبرته فى وادى الملوك بالاقصر .. حيث قام عالم أثرى إنجليزى يسمى " هوارد كارتير " - بإشراف اللورد " كارنارفون " الذى كان مغرم بالبحث عن الآثار - بالتنقيب فى وادى الملوك ، وبعد جهود مضنية وفق الى كشف هذه المقبرة الوحيدة التى لم يستطع أحد الوصول اليها من قبل ، وكانت محتوياتها آية من آيات الفن المصرى الفريد بما حوته من ثوابيت من الذهب ومكتآت بديعة وسرر أنيقة وكراسى جميلة مختلفة الاشكال والألوان ، ومطعمة بالعاج والذهب ، وعجلات ملكية وصناديق تحوى التحف والجواهر وأدوات الزينة وتماثيل بديعة وغير ذلك مما هو منقطع النظير فى تاريخ الكشوف الاثرية من حيث الندرة والجمال .

ويعتبر العثور على هذه المقبرة بمحتوياتها التى لا تقدر بثمن أعظم كشف فى تاريخ علم الآثار الحديث ، وقد نقلت نفائس هذه المقبرة الملكية الى المتحف المصرى .

لعنة الفراعنة

* * *

انتشر الحديث عن لعنة الفراعنة فى مختلف أنحاء العالم بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ ، فقد وجدت صخرة مكتوب عليها بالهيراغليفية " لتضمر اليد التى ترتفع فى وجه هيكلى ، وليحقيق الدمار بلؤلئك الذين يهاجمون إسمى وقاعدتى وموميائواتى التى هى صدرى ، وسرعان مااستحمل أجنحة الموت أولئك الذى يدخلون هذه المقبرة " .

وفى نفس اللحظة التى تم فيها إفتتاح المقبرة ، كان مع مكتشفها " كارتر " عصفور كنارى " ، وفى نفس اللحظة لدغة ثعبان من نوع الكوبرا ، ومات العصفور معلناً بداية اللعنة .. وبعد اكتشاف المقبرة بثلاثة أسابيع توفى اللورد كارنارفون الذى مول أبحاث الكشف عن المقبرة على إثر لدغة بعوضة .

ومن عام ١٩٢٣ حتى ١٩٢٩ مات ٢٢ شخصاً كان لهم علاقة بافتتاح مقبرة توت عنخ آمون منهم سيدة امريكية اسمها " إيفلين جريللى " حضرت الاكتشاف وانتحرت بلا سبب فور عودتها الى شيكاغو .. " وريتشارد بيتل " الذى ساعد على افتتاح المقبرة وجد ميتاً على كرسيه بلا مرض وانتحر والده بعد ذلك بعام ، وفى عام ١٩٥٦ انتحرت أرملته .

ثم توالى الاحداث لتعمق الاعتقاد فغرقت سفينة بريطانية وعليها ١٥٠٠ راكب أمكن إنقاذ بعضهم وكان على هذه السفينة مومياء كاهنة فرعونية .. وأصيب العالم الالمانى " جوهان داميشين " بالجنون وكان ينقل رسوم المقابر الفرعونية .. وكان البروفسور " ايميرى " يحمل فى يده تمثالا صغيراً لإله الموت عند قدماء المصريين قبل أن تهاجمه النوبة القلبية التى مات بها .

وفى عام ١٩٧٢ تم شحن بعض آثار توت عنخ آمون على طائرة بريطانية لمرضاها فى لندن ، وحدث ان ركل الضابط الفنى " لاشون " صندوق الملك بقدمه وقال " ركلت أغلى شىء فى العالم " وتبادل بقية طاقم الطائرة الجلوس على الصندوق الذى يوجد

بداخله الملك ساخرين من لعنة الفراعنة ولم يلبس لاشدون بعد فترة وجيزة وأثناء اعداد السلم أن سقط من فوقه وكسرت ساقه ، ودمر بيت ملازم الطائرة وفقد كل مايملك ، ومضيفة الطائرة أجريت لها عملية جراحية فى رأسها أدت بها الى الصلع الكامل ، وأصيب زميل آخر بأزمتين قلبيةتين ، أما قائد الطائرة فقد مات عام ١٩٧٦ بأزمة قلبية وعمره ٤٠ عاما ، وقالت زوجته على الفور إنها لعنة الفراعنة .

كل هذه الاحداث أدت الى الحديث عن لعنة الفراعنة ، والحديث عن المعتقدات المصرية القديمة التى تقول بأن " الكا " أو قرين الانسان عند قدماء المصريين يظل يحوم حول الجثة بعد الوفاة ، وذلك لحمايتها من أى عبث بها ، وأن ازعاج المومياة يفصل " الكا " عن صاحبها مما يجعلها تنتقم من الذى سبب هذا الانفصام .

ويبدو أن لعنة الفراعنة سيظل شيئاً يتحدث عنه الناس طويلا لما يحيط بها من أساطير وملايسات .. على الرغم من أن الواقع كما يؤيدها فى بعض الاحداث فإنه ينفيها فى البعض الآخر بدليل أن عدداً كبيراً من مكتشفى الآثار المصرية القديمة عاش حياة طبيعية بعد اكتشافاته ، وتوفى ايضا وفاة طبيعية .

رئيس الوزراء يسقط في أول إنتخابات برلمانية

شهدت مصر فى بداية عام ١٩٢٤ أول إنتخابات برلمانية فى تاريخها فى جو من الحرية والنزاهة ، وقبيل إجراء الانتخابات سادت الحياة المصرية رغبة صادقة فى إحترام إرادة الناخبين كى يختاروا ممثلهم فى أول مجلس نيابى على الوجه الذى يريده الشعب .

كان يحى باشا ابراهيم رئيساً للوزراء ، وكان قد نجح فى استصدار الدستور وقت خبا فيه الامل ، فكانت هذه هى أولى إنجازات هذا الرجل ، وعقب إعلان الدستور بدأت عملية تهيئة المناخ الديمقراطى لإجراء الانتخابات العامة ، فألغيت الاحكام العرفية ، وبدأت سلسلة من القرارات للإفراج عن المعتقلين السياسيين الذين كانوا فى المعتقلات منذ أحداث ثورة ١٩١٩ .

وبدأت الاستعدادات للانتخابات العامة ، وقسمت مصر الى ٢١٤ دائرة انتخابية تقدمت لها احزاب الوفد والاحرار الدستوريين والحزب الوطنى ، واهتمت الامة بكل طوائفها بالانتخابات .

وصدق يحى ابراهيم فى العهد الذى قطعه على نفسه بأن تجرى الانتخابات فى جو من الحياد ، ولم يسمح لأحد من رجال الادارة بالتدخل فى إرادة الناخبين ، وليس أدل على ذلك من سقوط رئيس الوزراء نفسه فى دائرة منيا القمح أمام مرشح الوفد أحمد افندى مرعى (والد المهندس سيد مرعى) ولكنه وضع نفسه فى مرتبة الرجال العظام فى تاريخ مصر .

واكتسح الوفد هذه الانتخابات ، وحصل مرشحوه على ٩٠ ٪ من المقاعد ، بينما سقط أقطاب الاحرار الدستوريين ، وفى مقدمتهم عبد العزيز فهمى باشا واسماعيل صدقى باشا ، ولم ينجح منهم سوى سبعة نواب ، ولم ينجح من أقطابهم سوى محمد باشا محمود ، وكان نصيب مرشحي الحزب الوطنى أربعة مقاعد فقط من بينهم عبد الرحمن الراعى الذى فاز على منافسه الوفدى بفارق صوت واحد فقط .

حينما نصبّ العرب أحمد شوقي أميراً للشعراء * * *

"يسير مع الحوادث متدفقاً ، مندفعاً فوق موج الماضي ، آتياً من لانهايات القدم ، كأنما هو قيثاره آلهة ذلك الزمان البعيد ، يدفع إليها كل جيل نسائمه ، فتتغنى ، وتشدو بأهازيج النصر وبترانيم المسرة طوراً ، وبشجو الالم أحياناً " كلمات قدم بها د. محمد حسين هيكل قصائد ديوان الشوقيات للشاعر الكبير أحمد شوقي الذى يعد من كبار شعراء اللغة العربية ، مما حدا بالشعراء العرب الى تقليده إمارة الشعر فى عام ١٩٢٧ ، وأقيم لذلك حفل كبير حضره مندوبون عن النول العربية وبإيعوه أميراً للشعراء .

ولد أحمد شوقي بالقاهرة عام ١٨٦٨ م ، وتعلم بكتاب الشيخ صالح ثم المدرسة الخديوية حيث نال الشهادة الثانوية ومن ثم دخل مدرسة الحقوق عام ١٨٨٣ م ، حيث قضى سنتين التحق بعدها بقسم الترجمة ونال شهادته النهائية ، اتصل شوقي بالقصر وعينه الخديوى توفيق فى القصر ، ثم أرسله الى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب الفرنسية على نفقته الخاصة ، وفى عام ١٨٩١ م عاد الى مصر وأخذ يتدرج فى مناصب الديوان الخديوى ، وفى عام ١٨٩٧ نشر ديوانه الاول ، واتصل بالخديوى عباس الذى جعله شاعر القصر حتى شبت الحرب العالمية الاولى فنفى الى اسبانيا خمس سنوات ، وقال فى احدى قصائده :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

وعندما عاد أحمد شوقي الى مصر اتصل مرة أخرى بالحياة الادبية ، وصور فى شعره أهم الاحداث السياسية والاجتماعية بمصر والعالم العربى ، وبيّن بشوقي ولع كبير بالتاريخ ، كما أشاع فى مدائحه الحديث عن الاخلاق والفقراء وعن الشريعة الاسلامية والشكوى من أحوال المسلمين وتأخرهم وتفكك الروابط بينهم ، وهى من التجديدات التى أدخلها الى المدائح النبوية ، وله فى الشعر الدينى قصيدتان عارض بإحدهما البردة وبالأخرى الهمزية للبوصيرى ، ويقول فى البردة :

أتيت والناس فوضى لا تتر بهم إلا على صنم قد هام فى صنم
والارض مملوءة جوراً مسخرة بكل طاغية فى الخلق محتكم

وقد أبدى أحمد شوقي قدرة وتمكناً في قرضه الشعر ، وقد بلغت قصيدته " كبار الحوادث في وادي النيل " مائتين وتسعين بيتاً ، وهي من الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة الى عهد أبناء محمد علي ، ويقول د. هيكل عن شعره " وأنت إذ تقرأ قصائده على سفح الاهرام ، وأبو الهول وتوت عنخ آمون يهزك الشعور بصورة هذا الماضي في قداساتها ومهابتها ، وتمتلكك نفس الشاعر فترفع بك من مستوى الحياة الدنيا الى سماوات الخلد ، ذلك أن شوقي يهديك المعنى الذي كانت تلتسمه نفسك فلا تقع عليه " .

أهم مؤلفاته " الشوقيات " وهو ديوان شعري في أربعة أجزاء ، وكتاب " عظماء الاسلام " وقصائد للأطفال ، وله في النثر كتاب " أسواق الذهب " جاري فيه الزمخشري في كتابه " أطواق الذهب " وله روايات شعرية هي :
على بك الكبير ، وكليو باترا ، ومجنون ليلي ، وقمبيز ، وعنترة ، وله روايات نثرية منها : لادياس ، وورقة الأس ، ومذكرات بنتاؤر ، وأميرة الاندلس ، وتوفي عام ١٩٣٢ ..
وكتب على قبره كوصية هذين البيتين من نهج البردة :

يا أحمد الخير لي جاء بتسميتي وكيف لا يتسامى بالرسول مسمى
إن جل ذنبي عن الغفران لي أمل في الله تجعلني في خير معتصم

أول فنان فى الشرق ينحت تمثال ميدان

* * *

الفنان المصرى محمود مختار .. وهو أول من استخدم جرانيت الفراغة بعد مضى ألفى سنة لينحت تمثال نهضة مصر .

ولد عام ١٨٩١ بقرية " نشا " بمديرية الغربية .. وكان من أوائل طلاب مدرسة الفنون الجميلة - التى أسسها الأمير يوسف كمال - حين بدأت بها الدراسة عام ١٩٠٨ فى مبنى بدرب الحمامين .. وفى عام ١٩١١ أقام طلاب الكلية معرضهم الأول ولغقت أعمال مختار إنتباه المشرفين على الفنون فأرسل فى بعثة دراسية الى فرنسا وبذلك كان أول طالب مصرى يوفد على نفقة الحكومة فى بعثة فنية لمدة ثلاث سنوات :: وكان ترتيبه الأول على مائة فى امتحان قبول المدرسة العليا للفنون الجميلة بباريس .. وعرض عليه وهو فى الثانية والعشرين من عمره أن يكون مديراً لمدرسة الفنون الجميلة بمصر ولكنه رفض لا لشيء إلا أنه أراد أن يكون فناناً فقط .. وأمضى أثناء الحرب العالمية الأولى أوقاتاً عصيبة لانقطاع مرتبه عنه إلا أنه استمر يزاول فنه وعين فى النهاية مديراً لمتحف " جريفان " مكان استاذة " لابلان " .

ثم بدأت فكرة أعظم أعماله " تمثال نهضة مصر " .. وبدأ زملاؤه المصريون فى باريس فى جمع التبرعات فيما بينهم لينفذ مختار التمثال من الرخام .. وبعد أن انتهى من تصميمه عرضه فى معرض باريس السنوى ، وتشاء الصدفة أن يراه الساسة المصريون الذين ذهبوا الى هناك فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ليعلموا حق مصر فى الاستقلال .. ورأوا التمثال وأعجبوا به وكتب حافظ عفيفى على صفحات الاخبار مطالباً الشعب بالتبرع لاقامة التمثال .

لقد قدم مختار تمثالا يمثل فيه مطالب بلاده .. نهضة شعب يريد أن يعيش متطلعاً الى الحرية ممثلاً فى الفلاحة التى ترفع يدها الى جبينها وهى تنظر الى الامام ، وقد أسندت يدها الأخرى على رأس ابى الهول الذى بدأ يتوثب هو الآخر .. فالفلاحة ترمز الى شعب بأكمله وابى الهول يرمز الى تاريخ هذا الشعب .

وبدأت جميع طوائف الامة المصرية فى جمع التبرعات من الشارع والحقل والمصنع والمدرسة حتى مكاتب الوزراء والنوابين .. وجمعت لجنة التمثال (٦٥٠٠ جنيه) قيمة الاكتتاب .. ورأت أن ينفذ التمثال من البرونز ولكن مختار رأى أن يصنع التمثال الكبير من حجر الجرانيت الاحمر من محاجر أجدادنا الفراعنة فى اسوان

وتبرعت مصلحة السكك الحديدية بنقل الحجارة من أسوان للقاهرة .. وساهمت الحكومة حينئذ بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه قررها مجلس الوزراء برئاسة عبد الخالق ثروت .. وبعد ذلك وفى أثناء رئاسة سعد زغلول للوزارة ظهرت بعض العقبات بسبب نفاذ المبلغ فقررت الحكومة اعتماد كل الاموال اللازمة لانتهاء التمثال .. واستمر العمل بالتمثال متخطياً كل المعوقات التى طرأت فيما بعد حتى أزاح ملك مصر الستار عنه يوم ٢٠ مايو ١٩٢٨ .. وكان مكانه ميدان رمسيس قبل أن ينقل الى مكانه الحالى بمدخل شارع جامعة القاهرة .. ليكون أول تمثال تقيمه مصر منذ العصور المصرية القديمة .

وعندما عاد مختار الى باريس اقام معرضاً منفرداً فى عام ١٩٣٠ وعرض عدداً من التماثيل الصغيرة التى تمجد بيئة مصر الريفية واقتنت الحكومة المصرية منه تمثال " عروس النيل " .. وكانت أعماله تجمع بين دقة الحياة والبساطة المتناهية وأعاد الحياة الى فن النحت المصرى القديم الذى توقف بظهور الفنون الدينية ويوضح ذلك تمثال " رياح الخماسين " .

واذا كان مختار قد استلهم الفن الفرعونى ولم يقلده ، فقد بعد ايضا عن تيار المدارس الفنية الاجنبية التى لاقت رواجاً كبيراً فى أوروبا وفرنسا بالذات بعد ظهور الاسلوب التائيرى .. ومن السهل أن نصف مختاراً بأنه حاول أن يجد فناً ذاتياً لنفسه كمصرى وسط هذه التيارات الفنية ، فهو فنان مبتكر ولعل هذا اطار خلوده الفنى فهو فى تمثال نهضة مصر على سبيل المثال لم يحاول أن يضع مصرىاً أو زعيمياً على حصان كأغلب موضوعات تماثيل ميادين لوريا .

وقد نفذ محمود مختار تماثالى ميدان آخرين لسعد زغلول فى القاهرة والاسكندرية .. الى جانب ١٥٠ تمثال منهم " القيلولة " و " حاملة الماء " و " الحزن " و " امرأة القاهرة " و " الاميرة " ..

ولكن الايام التى انحنت له أكثر من ٤٣ عاما يبدو أنها ضجت بكل هذا النجاح الذى حققه مختار معتمداً على فنه وشخصيته واسلوبه الذى حاول ونجح عن طريقه .. فأنصيب بما يقرب الشلل فى يده اليمنى وتوفى فى مارس ١٩٣٤ .

وقد اقامت مصر تكريماً له متحف مختار عام ١٩٦٤ بالقاهرة وفيه بعض تماثيله وملابسه وما كتب عنه ، وهو أول متحف من نوعه يقام لفنان واحد فى مصر ، ويوجد بالمتحف ايضاً كتابان كتباً لأول مرة عن حياة فنان من الشرق .

أول شرقي يعبر المانش

السباح المصرى اسحق حلمى ... ولد بـ حلوان عام ١٩٠١ ، وكان والده المشير عبد القادر باشا حلمى حاكم السودان سابقاً ، ومن وزراء الداخلية والحربية المشهورين وكان شغوفاً بالرياضة وعلمها لأولاده .

وكانت أول محاولة سباحة أقدم عليها اسحق حلمى يوم ١٩٢٢/٨/٦ هى سباحة المسافة بين دمياط ورأس البر وتبلغ نحو ١٤ كيلو متراً ، وفاز بالمركز الاول فى هذه المسابقة ، ثم كانت المحاولة الثانية من حلوان الى القاهرة وتبلغ ٢٥ كيلو مترا ، ولم يكن لأحد قبل ذلك أن اجتازها ، وقطعها فى ١٢ ساعة .

وفى ١٩٢٤ سافر على نفقته الخاصة الى فرنسا ، وقد تفتحت شهيته لتحقيق فوز بولى ، وهناك التقى بالسباح الشهير " برجسون " ثانى سباح فى العالم عبر المانش ، وتولى اعداده للمسابقات الاوربية الكبرى ، ونجح اسحق حلمى يوم ١٩٢٤/٨/٦ فى عبور المسافة من كوربيه الى باريس وتبلغ ٤٢ كم فى ١٨ ساعة ، وبعدها تطلع لعبور المانش الذى كان يعتبر قبله سباحة العالم ، والغاية الكبرى لسباحى المسافات الطويلة ، وكان أول مصرى وشرقى يفكر فى ذلك .

وبدأت المحاولة الاولى فى اغسطس ١٩٢٤ وأخفق فيها ، ثم جاءت الثانية فى سبتمبر ١٩٢٥ وسبح لمدة ٢٤ ساعة ونصف وتوقف عند مسافة ميلين من الشاطئ .. وفى عام ١٩٢٦ قام بالمحاولة الثالثة وبعد سباحة سبع ساعات ظهرت مفاجأة غير متوقعة حيث اكتشف اصابته بالبلهارسيا ، فعاد الى مصر وأجرى له العلاج ولكن يبدو انه لم يكن كاملاً فآخفق فى محاولته الرابعة عام ١٩٢٧ ، ثم استكمل العلاج نهائياً وعاد الى أوربا فى محاولة خامسة .

كانت هذه المحاولة عام ١٩٢٨ ، وقد ظل يصارع الامواج طوال ٢٣ ساعة و ٤٠ دقيقة قطع فيها المسافة من كاليه الى دوفر ، وقدرها ٨٩ كم وخرج منتصباً وصار أحد مشاهير الرياضة فى العالم ، وفى سبتمبر ١٩٢٨ أصدرت لجنة التحكيم النولية لسباق المانش خطاباً رسمياً بصحة المحاولة .

ومما يذكر عن بحر المانش انه المضيق البحرى بين ساحل فرنسا الشمالى وساحل انجلترا الجنوبى ، ونظرية السباحة بين أقرب نقطتين - وهى الطريق المستقيم - هى نظرية لامحل لها فى عبور المانش بسبب التيارات المتغيرة باستمرار ، والعواصف ، كما يتميز المانش بمياهه الباردة طوال أيام السنة .

ومن الجدير بالذكر أن مصر قد امتلكت فى وقت من الاوقات جميع أرقام المانش القياسية ، وفى عام ١٩٥٠ سجل حسن عبد الرحيم رقمه الاعجازى من فرنسا الى انجلترا وقدره ١٠ س ، ٥٠ ق .. كما استطاعت مصر بعد ذلك أن تصنع معجزة ضخمة كانت حديث العالم كله عندما استطاعت أن تضرب رقمين قياسيين فى يوم واحد هو يوم ٢٩/٨/١٩٥٠ عندما حطم ابو هيف ومحمود حسن والسيد العربى وبكر سليمان وعبد المنعم عبده وحسن ابو بكر رقم التتابع الذى كان مسجلا باسم مصر ايضا وذلك عام ١٩٤٩ ، وفى اليوم نفسه تمكن السباح عبد اللطيف ابو هيف من أن يستمر فى سباحته بعد أن قام بدوره فى بدء سباق التتابع حيث نجح فى تحطيم الرقم القياسى من انجلترا الى فرنسا .. وبذلك أصبحت جميع أرقام المانش القياسية فى أيدي تماسيح النيل وفى عام ١٩٥٣ سجل عبد اللطيف ابو هيف رقما جديدا هو ١٣ س ، ٤٥ ق من انجلترا الى فرنسا .

وفى ١٩٤٩/٩/٦ حطم الفريق المصرى الرقم الفرنسى فى عبور المانش بالتتابع من انجلترا الى فرنسا بساعة وسبع دقائق فسجل ١١ س ، ١١ ق بواسطة حسن عبد الرحيم ومرعى حماد وأحمد الزرقانى حطاب وعمر هبرى ومحمود حسن ومحمد على الدين الذى حل محل عبد المنعم عبده بسبب مرضه .

ومن مفاخر مصر فى سباحة المانش حسن عبد الرحيم الذى استطاع أن يعبر المانش وهو فى الثانية والأربعين ، كما استطاع وهو فى السادسة والأربعين أن يفوز بسباق الديلى ميل الاول ، وأن يحطم الرقم السابق الذى ظل معمراً ستة وعشرين عاما مسجلا رقما اعجازيا قدره ١٠ س ، ٥٠ ق .. ويذكر أن له أربع محاولات ناجحة فى عبور المانش نجح فى جميعها من اول مرة ، وهو أول سباح مصرى عبر المانش من طرفيه السهل (فرنسا - انجلترا) والصعب (انجلترا - فرنسا) ، وكان بذلك ثالث

سباح فى العالم يقوم بهذا العمل .. كما كان أول سباح فى العالم يعبر المانش ثلاث مرات فى ثلاث سنوات متتالية ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ .

كما كانت مصر هى الدولة الوحيدة التى أنجبت اثنين من قاهرى المانش عبراء فى يوم واحد وهما حسن عبد الرحيم من الشاطيء الانجليزى ومرعى حماد من الشاطيء الفرنسى وذلك عام ١٩٤٩ .

وفى يونيو ١٩٥٢ وخلال سباق نهر السين بفرنسا والذى فاز فيه بطلا مصر عبد اللطيف ابو هيف ومرعى حسن بالمركزين الاول والثانى عقد أول اجتماع تأسيسى للاتحاد الدولى بحضور ١٤ دولة شاركت فى السباق بباريس ، وتقرر تشكيل أول اتحاد لسباحة المسافات الطويلة برئاسة المصرى الدكتور محمد صبرى ، وكان السكرتير العام المصرى عبد الفتاح شفشق ، كما تقرر أن تكون القاهرة مقراً للاتحاد الدولى تقديراً لانجازات سباحيها .

ولم تقتصر علامات تفوق سباحى مصر فى بطولات المانش على ذلك بل تجاوزته حين قدمت مصر للعالم عبلة خيرى أصفر سباحه تعبر المانش فى العالم (حوالى ١٣ عاما) كما قدمت خالد شلبى وخالد حسان أول معوقين يتمكنان من عبور المانش فى العالم .

مصر تنشئ أول مجمع للغة العربية * * *

فى ١٣ ديسمبر ١٩٣٢ صدر المرسوم الملكى من فؤاد الاول ملك مصر بإنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة .. وكانت مصر هى أول دولة عربية تنشئ مثل هذه الأكاديمية العلمية الرفيعة المستوى ، مهتدية فى ذلك بما سبقتها اليه فرنسا حيث أنشئ أول مجمع لغوى وذلك فى أول الثلث الثانى من القرن التاسع عشر .

وكان اسم المجمع يوم إنشائه هو " مجمع اللغة العربية الملكى " وفى عام ١٩٢٨ أصدر الملك فاروق مرسوما ملكياً أطلق بموجبه اسم والده الملك فؤاد على مجمع اللغة العربية وأصبح " مجمع فؤاد الاول للغة العربية " .. وفى عام ١٩٥٤ أصدر جمال عبد الناصر - وكان فى ذلك الوقت رئيسا للوزراء - مرسوماً جديداً أطلق بموجبه اسما جديد للمجمع هو " مجمع اللغة العربية " .. وكان طوال هذا التاريخ تابعاً لوزارة المعارف العمومية حتى أصبح هيئة مستقلة تماما عام ١٩٥٨ .

وعندما أنشئ المجمع عام ١٩٣٢ نص مرسوم إنشائه على أن يؤلف من عشرين عضواً عاملاً يختارون من غير تقييد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بثبوتهم فى اللغة العربية أو بأبحاثهم فى اللغة ولهجاتها ، وبالفعل شهد الفوج الاول من أعضاء المجلس عدداً من الاجانب .. وكان أول رئيس لمجمع اللغة العربية هو محمد توفيق رفعت وكان قاضياً وأديباً ووزيراً للمعارف ثم وزيراً للخارجية .

ورغم ما طرأ على المجمع ولوائحه من تعديلات طوال تاريخه ، إلا أن الهدف الذى تحدد له لم يضاف له أدنى تعديل أو تغيير ، وهو المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وأقية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معجمات أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينفى استعماله أو تجنبه من الالفاظ والتراكيب ، ووضع معجم تاريخى للغة العربية ، ونشر بحوث دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وما طرأ على مدلولاتها من تغيير .

وقد حدد المرسوم الذى صدر عام ١٩٥٥ عدد أعضاء المجمع بأربعين عضواً على الأكثر ، ويجوز أن يكون من بين هؤلاء عدد لا يتجاوز الاثنى عشر عضواً من غير المصريين .. ويلاحظ أن هؤلاء الأربعة هم الأعضاء الأساسيون الذين يمثلون هيئة المجمع ، ولكن هناك أعضاء آخرين يعملون فى لجان المجمع وهم كبار العلماء المتخصصين فى كل فرع من الفروع العلمية.

ويتم اختيار عضو جديد فى المجمع عند وفاة عضو آخر أو تقديم استقالته أو عجزه عن أداء عمله أو فصله لتهمة " مزرىة بالشرف " - ولم يخل أى مقعد حتى الآن إلا بسبب الوفاة - عندئذ يكون لكل عضو الحق فى ترشيح عضو أو أكثر من عضو حتى خمسة أعضاء .. ويجرى اقتراع بين الأعضاء المرشحين الجدد ومن يفوز بالأغلبية فى هذا التصويت هو الذى يفوز بشرف العضوية على أن يحصل على أصوات تزيد على نصف عدد المنتخبين بصوت واحد على الأقل .

هل قتلت الذرة الدكتور مشرفه ؟

* * *

فى عهد عمادته الاولى حصل على لقب البكوية ، ومع هذا لم يأبه بهذا اللقب ولم يكن يستخدمه فى حياته العامة ، وفى ١١ فبراير ١٩٤٦ كان من المقرر أن يزور الملك عبد العزيز آل سعود جامعة فؤاد الاول ، وتصادف أن كان على باشا ابراهيم مدير الجامعة مريضاً وأصبح الدكتور مشرفه مديراً للجامعة بالانابة وعليه أن يستقبل الملك عبد العزيز ، واضطرت السراى الى منحه رتبة الباشوية كرئيس مؤقت للجامعة ، وأقبل الجميع يهنئونه بالباشوية فاستنكر منهم ذلك معتزاً بالدكتوراه لرجل العلم .

ولد على مصطفى مشرفه فى دمياط فى ١١ يوليو ١٨٩٨ ، وفى عام ١٩٠٧ داهمت الاسرة أزمة مالية أودت بكل ماتملكه ، وقبل أن يؤدى الصبى امتحان الشهادة الابتدائية بشهور توفى والده ، وبعد أن حصل على الابتدائية انتقلت الاسرة الى القاهرة ولكن مشرفه التحق بمدرسة ثانوية بالاسكندرية بالمجان ثم انتقل الى القاهرة حتى حصل على البكالوريا عام ١٩١٤ ، وتوفيت والدته قبل الامتحان بشهرين ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا ، وسافر فى بعثة الى انجلترا وحصل على البكالوريوس فى الرياضيات عام ١٩٢٠ ، وبقي فى انجلترا حتى حصل على الدكتوراه فى فلسفة العلوم عام ١٩٢٣ ، وأصبح عضواً فى الجمعية الملكية البريطانية ، وأخذ ينشر بحوثه فى المجلات المتخصصة وأصبح من فريق المحاضرين فى الجمعية الملكية البريطانية . وأصبح العالم الحادى عشر فى العالم الذى يحصل على الدكتوراه فى العلوم وأول مصرى يحصل عليها .

وحاربه الانجليز ورفض طلبه فى وظيفة أستاذ لعلم الطبيعة فى مدرسة الطب وعينه أحمد لطفى السيد مدير الجامعة المصرية سنة ١٩٢٠ استاذاً مساعداً فى كلية العلوم ، ولكن مشرفه كان يرى انه أحق بوظيفة استاذ ، فلجأ الى أحد اعضاء مجلس النواب الوفديين ، وكان سعد زغلول رئيساً للمجلس فاثير الموضوع وأصدر على ماهر وزير المعارف قراراً بتعيين الدكتور مشرفه أستاذا للرياضة التطبيقية فى كلية العلوم عام ١٩٢٦ ، وكان بذلك أول مصرى فى هذا المنصب ، وفى عام ١٩٣٠ اختير وكيلاً لكلية العلوم حتى عام ١٩٣٦ وهو العام الذى عين فيه عميداً ، وأصبح بذلك أول عميد مصرى لكلية العلوم .

ثم انتخب على مصطفى مشرفه وكيلا للجامعة لمدة ثلاث سنوات كان مقررأ ان تنتهى فى ٢ ديسمبر ١٩٤٨ ، وفوجيء بصدر قرار بان يكون اختيار وكيل الجامعة بالتعيين ، وفى يونيو ١٩٤٨ صدر قرار بإعفائه من وكالة الجامعة وتعيين وكيل جديد لها ، وكان من المتوقع عندما يخلو منصب مدير الجامعة أن يكون من نصيب الدكتور مشرفه فهو أقدم العمداء ، وشغل منصب وكيل الجامعة لفترة بل انه شغل منصب مدير الجامعة بالانابة لفترة اخرى ، ولكن الدكتور مشرفه لم يذهب للشكر عندما منح الباشوية فى ١١ فبراير ١٩٤٦ ، وفوجيء فى ٢ ديسمبر ١٩٤٧ بتعيين مدير آخر للجامعة أحدث منه فى العمادة وهو الدكتور ابراهيم شوقى .. وكان القصر وراء هذا القرار .

ثم حدث أن اختارته الحكومة الامريكية عضواً فى اللجنة الدولية للبحوث الذرية ، وعلى هذا دعتة احدى جامعاتها استاذاً زائراً لالقاء سلسلة من المحاضرات الى جانب عدد من مشاهير اساتذة علوم الرياضة والطبيعة فى العالم وفى مقدمتهم اينشتين .. وفى ٣٠ مارس ١٩٤٧ وافق مجلس الوزراء على السفر ، وفى ٢ أبريل ألغى الملك قرار مجلس الوزراء .

وكان الدكتور مشرفه قد نشر عام ١٩٢٩ بحثاً فى عدد من الدوريات العالمية توجهها ببحث هام عام ١٩٣٢ ، ثم أعقبه ببحوث اخرى عام ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ تتصل اتصالا وثيقا بنتائج مهمة فى العلوم الذرية والنوية ثم انتقل الى الجانب التطبيقى فدعا الى البحث عن اليورانيوم فى الصحراء الشرقية وظل ينادى بضرورة عناية الدول العربية بالعلم واقامة الندوات العلمية .. وقد أدى تفوقه الواضح للغاية فى مجال العلوم الذرية الى أن ذهب بعض الباحثين الى أن وفاته لم تكن طبيعية وانما تقف وراءها أصابع عديدة !!! فقد كان أحد القلائل الذين تعرفوا على أسرار الذرة فى العالم ..

والى جانب الريادة العلمية للدكتور مشرفه كان علماً من أعلام الترجمة فى مصر فى القرن العشرين وقد أسهم فى الحركة الفكرية المصرية بريادته فى تخصصه وبحثه واكتشافاته وبتأسيسه للجمعيات المتخصصة ومشاركته فى مجمع الثقافة العلمية ومراكز البحوث ، وحتى الموسيقى أسهم فى إثرائها بتأسيس الجمعية الموسيقية بالاشتراك مع محمود الحفنى وابو بكر خيرت ووديع فرج ، وتولت لجنة من هذه الجمعية ترجمة الاوبرات العالمية الى اللغة العربية .

كما اهتم الدكتور مشرفه بالتأليف العلمى والترجمة العلمية فأنشأ قسماً فى كلية العلوم لترجمة الكتب العلمية العالمية الى اللغة العربية ، ووضع عام ١٩٣٨ " القاموس العلمى " بالاشتراك مع محمد عاطف البرقوى ، واختاره مجمع اللغة العربية خبيراً للجنة المصطلحات العلمية ، واشترك مع الدكتور طه حسين وآخرين فى كتاب " الحياة والحركة الفكرية فى بريطانيا " .

ترك الدكتور مشرفه خمسة كتب له وأربعة كتب بالاشتراك مع أساتذته آخرين وستة كتب دراسية بالمشاركة و٥٣ مقالا و٢٠ حديثا اذاعيا وصحفياً و٢٥ بحثاً علمياً باللغات الاجنبية نشرت فى دوريات اجنبية ومن أهم كتبه : مطالعات علمية - العلم والحياة - نحن والعالم - الذرة والقنابل الذرية .

وفى صباح يوم الاثنين ١٦ يناير ١٩٥٠ تناول (عالم الذرة) الدكتور مشرفه شاي الصباح .. وفجأة صعدت روحه الى بارئها !!!

الاذاعة المصرية تقود حركات التحرير * * *

عرفت مصر محطات الراديو فى حوالى منتصف العشرينات من هذا القرن أى بعد إنشاء أول محطة إذاعة منتظمة فى العالم بحوالى خمس سنوات .

وفى ١٠ مايو ١٩٢٦ صدر أول مرسوم ملكى يحدد الشروط التى يمكن بموجبها استخراج التراخيص باستخدام الاجهزة اللاسلكية فى القطر المصرى ، وبموجب هذا المرسوم أخذ هواة اللاسلكى ينشئون محطات إذاعة أهلية فى القاهرة والاسكندرية ، وكان بعضها يذيع باللغة العربية والبعض الآخر يذيع بالانجليزية والفرنسية والايطالية للأجانب المقيمين فى مصر مثل :- راديو صايغ - راديو الاميرة فوزية - راديو فاروق - راديو سابو - وكانت محطات بدائية هندسياً وضعيفة الأرسال الاذاعى حيث لم يتجاوز ٢٥ كيلوات ، فيما عدا بعض المحطات مثل محطة وادى الملوك التى كانت تسمع بوضوح فى فلسطين .

وكانت مصادر تمويل المحطات الاهلية من الاعلان واشتراكات المستمعين التى تبلورت فى عشرة قروش لمدة شهر تذيع المحطة خلاله مايطلبه المستمع من أغان مسجلة على الاسطوانات ومايطالبونه من بيانات ونداءات .

واستمر الحال على هذا النحو الى أن قرر مجلس الوزراء إلغائها فى ٣١ / يوليو / ٢٢ ، وتوقفت نهائيا عند بدء تشغيل محطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية من قبل شركة ماركونى البريطانية . ففى تمام الساعة الخامسة والنصف من مساء ٣١ / مايو / ١٩٣٤ استمع الناس الى صوت احمد سالم ، أول مذيع للاذاعة المصرية ، ثم افتتحت الاذاعة بالقرآن الكريم بصوت الشيخ محمد رفعت ، ثم كلمات من وزير المواصلات ، وعلى ابراهيم باشا رئيس اللجنة العليا للبرامج ، ثم قطعة موسيقية ثم مونولوج فكاهى من محمد عبد القدوس ، وبيانو منفرد من مدحت عاصم ، ثم تناوب الغناء بعد ذلك أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وصالح عبد الحى وفتحية احمد .

وفى عام ١٩٤٧ تم تمصير الاذاعة المصرية وإنهاء عقد شركة ماركونى ، ثم تعاقب

بعد ذلك إنشاء إذاعات مختلفة ، فبدأت إذاعة ركن السودان عام ١٩٤٩ وإذاعة صوت العرب ١٩٥٣ وإذاعة البرنامج الثانى ١٩٥٧ ، وإذاعة فلسطين ١٩٦٠ ، وإذاعة الشرق الاوسط ١٩٦٤ وإذاعة القرآن الكريم ١٩٦٤ .. ويذكر أن البرنامج الاوروبى المحلى قد بدأ ارساله عام ١٩٣٤ أى مع بدء الاذاعة الرسمية .

وفى عام ١٩٥٤ بدأت إذاعة الاسكندرية كقول اذاعة محلية فى مصر ، وهى أول إذاعة تقدم الاعلان فى مصر منذ أن توقفت الاذاعات الاهلية ، وأول من أذاع المسلسلات الدرامية ، وأخذت المبادرة بانتاج برامج تعليمية عبر الاثير وهى مايعرف "بجامعة الهواء " .. ثم تعاقب إنشاء العديد من المحطات المحلية .

وكانت مصر أول دولة عربية طرقت مجال الاذاعات النولية ، ففي الثلاثينات رأت أن تذيع على الموجات القصيرة نماذج من الثقافة العربية ما بين ساعتين وثلاث ساعات يومياً ، وكان يعقب نشرة الثامنة والنصف أحاديث لأحد اعلام الفكر كطه حسين أو العقاد أو د. مشرفه وغيرهم ، أو بعض المناضلين العرب مثل بورقيبة أو اسماعيل الازهري أو الملك السنوسى الذين كانوا يلهبون مشاعر مواطنيهم عند الاستماع اليهم ، وكانت الاذاعة المصرية أثناء الحرب العالمية الثانية تعد برامج خاصة باللغة الانجليزية موجهة الى بريطانيا وكندا والولايات المتحدة متضمنة جوهر الثقافة العربية ، وكانت الاذاعة البريطانية تلتقطها وتنقلها لجمهورها على موجات اذاعاتها .. كما لعبت الاذاعة المصرية دوراً هاماً فى إنشاء جامعة الدول العربية وفى توحيد كلمة العرب فى هذا المجال ، وقام عبد الرحمن باشا عزام أول أمين عام لجامعة الدول العربية بدور بارز فى هذا الشأن .

وبعد قيام ثورة ١٩٥٢ بدأت مصر تبث برامج موجهة الى غيرها من الدول بغرض الاعلام عن سياستها ، وهكذا بدأت فى توجيه أول إذاعاتها النولية عام ١٩٥٣ ، وقد توسعت مصر فى انشاء هذه الاذاعات حتى وضعها تقرير الامم المتحدة عام ١٩٦٢ فى المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفيتى بالنسبة لعدد ساعات ارسال اليومى ، وهى تقدم الآن برامجها النولية من خلال ٤٣ إذاعة نولية مستخدمة ٣٢ لغة لجميع انحاء العالم .

الشيخ محمد رفعت * * *

ولد يوم الاثنين ٩ مايو ١٨٨٢ ورحل في نفس التاريخ عام ١٩٥٠ ، وشهد حي
المغربلين بالقاهرة طفولة الشيخ المعجزة الذي فقد بصره بعد عامين فقط من خروجه
للحياة أثر إصابته بالرمد وكان والده محمود رفعت مأموراً لقسم الخليفة ، وتلقى محمد
رفعت دروساً في القراءات السبع وفي تفسير القرآن الكريم ، وتعلم التجويد وأتقنه على
يد أستاذه محمد البغدادي والشيخ السعالوطي قبل أن يتجه الى دراسة الموسيقى
والوقوف على قواعدها وأصولها ، وأقدم على حفظ مئات الانوار والتواشيح والقصائد
الدينية كما تعلم العزف على آلة العود .

وذاعت شهرة الشيخ محمد رفعت في مختلف أنحاء مصر ، وظل على ذلك يتلو
القرآن في جامع فاضل بدرب الجمامين .. وعند افتتاح الاذاعة المصرية كانت سورة
الفتح أول ماتلى من آيات الذكر الحكيم في الاذاعة بعد أن استفتى أحد علماء الاسلام
وشيخ الازهر في إجازة قراءة القرآن الكريم عبر الاذاعة إنحنا واكباراً للقرآن الكريم
وكان يتقاضى ثلاثة جنيهات فقط في تلاوة ساعة كاملة .

وبلغ من مكانة الشيخ محمد رفعت في العالم الاسلامي أن إذاعات لندن وبارلين
وباريس كانت تذيع تسجيلاته أثناء الحرب العالمية الثانية لتشد المستمعين في العالم
الاسلامي الى برامجها ونشراتها الاخبارية .. ولم يكن تفرد صوت الشيخ محمد رفعت
في قوة صوته فقط وإنما كان يقرؤه في خشوع فاض على ملايين المسلمين في مختلف
أرجاء العالم وقدرته على الامام بمواضع الترهيب والترغيب في القرآن .

وفي عام ١٩٤٢ أصيب الشيخ الكبير باحتباس في صوته ، ودعا الكاتب الصحفي
أحمد الصاوي محمد الى إكتتاب شعبي لعلاجه وانهاالت التبرعات من مختلف أنحاء
العالم الاسلامي ، وبلغت خمسين ألف جنيه في مطلع الاربعينيات ، وكانت المفاجأة انه
اعتذر عن قبول التبرعات وامتنل لقضاء الله حتى فاضت روحه الى بارئها .

الاسكواش المصرى يحصد بطولات العالم * * *

رغم حداثة عهد الكثير من الدول بلعبة الاسكواش وتأخر تأسيس الاتحاد الدولى الى أواخر الستينيات عام ١٩٦٧ والذي كانت مصر من الدول السبع المؤسسة له ، إلا أن ظهور اللعبة فى مصر كان يرجع الى قبل ذلك بكثير ، وذلك خلال الثلاثينيات ثم كان تنظيم مصر لبطولة العالم بالقاهرة عام ١٩٨٥ تأكيداً لعراقة مصر فى هذه اللعبة.

تأسس الاتحاد المصرى للاسكواش عام ١٩٣٥ وكانت ملاعبه متوافرة فى أندية الجزيرة وسموحة وسيبورتنج ، وكان الاتحاد الانجليزى للاسكواش يشرف على لعبة الاسكواش قبل تأسيس الاتحاد الدولى ، وكان ينظم بطولة مفتوحة للهواة ، وأخرى للهواة والمحترفين ، ونظراً لقلّة عدد ممارسى اللعبة فى العالم فقد كانت هذه البطولات تعتبر بمثابة بطولات عالمية .. وقد حققت مصر مراكز متقدمة فى هذه البطولات .

ففى بطولة انجلترا المفتوحة للهواة والمحترفين ، فاز بها عبد الفتاح عمرو أعوام ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ومحمود عبد الكريم أعوام ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، وماشم خان عامى ٥١ ، ٥٢ وعبد الفتاح أبو طالب أعوام ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

وفى عام ١٩٦١ وصل محمد دريد الى الدور النهائى .. وفى عام ١٩٦٢ حصل عبد الفتاح أبو طالب على المركز الثانى ، وفى عام ٦٣ حصل إبراهيم أمين على المركز الثانى وتوفيق شفيق المركز الثالث ، وفى عام ٦٥ وصل توفيق شفيق وكمال زغلول للدور قبل النهائى .. وفى عام ١٩٦٦ وصل إبراهيم أمين للدور قبل النهائى ، وفى عام ١٩٦٧ حصل أبو طالب على المركز الثانى ووصل كمال زغلول للدور قبل النهائى .

أما بطولة العالم للهواة فقد وصل محمد عسران الى الدور قبل النهائى عام ١٩٧١ ، ونفس الدور وصل اليه جمال عوض عام ١٩٧٧ .

أما بطولة انجلترا المفتوحة للهواة فقد فاز بها عبد الفتاح عمرو أعوام ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ وإبراهيم أمين عام ٥٦ ، ٦٠ وجمال عوض عامى ٧٧ ، ٧٨ .

كما حصل لمصر على المركز الثاني إبراهيم أمين اعوام ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، وتوفيق شفيق ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ومحمد عسران ٧١ ، وعلى عبد العزيز ٧٥ .

المصري الذي قال له هتلر : " كنت أتمنى لو كنت ألمانيا " * * *

خضر التونى .. فاز بالمركز الاول فى أولمبياد برلين عام ١٩٣٦ ، وبطولة العالم بأستردام عام ١٩٤٩ ، وبطولة العالم بباريس عام ١٩٥٠ ، وبطولة النورة الاولى للبحر المتوسط بالاسكندرية عام ١٩٥١ .. وظلت مجموعته القياسية العالمية إعجازاً يستعصى على الابطال امدأ طويلاً .. واستمر بطل أبطال رفع الاثقال فى العالم ١٥ سنة سابقاً بارقامه ومحتفظاً ببطولته وهو مالم يحدث لغيره فى سجل التاريخ الرياضى .

وقد أطلق اسمه على شارع من أكبر شوارع ميونيخ تكريماً للبطولة وتذكارة لمعجزة الالعاب الاولمبية على طول تاريخها حيث سجل فى أولمبياد برلين رقماً يزيد على رقم بطل وزن خفيف الثقيل بـ ١٣ كيلو .. وحصل على جائزة هولز المشهورة للرياضى الأول فى العالم .

ولد خضر التونى فى القاهرة بحى شبرا فى ١٩١٦/١٢/١٥ ونشأ فى أسرة بسيطة ، وكان والده تاجر جلود " بين الصوريين " وعمل الى جانبه ولذلك لم تتسع لميوله مدرسة النشأة الحديثة الابتدائية التى ادخله والده بها ، وتركها .

وبدأت قصته مع رفع الاثقال عندما قام وعمره ١٧ سنة برفع ثقل يبلغ ٨٠ كيلو لم يستطع أصحابه رفعه ثم اشترك فى أول مسابقة رسمية فى ابريل ١٩٣٤ وكانت بين أندية القاهرة ، وحصل فيها على وزن المتوسط ثم فاز ببطولة القاهرة عام ١٩٣٤ بمجموعة ٣٣٥ كيلو بزيادة ٢٥ كيلو عن الفائز الثانى ، ثم فاز ببطولة القطر بعد ذلك بشهرين .. وأخذ يفكر فى الارقام العالمية ويسأل عن أبطال العالم ، وعلم أن الرقم القياسى العالمى فى رفعة الضغط ١٠٦٥ كيلو وهو رقم بطل مصر عنتر عرفه ، وفى عام ١٩٣٥ ضرب خضر الرقم القياسى ورفع ١٠٧٥ كيلو .

وفى عام ١٩٣٦ وقع عليه الاختيار ليمثل مصر فى وزن المتوسط فى رفع الاثقال ، وعندما جاءت التقارير من مصر عن رفعاته لم يوافق الاتحاد الدولى على الاعتراف بها

لانه لم يكن في الظن أن يستطيع رجل مغمور في وزن ١٦٥ رطل الوصول الى رفع تلك الاثقال .. وكانت صحف المانيا تكتب كل يوم عن بطلها في وزن المتوسط " رودلف أزماير " وتعتبره معجزة جديدة ، ولما ذاعت شهرة خضر التونى عرف الجميع أن المعركة الكبرى ستكون بينهما ، ورفعت التقارير الى هتلر فقرر أن يحضر المباراة وكانت المباراة الوحيدة التي حضرها ، ولهذا أجل موعد اللعب الى المساء حتى يتسنى للزعيم حضورها .

كانت مباراة خضر التونى مع أبطال العالم في وزن المتوسط هي أهم حدث في الالعاب الاولمبية ، واشترك في المسابقة ٦٦ لاعباً انتهت محاولاتهم عند أرقام البطنين الالمانيين أزماير وواجنر .. واستنفذوا مقدراتهم ولم يظهر خضر التونى بعد لانه كان يطلب أرقاماً أعلى بكثير .

وانتهى أزماير عند ١٠٥ كيلو ضغط ، وإذا بخضر التونى يطلب ١١٠ فحبس الناس أنفاسهم من الدهشة ، وتقدم التونى أمام الثقل ورفع في هدوء وثبات ثم طلب المحاولة الثانية ١١٥ (وكان الرقم القياسى العالمى ١١٢) وأعلن الحكم أن خضر التونى سيضرب الرقم القياسى المسجل ، وفي الثالثة طلب ١١٧ خساريا الرقم القياسى لهذه الرفع . وكانت المسابقة الاخيرة في رفعة الكلين والنظر وانتهوا عن ١٤٠ كيلو ، وبدأ خضر التونى من ١٤٥ ثم رفع ١٥٠ وأخيراً رفع ١٥٥ وبذلك حصل على مجموعة خارقة للعادة وهي ٣٩٢ كيلو (ضغط ١١٧ - خطف ١٢٠ - كلين ونظر ١٥٥) .

وقف هتلر عندما عزف النشيد الوطنى المصرى ، وصوبت أعين عشرات الالوف على خضر التونى بطل العالم وعن يمينه رودلف أزماير الثانى وعن يساره واجنر الثالث ، وطلب هتلر مقابلة خضر التونى ، وقال له " لقد كنت أتمنى لو كنت المانياً ، اعتبر نفسك انك في وطنك الثانى واننى أرحب بك مدى إقامتك في ألمانيا ، وإن لمصر أن تفخر بخضر التونى " .

استمر خضر التونى بطلا لوزن المتوسط ، واستمرت أرقامه ترتفع على أرقام الجميع ، واستعد لتمثيل مصر في بطولة العالم التي أقيمت في فيلا دلفيا عام ١٩٣٧ ، ولكن مصر لم تشترك في هذه المسابقة ، وفي العالم التالى سافر الفريق المصرى الى

فبينما للاشتراك فى بطولة العالم لعام ١٩٣٨ ، وهناك أصابه تعب شديد دخل بسببه المستشفى وغادرها رغم نصيح الأطباء قبل بدء المباريات بيومين وفاز بالمركز الثالث .. وعند عودته الى مصر لم يجد أى منافسة ، واستمر بطلا طوال سنوات الحرب العالمية الثانية التى لم تحدث فيها مباريات عالمية .

وصعد خضر التونى الى وزن خفيف الثقيل وسجل أرقاماً معجزة ١٤٥ ك.ج ضغط ، ١٤٠ خطف ١٧٠ كلين ونظر ، عندما كان وزنه ٧٨ ك.ج .. ولكنه اضطر عام ١٩٤٨ لتخفيض وزنه ولعب فى وزن المتوسط ، وقد صافه سوء حظ فى لندن خلال الالعاب الاولمبية ، فقد ظهرت عليه أمراض المصران الاعور ، وغادر المستشفى قبل يوم المباراة واشترك فيها وهو مريض وفاز بالمركز الثالث .

وفى لاهى أقيمت بطولة العالم عام ١٩٤٩ وكانت كل دولة تشترك بسبع لاعبين فى رفع الاثقال ، ولكن مصر اشتركت بأربعة لاعبين فقط ، وكان على الفريق المصرى أن يحرز النصر ويفوز على جميع الدول المشتركة .. ووجد خضر فى انتظاره على الحلقة بيتر جورج من الولايات المتحدة وكانت المسابقة الاخيرة بينهما وإذا فاز جورج أصبح الكأس وبطولة العالم لامريكا .. وقد حدثت عدة محاولات لإحباط عزيمته واختلفت الحكام مع هيئة التحكيم العليا ، ومع هذا فاز خضر التونى وفازت مصر واحرزت المركز الاول بـ ١٦ نقطة تليها امريكا ١٥ نقطة ثم روسيا ١٤ نقطة .

وفى عام ١٩٥٠ سافر للاشتراك فى بطولة العالم التى أقيمت فى قصر شايبو العظيم ببواريس ، وقد وصفت المسابقة بانها أعظم بطولة عالمية اقيمت على الإطلاق .. وفاز خضر التونى فى وزن المتوسط وأثبتت أنه رجل قوى وخارق للعادة ولم يهتز أمام أبطال أصغر سناً .. وبلغ خضر القمة عندما رفع ٧٤١ رطلاً "ضغط" باستقامة وثبات ولم يظهر عليه إعياء أو إنحناء ، حتى أن الناقد المشهور "جورج كركلى" كتب فى إفتتاحية مجلة حمل الاثقال وكمال الاجسام عدد ديسمبر ١٩٥٠ قائلاً "أى نصر هذا الذى أحرزه الرجل الخارق للعادة خضر التونى " .

وفى بطولة العالم بميلانو ١٩٥١ دخل خضر التونى معركته الاخيرة بعد ١٥ سنة

من إنتصاراته الرائعة فى برلين ، وقف امام رباعين أصغر سنأ واحتل المركز الثالث فى وزن المتوسط .

وقد كتب عنه الناقد الرياضى الشهير شارل كوستر فى مجلة الصحة والقوة عام ١٩٥٦ أى بعد دورة برلين بعشرين سنة موضوعاً فى ٦ صفحات قال فيه " إن لدى إعتبرات معقولة بل قاطعة حين أقول أن خضر التونى هو أعظم بطل أوليمبى فى رفع الاثقال فى العصر الحديث " .

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٦ صعد التيار الكهربائى بطل العالم فى منزله بطلوان .

معركة العلمين تغير مسار الحرب العالمية الثانية * * *

دارت في الفترة بين ٢٣ أكتوبر حتى ٤ نوفمبر ١٩٤٢ بين القوات البريطانية بقيادة مونتجمري وقوات المحور بقيادة روميل ، وذلك في منطقة العلمين التي تبعد ٦٠ ميلا غرب الاسكندرية ، وقد كانت هذه المعركة واحدة من أكبر معارك الدبابات والمدفعات في التاريخ العسكري .

ففي خطين متوازيين تقريبا يبلغ كل منهما نحو اربعين ميلاً من ساحل البحر الابيض عند منطقة العلمين الى مشارف منخفض القطارة وقف الجيشان المتحاريان وقفة طويلة تعددت خلالها المحاولات من الطرفين لشق الطريق الى الامام بلا جنوى ، وذلك بسبب الطائرات والدوريات التي لم تهدأ يوماً ، فقد كان الموقف دقيقاً للغاية حيث سيكون للغالب فيه فرصة لامثيل لها في تحديد نتائج الحرب ، وقد بسط وزير داخلية انجلترا هدف الفريقين المتقاتلين فقال " إن قتال المحور في الميدان المصرى جزء من سعى يبذله للاتصال باليابان عبر المحيط الهندى وفتح باب جديد لمهاجمة روسيا ، أما نحن فان أملنا هو إلقاء روميل خارج افريقيا ، ولاريب في أن إعادة فتح البحر المتوسط ستكون الخطوة الكبيرة الاولى في سبيل استخدام السرعة والمرونة وحرية العمل في البحار على نطاق واسع " .

كانت خطوط الحلفاء والمحور تشتمل على نطاقات من الالغام بينها نقط قوية ومواقع للرشاشات والاسلحة المضادة للدبابات ، ويرابط كل من الجيشين في جبهة ذات استحکامات دفاعية متينة وتم استخدام الالغام استخداما واسع النطاق .. فقد اعتمدت خطة روميل الذى كان يعاني من طول خطوط تموينه وتأخر وصول الامدادات إليه على توقع هجوم الجيش البريطانى لاجتياح قواته ، لذلك قام بعمل أكبر حقل ألغام شهده العالم حتى أن الخبراء العسكريين أطلقوا على حقل الالغام اسم " حدائق الشيطان " .

ونلاحظ أن روميل كان يرمى من هذا التوزيع أن يترك المنطقة الوسطى من خطوطه ضعيفة متوقفاً أن يقع الجيش الثامن في خطأ محاولة شق طريقه خلالها فيقع حينئذ بين فرق البانزر من الشمال والجنوب ، ولكن قيادة الجيش الثامن لم تقع في هذا الشرك وكانت تضع خطة تنطوي على الحكمة والدراسة والمفاجأة أيضاً .

فقد كان على الجيش أن يخترق خطوط العدد في أى ساحة الى مسافة ٦٠٠٠ ياردة تقريبا في الضربة الاولى ليجتاز حقول الالفام أو الخنادق ثم يستفيد من هذه الثغرة الى أقصى حد ، ولذلك انشئت وحدة جديدة باسم الفيلق العاشر (يتبع قوات الحلفاء) مكنتاً من نحو ٥٠٠٠ رجل وبه أحسن أنواع الدبابات وقد سحبت هذه القوة من ميدان القتال على أثر صد قوات روميل في خط العلمين ، ووقفت جهودها على التدريب والاستعداد خلف الخطوط بخمسين ميلا .

وفي الساعة المناسبة كان هذا الفيلق هو الصاعقه التي انقضت من خلال الثغرة وقضت على جيش روميل ، وقد نفذت هذه الخطة البارعة في الصحراء تحت ستار باهر من التخفى ، ولم يكن هناك شك في أن روميل يتوقع هجوماً كبيراً بل كان يعرف ذلك جيداً وقد كانت كل الدلائل تنطق بذلك ، ولكن لم يكن معروفاً أين ولا متى ولا كيف سيقع الهجوم رغم أن طائرات الاستكشاف الالمانية كانت ترصد كل أعمال الفيلق العاشر .

وكان روميل يتوقع ألا يبدأ الهجوم قبل أن يترك الفيلق العاشر مكانه ويشارك في العمل .. وهنا حدثت المفاجأة فقد تحرك الفيلق العاشر ليلاً تاركاً خلفه المعسكرات خالية من الجنود ، ولكن مليئة بالدمى والاجسام الهيكلية التي كانت تمثل الدبابات والعربات والجنود في صورة متقنة ، فلما حدث الهجوم كان مفاجأة تامة ، فالجيش الثامن هجم في وقت غير متوقع ، ولم يهاجم النقطة الضعيفة كما كان منتظراً ولكن هاجم أقوى ساحة في الميدان .

وبدأت المعركة في التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ ، وعلى طول المواجهة كانت المدافع الانجليزية بحساب مدفع كل ٢٣ ياردة ، وكانت العمليات قد بدأت في الليل ، واختيرت ليلة قمرية ساطعة الضوء ، وفي الدقيقة المحددة انطلقت أفواء المدافع محدثة ستاراً شديداً من النيران لمدة عشرين دقيقة ، وتكرر ذلك من وقت لآخر .. وفتحت قوات الحلفاء ثغرة في حقول ألفام المحور ، وفصلت جيش المحور الى نصفين لم يتصلا ثانية ، وقد وصف الميدان بأنه شعلة من النيران من ساحل البحر الى منخفض القطارة .. وفي الساعة العاشرة من صباح الجمعة ٢٣ أكتوبر تقدمت المشاة في الساحة الشمالية ، وفي فجر اليوم التالي بدأ الاختراق في حقول الالفام لشق

الطريق للقوات المدرعة فى حماية المدفعية ، ولما كانت ليلة ٢/٨ نوفمبر انتهت المرحلة الاولى وبدأت العمليات .

وسجلت القوات الجوية للحلفاء رقماً قياسياً فى عدد عملياتها ، وأصابت عربات النخيرة ، ونسقت مستودعات الاسلحة ، وأصابت مدافع الميدان وسيارات النقل وشببت الحرائق ، ووجهت همها الى الاهداف المجاورة للشغرات التى فتحت فى حقول الالغام لمساعدة القوات البرية على شق طريقها .. وكانت الغواصات تعمل بنشاط كبير على طول الشاطئ لمنع الامدادات من البحر حتى أن ١٠ السفن التى خرجت من الموانئ الايطالية أو اليونانية أغرقت أو ارتدت ، وكان نشاط المحور الجوى ضيق النطاق ، وكان دفاعياً ولم يعد له نفوذ فى سماء المعركة .

وفى فجر ٢ نوفمبر تقدمت قوة انجليزية مدرعة خلف الخطوط الالمانية بينما كانت قوات مدرعة أخرى تضغط فى الناحية الغربية .. وبدأت معارك الدبابات فى تل العقاقير .

ففى ذلك اليوم دفع الالمان كل قواتهم المدرعة لمواجهة القوة الانجليزية ، ودار قتال شاق عنيف وحدثت خسائر فادحة فى الناحيتين ، وهزمت الدبابات الالمانية وانتهت المعركة فى ساعات ، وفضل روميل أن يسرع بالعودة وأن ينقذ قواته من الفناء والأسر ، وقد وصفت ساحة العقاقير بأنها " مقابر الدبابات " .. وفى ليلة ٣/٢ نوفمبر احتل الانجليز العقاقير وقالت الانباء أن ٢٦٠ دبابة للمحور قد حطمت أو أسرت .

وبذلك حطمت معركة ٢ نوفمبر قوات المحور وظهرت علامات إنسحابها على طول الخط ، وفى ٣ نوفمبر بدا ذلك واضحاً ، وفى الجنوب لم تستطع القوات الايطالية أن تتراجع كثيراً وخصوصاً جنود المشاة الذين جردوا من المركبات وأخذ الكثيرين منهم أسرى ، كذلك توقفت الفرقة ١٦٤ الالمانية ولم تستطع أن تتراجع ، وتراجعت بقية القوات الالمانية ، وقتل نائب روميل وأسر قائد جيش افريقيا الالمانى وقائد فرقتى برشيا وترنتو الايطاليتين ، وقدرت التقارير الرسمية للقيادة البريطانية خسارة المحور بـ ٧٥ الف رجل وأكثر من ٥٠٠ دبابة و ١٠٠٠ مدفع على الأقل .

وقال البلاغ الايطالى " أن معركة دامية عنيفة دارت فى المنطقة الصحراوية الواقعة بين العلمين وفوكه بين دباباتنا ومشاتنا وبين الوحدات التى تماثلها من قوات العدو ، وبعد مقاومات عنيفة غير عادية انسحبت الجيوش الايطالية والالمانية غرباً ، وكانت خسائرنا فادحة " .

وفى ٤ نوفمبر بدأت مطاردة قوات المحور المنسحبة .. وكان موقف روميل حرجاً ، ومن المواقف التاريخية العنيفة التى واجهها قادة عظماء فقد هزمت قواته بعد أن أخرجت من مراكزها الحصينة ، وفقد مراكز تموينه ، واستهدفت مواصلاته لنيران الطائرات والمدفعية ، وكاد الموقف أن ينقلب الى كارثة بتدمير جيش المحور بأكمله .. وقد حاول تدمير كل مايستطيع تدميره فى الصحراء ، وكان يضع كل عراقيل يجيدها لسد الطريق ، وأبدى فى فوكه مقاومات ناجحة حتى اجتمع شمل قواته وبدأ خطة الانسحاب ، ثم تخلص عن فوكه يوم ٦ نوفمبر وأندفع غرباً ، وأعطته الاحوال الجوية التى أعاققت التقدم فرصة مناسبة لتنظيم قواته ، وفى ٨ نوفمبر استمر الزحف وبلغ مرسى مطروح ، واستولى الانجليز على (بقبق) يوم ١٠ ، وفى اليوم التالى سقطت حلفايه والسلم ، وارتدت قوات المحور الى حدود مصر ، وفى يوم ١٢ تم تنظيف الحدود المصرية وأسر آلاف الايطاليين ، أما الفرق الايطالية فى الجنوب وقد كانت تتألف من ٦ فرق معظمها من المشاة فقد كانت مطوقة ، فلما وصل الجيش الثامن الى الضبعة وفوكه وقطع مراكز تموينها وخطوط مواصلاتها سلمت جميعاً ، وقبل أن ينتصف شهر نوفمبر ١٩٤٢ كان قد تم القضاء على جميع الجيوش والمقاومات لتنتهى الحرب فى مصر ، وتبدأ فى برقة بليبيا .

الدولة العربية الوحيدة التي فازت ببطولة أوروبا في كرة السلة

* * *

كانت مصر هي أول دولة عربية وأفريقية تعرف كرة السلة وذلك في بداية القرن العشرين وكان هذا عن طريق جمعية الشبان المسيحية باسيوط حيث مارسها بعض الانجليز والأمريكان في أوقات الفراغ ، وجدت اللعبة صدى كبيراً بين المصريين في اسيوط لسرعتها والحماس الذي تنسم به مبارياتها .. وفي الاسكندرية كانت اللعبة تمارس بمدرسة الليسيه فرانسيه ، وكان المدرب الفرنسي (لوى يور) والذي كان يعمل مدرباً لركوب الخيل بالسرايا الملكية في عهد الملك فؤاد أحد الناشرين للعبة حيث أرسى قواعدها وأخذ يدرّب المصريين على مهاراتها وقوانينها .

وتأسس الاتحاد المصري عام ١٩٢٥ وكان يتولى إدارة لعبتين هما السلة والطائرة - التي دخلت مصر في بداية القرن العشرين بنفس طريقة كرة السلة - وكان ينظم مسابقات اللعبتين .. وفي عام ١٩٣٢ كانت مصر من الدول المؤسسة للاتحاد الدولي ، وفي عام ١٩٦١ أسست مصر الاتحاد الأفريقي للسلة بالقاهرة ، وكان المصري عازز اسحق أول سكرتير عام لهذا الاتحاد .

وقد شاركت مصر لأول مرة في بطولة دولية لكرة السلة عام ١٩٣٥ وكانت بطولة أوروبا ، وكانت أيضاً ضمن الفرق التي شاركت في أول دورة أوليمبية دخلت فيها كرة السلة عام ١٩٣٦ ، وكان كمال رياض كابتن فريق مصر .. وفي عام ١٩٣٧ شاركت مصر في بطولة العالم للجامعات في براغ بتشيكوسلوفاكيا ثم كان الفريق العربى الوحيد الذى يفوز ببطولة أوروبا عام ٤٩ والتي اقيمت بالقاهرة .

وفي عام ١٩٥١ شاركت مصر في أول بطولة عسكرية للعالم ثم حصلت في نفس العام على الميدالية الذهبية لدورة البحر المتوسط الاولى عام ١٩٥١ بالاسكندرية .

رياضة عملاقة في الظل

* * *

تعد رياضة كمال الاجسام من الرياضات التي رفعت اسم مصر عاليا حيث انها اللعبة الوحيدة من بين اللعاب الفردية والجماعية التي تستطيع الفوز ببطولة العالم حتى الآن .

كان لاعبو مصر باستمرار في قائمة أبطال العالم منذ بداية الخمسينات منذ فاز محمد نصر ببطولة العالم عام ١٩٥٢ ود. توني بولس بالميدالية الذهبية ايضا عام ٥٤ ، وفاز عبد الحميد الجندى ببطولة العالم عامي ٦٣ ، ٦٤ ، وحصل جلال السيد على بطولة العالم عام ٦٩ وعلى بطولة البحر المتوسط في الفترة من عام ٧٤ الى ٨٠ كما فاز محمد مصطفى المكارى ببطولة العالم عام ٧٦ .

وفازت مصر ببطولة البحر المتوسط عام ٨٥ بالاسكندرية عندما حصل عصمت صادق على الميدالية الذهبية في وزن الخفيف والشحات مبروك على الذهبية في وزن المتوسط ، كما فازت مصر ببطولة البحر المتوسط عام ٨٦ ببرشلونة وحصل فيها الشحات مبروك على ذهبية المتوسط وعصمت صادق على ذهبية الخفيف وسعد ثعلب برونزية الخفيف .

وكان عام ٨٧ هو العام التاريخي لرياضة كمال الاجسام في مصر ففازت ببطولة العالم للكبار بأسبانيا لأول مرة في تاريخ بطولات العالم وحصلت على ميداليتين ذهبيتين فاز بهما محمد لطفى الفسخاني والشحات مبروك .. وفازت بالمركز الاول في بطولة العالم للناشئين التي اقيمت بالمانيا الغربية لأول مرة في تاريخها وحصلت على ميدالية ذهبية لمحمد عبد العزيز محمود وفضية لعادل بدوي في ثلاثة أوزان اقيمت فيها البطولة .. وفي نفس العام فازت مصر بالمركز الاول في بطولة البحر الابيض المتوسط بقبرص وفاز لها الشحات مبروك وطفى الفسخاني بذهبيتين وعصمت صادق بفضية وأنور العمارة وحسين الله جابو ببرونزيتين .. كما فاز لاعب مصر الشحات مبروك ببطولة مستر انترناشيونال النولية التي اقيمت بهاراي في الولايات المتحدة وحصل على لقب بطل أبطال العالم .

ومما يذكر أن اللاعب محمد لطفى الفسخانى يعد اللاعب المصرى الوحيد الذى
يتمكن من الحصول على بطولة العالم للكبار والناشئين حيث فاز بالميدالية الذهبية فى
بطولة العالم للناشئين عام ٨٣ باسبانيا فى وزن الخفيف والميدالية الذهبية فى بطولة
العالم للكبار عام ٨٧ باسبانيا ايضا وذلك فى وزن الريشة .

أكبر مشروع لتخزين المياه في العصر الحديث

* * *

في الساعة الثانية الا عشر دقائق يوم السبت ١٩٦٠/١/٩ ضغط الرئيس جمال عبد الناصر على زر كهربائي فنسف ٢٠ ألف طن من الصخور بالديناميت معطيا اشارة البدء في العمل لبناء السد العالي الذي يقع على بعد ستة كيلو مترات من أسوان في بقعة من نهر النيل ضفتها من الصخور .

وتعود فكرة انشاء هذا السد الى مهندس زراعي يدعى " أدريان دانيوس " ، وقد اهتمت حكومة الثورة منذ قيامها بدراساتها واحالتها في عام ١٩٥٤ الى لجنة من الخبراء النوليين أجمع معظمهم على صلاحيتها من النواحي الفنية والاقتصادية ، وتمثل الاسباب التي أدت الى التفكير في بناء السد العالي الى مياه النيل التي تتبدد في البحر المتوسط كل عام ، وأخطار الفيضان التي تهدد البلاد ، وأخطار إنخفاض منسوب النهر ، واتساع الصحراء في الشرق والغرب لاحتياجها الى مياه وفيرة كى تزرع ، بالإضافة الى احتياج التقدم الصناعى الى توليد الكهرباء .

ولم تكن امكانيات مصر في ذلك الوقت تكفى لانجاز المشروع ، فتقدمت بطلب الى البنك الدولى في نوفمبر ١٩٥٥ للحصول على قرض لتمويل المشروع ، فوافقت حكومة الولايات المتحدة وبريطانيا على المساهمة في تمويل المشروع ، وفي يناير ١٩٥٦ وقع مدير البنك الدولى (يوجين بلاك) إتفاقا مبدئيا على قرض قيمته ٢٠٠ مليون دولار بغائدة ٣ر٥ ٪ لمدة عشرين عاما .

ولما عقدت مصر صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا لمواجهة الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الحدود ، اعلنت الولايات المتحدة في ١٨ يوليو بيانا بسحب مساهمتها في تمويل مشروع السد العالي ، وفي اليوم التالى أذاعت بريطانيا مثل هذا البيان ، وفي مساء اليوم نفسه أعلن مدير البنك الدولى عدم قدرته على المضى في تمويل المشروع بعد انسحاب كل من امريكا وبريطانيا .. وفي ٢٦ يوليو أعلن جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس حتى تتمكن مصر من تمويل مشروع بناء السد ، ونتيجة لذلك وقع العنوان الثلاثى على مصر في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

وأبرمت بين مصر والاتحاد السوفيتي إتفاقيتان عام ١٩٥٨ ، وعام ١٩٦٠ للتعاون الفني بين البلدين لإنشاء السد العالي ، وقدم الاتحاد السوفيتي بمقتضاها قرضين لتمويل المشروع .

والسد العالي عبارة عن سد ركامي كبير يقلل مجرى النيل ويبلغ طوله ٣٦٠٠ م ، منها ٥٢٠ متراً بين ضفتي النيل ، ويمتد الباقي على هيئة جناحين على جانبي النهر ، ويبلغ عرضه عند القاع ١٨٠م ويتدرج على هيئة هرم الى أن يصل عند القمة ٤٠م ، وارتفاعه ١١١م فوق قاع النيل الذي يرتفع منسوبه ٨٥م عن سطح البحر ، فيكون ارتفاع السد ١٩٦ م عن سطح البحر .. ويتكون جسم السد من ركام الجرانيت والرمال والطمي ، ويبلغ حجم المواد الداخلة في بناء السد العالي ٤٣ مليوناً من الأمتار المكعبة.

وتكون المياه المحجوزة أمام السد العالي بحيرة صناعية كبيرة يبلغ طولها ٥٠٠ كم ، ومتوسط عرضها عشرة كيلو مترات ، ومساحة مسطحها ٥٠٠٠ كيلو متر مربع ، وتعد هذه البحيرة ثاني بحيرة صناعية في العالم ، وأطلق عليها اسم بحيرة ناصر .. وتوجد أمام السد محطة توليد للكهرباء تنتج طاقة كهربائية سنوية تصل الى ١٠ ملايين كيلوات ، وتعد من أكبر المحطات المائية في العالم حيث تشتمل على ١٢ وحدة توليد ، وقد انطلقت الشرايه الاولى من المحطة من ١٥ أكتوبر ١٩٦٧ .

ويعتبر السد العالي أكبر مشروع هندسي في العالم ، وهو الى جانب ذلك أكبر السدود من نوعه .

المصريون يظهرون أسطورة أقوى خط دفاعي في التاريخ * * *

" بهذه الحرب سوف يضاف لعيد الغفران معنى آخر يوجع القلب الى الابد " .. ما
أبعد هذه الكلمات التي قالها موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي في أعقاب حرب ٧٣
عن كلماته التي قالها بعد حرب ٦٧ " إنها الحرب التي أنهت كل الحروب ، ولم يبق أمام
العرب إلا التماس المقابلة لتقديم فروض الطاعة لاسيما وهم يعرفون رقم الهاتف " .

في ٦٨/٩/٨ نجحت المدفعية المصرية في توجية ضربة الى خط الدفاع الاسرائيلي
شرق قناة السويس مما دفع الاسرائيليين الى التفكير في بناء خط دفاعي منيع
لاستطيع أن تناله كافة الاسلحة الحديثة ، وقد نسب هذا الخط الى حاييم بارليف
رئيس هيئة الاركان الاسرائيلية والذي أشرف على بناء هذا الخط .

وكانت أولى درجات هذا الخط المنيع الذي يتكون من سلسلة من الموانع الطبيعية
والصناعية ، هي قناة السويس ثم السد الترابي على الضفة الشرقية للقناة الذي وصل
ارتفاعه الى ٢٠م بالاضافة الى تكسية حجرية وستائر معدنية في الجزء السفلي ثم
نقاط دفاعية قوية ، وبعد أن انتهى الاسرائيليون من بناء خطهم المنيع وأيقنوا تماما أنه
لاقبل لقوة عسكرية في العالم أن تحطمه ، أرادوا تحطيم المصريين نفسياً ، فقاموا
بمناورات عسكرية برية وجوية على الضفة الشرقية للقناة وانطلقت مواشير النابالم على
مياه القناة وأحالتها الى كتلة من اللهب على مرأى من القوات المصرية على الضفة
الغربية للقناة ، ثم جاء العرض الرئيسي ، وانطلقت طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي
من قاذفات سكاي هوك وفانتوم (اف - ٤) لتهاجم خط بارليف وتصب عليه وابلاً من
النيران والقنابل زنة الف رطل ، ولم تستطع كل هذه الطائرات والاسلحة أن تحدث أي
نوع من الدمار داخل الخط الذي استفاد تماما من أخطاء خط ماجينو الفرنسي
وسيجفريد الالماني وكل تجارب الحروب ، وتم كل ذلك أمام أعين الجنود المصريين على
الضفة الغربية .

وفي وادي جحول بالخطاطبة أقامت القوات المصرية سداً ترابياً مشابهاً للسد
الترابي الاسرائيلي على الضفة الشرقية للقناة ، وجاءت الطائرات لتقذف السد بكافة

ما تملكه من اسلحة وذلك بجانب الضرب المباشر للدفعية بكافة الاعيرة التي لم تستطع أن تؤثر مليمترا واحداً في ارتفاع السد .

وجاء الخبراء السوفيت ، ورأوا أن الحل الوحيد هو استخدام قنبلة ذرية تكتيكية تقضى على هذا السد ، وأعداد هائلة من الهليكوبتر لنقل القوات المصرية بعد ذلك الى ما وراء النقاط الحصينة للخط ، وأن خسائر القوات المصرية في محاولة الاقتحام ستصل ما بين ٣٠ ، ٤٠ الف رجل .

ولم يئس المصريون ، واخيرا اهتدى الفريق الشهيد جلال سرى مدير إدارة المهندسين الاسبق الى فكرة عبقرية تقوم على إستخدام القوة الهيدروليكية للمياه لنزع وإزالة السد الاسرائيلى .. وشهد شهر سبتمبر ١٩٦٩ أول تجربة لتجريف السائر الترابى بالتعاون مع هيئة السد العالى وذلك باستخدام طلمبة تعمل بالكهرباء تعتمد على توليد طاقة ضخمة قدرتها ١٥٠ كيلوات / ساعة وتحتاج الى ونش لرفعها ، ولكن تبين أن استخدام هذه التجربة فى ظل ظروف العمليات العسكرية مستحيلة ، وأعيدت التجارب فى مجال النسف على أمل تطويرها فى بداية ٧١ ، وكانت التعليمات تقضى باستخدام طابور لضخ المياه من اقرب ترعة وتجريف سائر ترابى مشابه لسائر خط مارليف بأقل عدد من الافراد ، وأن يتم تحميل الطلمبات والافراد فى قارب خشبى يمكن حمله بأقل عدد من الافراد ، وأن يتم تدريب الافراد على تسليق السائر الترابى وضخ المياه على مسافة تعطى أكبر تأثير فى إنهاء السائر مع تدريب الافراد على الاحتفاظ بتوازنهم عند انحدار المياه الشديد جارفة معها الاتربة ، وأنشئ سائر ترابى بارتفاع ٢٦م على مصرف الطلمبات بالقصاصين لعمل هذه التجربة ، وتمت التجربة بنجاح على الرغم من عدم امكانية تفادى اصطدام الافراد بالمياه المتدفقة وانزلاقهم تحت تأثير المياه .

ثم انتقلت التجارب الى منطقة القناطر الخيرية ، وتم التعاقد على شراء طلمبات المائية تحت ستار استخدامها فى أعمال الاطفاء ، وبدأ التدريب ، ونتيجة للعديد من التجارب وجد أن أفضل السبل لازالة السائر الترابى هو استخدام " طريقة الانهيارات المتتالية " وفيها تسلط المياه على قطاع متوسط من السائر الترابى ، وتظل مسلطة عليه حتى يحدث تجويف فيه ، ومحاولة زيادة هذا التجويف وصولا الى مرحلة الانهيار

للقطاعات التى فوقه مع الاخذ فى الاعتبار حجم تراكم التربة المزاحة امام القطاع المائى خوفا من تراكمها حتى لايتسبب ذلك فى إعاقة عملية إنشاء الكبارى ، وتلافى ذلك خصصت طلبة اضافية لعمل تيارات مستمرة فى القطاع المائى بحيث لاينتسبب أى كمية من التربة المزاحة بالاضافة الى عمل مجارى جانبية لتوجيه المياه الحاملة للتربة بعيدا عن قطاع المر .

وكانت هناك مشكلة أخرى هى عبور القوات المدرعة والميكانيكية من الضفة الغربية الى الشرقية للقناة بعرض ٢٠٠م تقريبا ، وتم الحصول على كبرى تتصف بالآلية وامكانية فردا وتركيبها فوق القناة ، كما تم التغلب على مصادر قواذف الملعب (النابالم) بأن تسلل عدد من الجنود المصريين يوم ٥ أكتوبر وأبطلوا مفعولها .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر ٦/١٠/٧٣ بدأت الحرب التى غيرت الاستراتيجية العسكرية فى العالم ، وبدأ إفتتاحية الحرب بضرية جوية مركزة ومفاجئة ، حين انطلقت ٢٠٠ طائرة قتال اختيرت اهدافها بمهارة فائقة ، وكان لكل تشكيل جوى منها هدفه ووجهته ، ونجحت الضربات فى تدمير مطارات المليز وتمادا ورأس نعران ، وعشرة مواقع صواريخ ارض جو من طراز هوك ، وثلاثة مواقع رادار بعيدة المدى ، ومحطتين للاعاقه ، وموقعين للمدفعية بعيدة المدى وثلاث مناطق شئون ادارية ، والنقطة الحصينة شرق بور فؤاد ، وبلغ عدد طلعات القوات الجوية يوم ٦ أكتوبر ٣٠٠ طلعة جوية ١٠٠

وفى الوقت الذى أنجزت فيه القوات الجوية مهامها بشجاعة ، فتح ٢٠٠٠ مدفع هاون بالاضافة الى لواء صواريخ ارض أرض النيران وتحولت الجبهة الى جحيم يصب حممه لمدة ٥٢ دقيقة على قلاع خط بارليف الحصين ونقطه القوية وتجمعات الدبابات والقيادات ، وبلغ ما أسقطه أبطال المدفعية فى الدقيقة الاولى وحدها من التمهيد النيرانى ١٠ آلاف و ٥٠٠ دانه مدفعية ، بمعدل ١٧٥ دانه فى الثانية الواحدة ١٠٠

وتحت ستار هذه النيران عبرت جماعات الصاعقة وجماعات اقتناص الدبابات قناة السويس فى مهمة بث الالغام فى مصاطب دبابات العدو ، وشل حركتها بالكمائن ، وفى خلال ١٥ دقيقة فقط من بدء المعركة كانت الموجات الاولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بور سعيد قد نجحت فى اقتحام قناة السويس مستخدمة حوالى ألف قارب مطاط ، وبعد عدة دقائق وضع ٨ آلاف جندي أقدامهم على الضفة الشرقية للقناة ،

وبدا الرجال الصائمون يتسلقون الساتر الترابى ، ، ويقتحمون دفاعات العدو وهم يحملون أسلحتهم الشخصية والاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ، وهى المرة الاولى فى تاريخ الحروب التى يواجه فيها الانسان الدبابات وهو ما يعد ظاهرة فريدة فى تاريخ الحروب .

وتقدمت وحدات المهندسين العسكريين تحت ستار أعمال قوات المشاة والمدفعية وقامت بفتح الممرات اللازمة فى الساتر الترابى باستخدام طلمبات المياه ، وأتمت فتح أول ممر فيها فى زمن قياسي لم يتجاوز الساعة ، وتوالت بعدها عمليات فتح الممرات ، ونجحت فى إقامة عدد كبير من المعديات ، وأنشأت ١٠ كبارى ثقيلة و ١٠ كبارى مشاة ، بدأت بعدها الدبابات والمعدات الثقيلة تدفقها الى أرض سيناء .

وقد استطاعت قوات الصاعقة العبور بالقوارب المطاطية لمياه القناة على طول امتداد الجبهة من بور سعيد حتى السويس ، واشتركوا مع رجال المشاة مع مهاجمة حصون العدو ، ودار قتال مستميت على الطرق والمضائق وحرموا العدو من إمدادات البترول ، كما قام رجال البحرية ، بتدمير قطع العدو وتوجيه ضربات له ضد موانئه وأهدافه الساحلية فى سيناء والتمهيد بالمدفعية الساحلية والصواريخ .

وفوجئت قوات اسرائيل بارتفاع كثافة القوات المدرعة المصرية فى القتال الليلى عن طريق تزويد الدبابات المصرية بأجهزة الإضاءة الليلية ، وايضا فوجيء العدو بزيادة قوة طائراتنا على الطيران المنخفض للإفلات من شبكات الرادار ، وكان من أهم دروس حرب أكتوبر حرب الصواريخ والطيران ، إذ كانت هذه هى أول حرب من نوعها فى تاريخ الحروب فى العالم ، وقد استطاع المصريون بكفاءة تخطيط وبناء أقوى حائط لصواريخ الدفاع الجوى الموجهة المضادة للطائرات ، وبذلك أصبحت القوات الجوية الاسرائيلية عاجزة تماما وكانت طلعاتها على جبهة القناة تسمى برحلة اللاعودة .

ونجح المصريون فى تحقيق أهدافهم فى أقل من ست ساعات ، واقتحموا القناة على مواجهة ١٧٠ كم بقوة ٨٠ ألف جندي مستخدمين قوارب المطاط ووسائل العبور المختلفة فى ١٢ موجة متتالية ، واستولوا على ١٥ نقطة حصينة للعدو ، وأكملوا حصار

بقية النقاط القوية ، كما تمكنوا من الاستيلاء على رموس الكبارى بعمق يصل حتى ٣
- ٤ كم ، وحققوا معجزات مازالت تدرس فى الاكاديميات العسكرية ، بل لم يكشف
النقاب عن الكثير منها حتى اليوم .

أول عربي يحصل علي جائزة نوبل

" جئت إليكم اليوم على قدمين ثابتتين ، لكي نبني حياة جديدة ، لكي نقيم السلام ، وبكل صراحة وبالأروح التي حدث بي الى القنوم إليكم اليوم ، فإني أقول لكم :-
إن عليكم أن تتخلوا نهائياً عن أحلام الغزو ، وأن تتخلوا ايضاً عن الاعتقاد بأن القوة هي خير وسيلة للتعامل مع العرب .. إن عليكم أن تستوعبوا جيداً دروس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئاً ، ولكي نتكلم بوضوح فان أرضنا لا تقبل المساومة وليست عرضة للجدل " .. كلمات واثقة أعلنها الزعيم الراحل محمد انور السادات في خطابه أمام الكنيست الاسرائيلي يوم ١٩٧٧/١١/٢٠ عقب إعلان مبادرته التاريخية للسلام بعد ثلاثين عاماً خاضت فيها مصر أربعة حروب شرسة ضد اسرائيل ، وقد أعلن السادات وهو منتصر في آخر حروبه أنه على استعداد لأن يذهب الى اسرائيل بحثاً عن السلام في مبادرة لا يقوم بها إلا زعماء نادرون .

ولد السادات في ١٩١٨/١٢/٢٥ بقرية ميت أبو الكوم بالمنوفية ، تلقى تعليمه الأولي في قريته ثم جاء الى القاهرة وعمره ١٢ عاماً حيث تلقى تعليمه الثانوي ، وفي عام ١٩٣٨ تخرج في الكلية الحربية وعين في سلاح الإشارة ، شارك في معظم الحركات السياسية السرية التي قامت في السنوات العشر السابقة على ثورة ١٩٥٢ ، واعتقل عدة مرات لنشاطه السياسي ، كما فصل من الجيش بسبب هذا النشاط ، وبعد إطلاق سراحه عمل بالصحافة ، وفي عام ١٩٥٠ عاد مرة أخرى الى سلاح الإشارة بالجيش برتبة يوزباشي وأصبح واحداً من الضباط الاحرار الذين قاموا بثورة ١٩٥٢ .

وهناك الاربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أذاع بصوته أول بيان رسمي للثورة ، وأصبح أنور السادات وزيراً للدولة ثم أميناً عاماً للجنة الدائمة للمؤتمر القومي ، وبعد قليل أصبح رئيساً لتحرير الجريدة اليومية الناطقة بلسان الثورة " الجمهورية " ، وفي عام ١٩٥٧ أصبح سكرتيراً عاماً للمؤتمر الاسلامي ثم انتخب عام ١٩٦٠ رئيساً لمجلس الأمة ، وفي عام ١٩٦١ أصبح رئيساً لمجلس التضامن الافرو آسيوي ، وفي العام التالي أصبح عضواً بمجلس الرئاسة ، وفي عام ١٩٦٩ أصبح النائب الاول لرئيس الجمهورية .

وفي عام ١٩٧٠ انتخب رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس جمال عبد الناصر ، وفي ١٥ مايو ١٩٧١ قاد ثورة التصحيح ضد مراكز القوى في مصر آنذاك .. وفي عام ١٩٧٣

اتخذ قرار حرب أكتوبر لتحرير الارض المحتلة وأشرف بنفسه على قيادة معاركها ،
وهى الحرب التى غيرت من موازين القوى فى منطقة الشرق الاوسط ، واستطاعت أن
تعيد الى مصر ثقلها العسكرى والسياسى بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وأن تعيد الى العرب
جميعاً مكانتهم وهيبتهم ، كما استطاعت هذه المعركة أن تكون نقطة تحول هامة فى
التاريخ العسكرى للحروب .

وفى عام ١٩٧٧ بدأ مبادرته التاريخية من أجل حل مشكلة الشرق الاوسط عن
طريق إزاله الحواجز النفسية التى تفصل بين العرب واسرائيل ، وتعتبر هذه المبادرة
أهم حدث فى العالم خلال عام ١٩٧٧ ، وفى عام ١٩٧٨ أصدر كتابه " البحث عن
الذات " وهو تسجيل لتاريخ حياته وحياة مصر منذ عام ١٩١٨ ، وفى نفس العام أسس
الحزب الوطنى الديمقراطى وشارك فى قمة كامب ديفيد فى شهر سبتمبر مع الرئيس
الامريكى كارتر ورئيس الوزراء الاسرائيلى مناحم بيجين حيث تم توقيع وثيقتين هما :-
إطار السلام فى الشرق الاوسط وإطار المفاوضات بين مصر واسرائيل.

وفى عام ١٩٧٨ حصل على جائزة نوبل للسلام بالمشاركة مع رئيس الوزراء
الاسرائيلى ، وفى عام ١٩٧٩ وقع على معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية باعتبارها
الخطوة الاولى على طريق السلام الشامل والدائم فى المنطقة ، والتى استطاعت مصر
بمقتضاها استرداد جميع أراضيها المحتلة من اسرائيل .

وقد أعتيل الرئيس السادات فى ١٠/٨/١٩٨١ أثناء العرض العسكرى الذى أقيم
بمناسبة إحتفالات أكتوبر ، تاركاً صفحة نادرة تضاف الى تاريخ مصر ، ومحدثاً
تغييراً جديراً فى التفكير العربى والاسرائيلى ، وهو ما أثبتت الايام صحته عندما بدأت
المفاوضات العربية الاسرائيلية بعد خمسة عشر عاماً من مبادرته الفريدة .

أول أديب عربي يحصل على جائزة نوبل للأدب * * *

فى تمام الواحدة بعد ظهر الخميس ١٢/أكتوبر/١٩٨٨ حينما دقت الساعة الذهبية الكبيرة فى القاعة الرئيسية للاكاديمية الملكية السويدية ، كان قرار اللجنة الذى أعلنه الناقد " شتور اللين " أمام حشد هائل من الصحفيين من كل بلاد العالم .. إعلان فوز الأديب المصرى الكبير نجيب محفوظ من بين ١٥٠ أديباً وكاتبا عالميا كانوا مرشحين لجائزة نوبل ، ليكون أول أديب عربي يحصل على هذه الجائزة التى حصل عليها قمم الأدب فى العالم .

ولد نجيب محفوظ فى ١١/١٢/١٩١١ بحى الجمالية ، وعندما بلغ ١٢ عاما أنتقلت أسرته الى حى العباسية ، ولكن هذه الاعوام الاثنى عشر تركت بصمات واضحة على أعمال نجيب محفوظ فيما بعد .. حصل على ليسانس الآداب فى الفلسفة عام ١٩٣٤ ، ثم عمل موظفاً فى دواوين الحكومة ، وترقى فى السلم الوظيفى حتى وصل الى منصب رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للسينما ، فقد عين مستشاراً فنياً بها عام ٦٢ ثم رئيساً للجنة القراءة بالمؤسسة العامة للسينما والاذاعة والتليفزيون فى أكتوبر ١٩٦٣ ، وصدر قرار جمهورى بتعيينه عضواً بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب فى ديسمبر ١٩٦٥ ، ثم عين فى عام ٦٧ رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للسينما ، وفى نوفمبر ١٩٧١ أحيل للمعاش .

نشر نجيب محفوظ أول قصة له وهى " ملوك تحت الارض " وقد نشرها فى مجلة الشباب عام ١٩٣٠ وتدر أحداثها عن فتاة تقيم فى ماسورة مهجورة .. ثم كتب عدة روايات تاريخية زمانها ومكانها مصر الفرعونية وهى " عبث الاقدار " ١٩٣٩ ، " رابوييس " ١٩٤٣ ، " كفاح طيبة " ١٩٤٤ .. ثم تجاوز هذه المرحلة التاريخية الى الواقعية النقدية والتى اكسبته نور الريادة فى الواقعية فى القصة العربية والتى امتدت من ١٩٤٥ الى ١٩٥٢ وتناول البناء الاجتماعى فى مصر قبل الثورة وتأثيرها على الحياة الاجتماعية للطبقة الوسطى وروايات هذه المرحلة هى : القاهرة الجديدة ، خان الخليلي ، زقاق المدق ، السراب ، بداية ونهاية ، ثلاثيته الشهيرة بين القصرين وقصر الشوق والسكرية .

ثم اتجه الى الرواية الرمزية وعبر عنها في سلسلة روايات اللص والكلاب - السمان والخريف - الطريق - الشحاذ - ثرثرة على النيل - ميرامار - حب تحت المطر - خمارة القط الاسود .. وبعد نكسة يونيو ٦٧ كتب رائعته الحرافيش .

كتب نجيب محفوظ أكثر من ٤٠ رواية ، ومجموعة من القصص القصيرة ، وسيناريوهات لعدد كبير من الافلام .

حصل نجيب محفوظ على وسام الجمهورية من الطبقة الاولى ، ووسام الاستحقاق ووسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى ، وجائزة النيل للسينما ، كما فاز بجائزة الدولة للادب عام ١٩٥٧ عن قصته " قصر الشوق " وفاز بجائزة الدولة التقديرية للادب عام ١٩٧٠ ، ومنحته رابطة التضامن الفرنسية العربية جائزتها عام ٨٥ عن ثلاثيته التي ترجمت الى الفرنسية ومنحته الدولة بعد حصوله على جائزة نوبل قلادة النيل .

ومما يذكر انه عندما صدرت الترجمة الفرنسية لثلاثيته أفردت صحيفة " اللوموند " صفحة كاملة للإشادة بالرواية ووصفته بأنه ملك الرواية في العالم .

ويعد نجيب محفوظ أكثر الادباء العرب الذين تحولت رواياتهم الى واقع سواء على الشاشة أو خشبة المسرح ، وإن كانت السينما قد حظيت بالنصيب الاكبر ، وقد فاز المسرح بعدد من الروايات التي تحولت الى مسرحيات أشهرها : خان الخليلي - زقاق المدق - بداية ونهاية - اللص والكلاب .

وتوج العالم تقديره لنجيب محفوظ بمنحه جائزة نوبل للادب ، وفيما يلي نص حيثيات قرار لجنة الاكاديمية السويدية للآداب بمنح جائزة نوبل للآداب لعميد الرواية العربية :

" إن الانجاز الحاسم والعظيم لنجيب محفوظ - ككاتب للرواية والقصة القصيرة - هو أن إنتاجه كان يعنى تحولا كبيرا للرواية كعمل أدبي ولتطوير اللغة الادبية في النواثر الثقافية الناطقة باللغة العربية .. ولعل مدى الانجاز الذي حققه ، وهو أعظم من ذلك ، أن اعماله كانت تخاطب العالم ككل .

لقد صنع محفوظ اسمه الكبير فى عالم الأدب بثلاثيته الشهيرة خلال عامى ٥٦ ، ٥٧ التى تتناول جزءاً من تاريخ مصر خلال الفترة من أواخر العقد الأول من القرن العشرين وحتى منتصف الأربعينات من خلال أسرة من الطبقة المتوسطة .. وكانت سلسلة رواياته تتميز بالعناصر الشخصية والافراد وتربطهم بوضوح بالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية ، وبصفة عامة فإن معظم أعمال نجيب محفوظ كان لها تأثير جدير بالاعتبار فى بلاده .

ومن أهم أعماله تلك الفكرة التى تناولها فى روايته غير العادية " أولاد حارتنا " التى كتبها عام ١٩٥٩ ويتحدث فيها عن بحث الانسان اللانهاى عن القيم الروحية ، ويقانه فى مواجهة الصراع المستمر بين الخير والشر ، وقد ترجمت الرواية تحت اسم " أولاد الجبلوى " .

وتأتى رواية " ثرثرة على النيل " ١٩٦٦ كمثال لأعمال نجيب محفوظ ذات التأثير الكبير ، وفيها نشهد الحوارات الميتافيزيقية حول الخيال والحقيقة ، وفيها ايضا التعليق على المناخ الثقافى فى مصر ، وفى مجموعة قصصه الممتازة بعنوان " دنيا الله " ١٩٧٣ تبدو المعالجة الفنية الجيدة للمشاكل القائمة فى المجتمع .

وقد كان هناك إتجاه لتقسيم أعمال محفوظ طبقاً لمجموعة من الفترات ، فهناك رواياته التاريخية ، والواقعية والميتافيزيقية ، ولم يحدث ذلك بالطبع دون سبب .. وفى النهاية فإن أعماله هى إضاءة فى الحياة الانسانية بصفة عامة " .

د. بطرس غالى .. سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة

* * *

بعد أسبوع واحد من إحتفاله بعيد ميلاده التاسع والستين فى نوفمبر ١٩٩١، وبعد نحو نصف قرن من العمل فى مجالات هامة وصل فى كل منها الى أقصاها ، فاز الدكتور بطرس غالى بجدارة بمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة ليصبح أول عربى وأفريقى يتولى هذا المنصب الدولى الرفيع فى تاريخ المنظمة الدولية ، وفى أول إقتراع رسمى بمجلس الامن جاء إنتخابه باغلبية ١١ صوتاً وعدم معارضة أية دولة لترشيحه تأكيداً للتأييد الواسع الذى ظل يتمتع به هذا السياسى المصرى المرموق طوال عمليات الاقتراع غير الرسمية على مدى شهر حيث ظل يتصدر قائمة المرشحين لهذا المنصب .

ولد د. بطرس غالى فى ١٤ نوفمبر ١٩٢٢ بالقاهرة لعائلة مصرية عريقة ، وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد الاول - القاهرة - عام ١٩٤٦ وسافر الى باريس لاستكمال دراسته فحصل على ثلاث دبلومات عليا فى ثلاث سنوات متتالية وحصل فى عام ١٩٤٩ على درجة الدكتوراة فى القانون الدولى من جامعة باريس .

وفور عودته لمصر عمل مدرساً للقانون الدولى بكلية الحقوق جامعة القاهرة حتى أصبح رئيساً لقسم القانون الدولى بها ، وعمل على إنشاء كلية الاقتصاد والعلوم السياسية عام ١٩٦٢ وأصبح أول رئيس لقسم العلوم السياسية بالكلية الجديدة .

وفى عام ١٩٦٢ أختير مديراً لمعهد " داج همرشولد " للعلوم السياسية فى هولندا ، واستأذاً مراسلاً فى الاكاديمية الفرنسية للعلوم السياسية ، وأشرف على رسائل الدكتوراة فى جامعات العالم المختلفة ، وانتخب د. غالى لرئاسة الجمعية المصرية للقانون الدولى ، وكأمين لمركز القانون الدولى فى نيويورك ، ونائب لرئيس الجمعية الدولية للقانون الدولى ، وحصل على درجتين للدكتوراة الفخرية من جامعة ديكرت بباريس عام ١٩٨٠ ومن جامعة السويد عام ١٩٨٦ .

كما رأس د. غالى تحرير أول مجلة سياسية عربية وهى مجلة السياسة الدولية التى

تصدر فى مصر ، واختير عام ١٩٧٧ وزير دولة للشئون الخارجية ، وفى عام ١٩٩١
تولى منصب نائب رئيس الوزراء للعلاقات الخارجية ووزير الدولة لشئون الهجرة .

ولعب د. غالى دوراً كبيراً فى دعم علاقات مصر بأفريقيا وفق أسلوب علمى ، فأنشأ
صندوق المعونة الفنية المصرى لأفريقيا ، كما أجرى مفاوضات لمدة عامين مع حكومة
جنوب أفريقيا للافراج عن المناضل الافريقى نيلسون مانديلا ، وكان وراء تأسيس
مجموعة الخمس عشرة التى تضم دولاً من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .. وكان
عضواً فى الوفد المرافق للرئيس المصرى أنور السادات فى زيارته الاولى للقدس عام
١٩٧٧ وتولى الجانب السياسى فى مباحثات كامب ديفيد ١٩٧٩ ووصفها بأنها كانت
واحدة من أصعب المفاوضات فى تاريخ الدبلوماسية فى العالم .

لقطات مصرية * * *

قصر العيني :

أقدم مستشفى فى مصر ، وكان فى البداية قصراً لأحد المعاليك فى نهاية القرن الثامن عشر ، وقد جعله نابليون بونابرت مستشفى حربياً لجنوده فى حملتهم على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) ثم أسس فيه محمد على مدرسة الطب ومستشفى ملحق به ، وقد ألحق بجامعة القاهرة بعد إنشائها .

القناطر الخيرية :

أنشأت فى عهد محمد على ، وقد اقترح اقامتها المهندس الفرنسى الشهير فى ذلك الوقت " موجل بك " ووقع الاختيار على المنطقة المعروفة باسم بطن البقرة حيث يتفرع فرع النيل فى إتجاه رشيد ودمياط عند رأس الدلتا ، لترفع مياه النيل فى فترة الحاجة الى الدرجة اللازمة لإمداد الرياحات بالكميات والمناسيب الكافية لرى أراضي الدلتا .. وقد بدىء فى إنشائها عام ١٨٤٣ ولكن العمل لم يكمل بها إلا فى عام ١٨٦٣ فى عهد الوالى محمد سعيد باشا .

وبمرور الوقت لم تعد القناطر الخيرية قادرة على أداء مهمتها ، وفى عام ١٩٤٠ تم افتتاح القناطر الجديدة التى اطلق عليها اسم محمد على .

أول طابع بريد فى العالم العربى :

صدر فى مصر عام ١٨٦٦ ، وكان عبارة عن مجموعة طوابع (٧) طوابع طبعت بمطبعة بولاق ، أما أول طابع بريد مصرى يحمل صورة امرأة . فقد صدر فى عام ١٩١٤ وكان للملكة كليو باترا ، وهو من المجموعة السياحية ، ثم الملكة نفرتيتى عام ١٩٤٧ بمناسبة المعرض الأول للفنون الجميلة ، وقد فاز هذا الطابع بجائزة أجمل طابع بريد فى معرض (مارينا ماسا) بايطاليا من بين ٤٨ دولة مشتركة .. وفى عام ١٩٦٠ صدر طابع بريد يحمل صورة ايزيس بمناسبة الدعوة لانقاذ آثار النوبة .. أما طابع البريد الوحيد الذى كان يحمل صورة امرأة ، وهو طابع بريد عادى وليس تذكاريًا فقد كان للفلاحة المصرية .

دار الكتب المصرية :

انشأها على مبارك مدير المدارس - وزير المعارف فيما بعد - في ٢٣ مارس ١٨٧٠ في عهد الخديو اسماعيل ، وكانت في بداية الامر في الدور الاسفل بقصر مصطفى باشا فاضل بدرب الجماميز ، ثم نقلت عام ١٩٠٤ الى مبناها الشهير بباب الخلق ثم انتقلت الى مبنى بكورنيش النيل منذ عدة سنوات .

وقد أنشأها على مبارك بأن جمع المخطوطات النفيسة التي لم تصل اليها يد التبديد لدى العلماء والامراء والمساجد ومعاهد العلم ، كما اشترى مجموعات الكتب التي يملكها المصريون والاجانب .

أول كوبرى أقيم على النيل :

كوبرى قصر النيل ، انشأه اسماعيل باشا عام ١٨٧١ لربط سراى عابدين وسراى الجزيرة وهو أول كوبرى أنشئ على النيل من منبعه الى مصبه ، ثم استبدل هذا بالكوبرى الحالى الذى جعل طوله ٢٨٢ متراً وعرضه ٢٠ متراً وخصصت منها خمسة امتار لرصيفين على جانبيه وجعلت له فتحة ملاحية طولها ٦٨ متراً .

ومما يذكر أن أول كوبرى أقيم في مصر من الحديد المسلح والفولاذ ، هو كوبرى أبو العلا ، بناء عام ١٩١٢ جوستاف إيغل الذى صمم برج إيغل بفرنسا عام ١٨٨٩ ، ويقال أن إيغل انتحر فور انتهائه من إنشاء كوبرى أبو العلا عندما اكتشف في الاحتفالات بافتتاحه أن المعدات الكهربائية الخاصة بفتح صفتيه من أجل الملاحه النهرية بها خطأ في التصميم ومنذ ذلك الحين حتى يومنا هذا لم يفتح الكوبرى .

حدائق الحيوان :

أنشئت عام ١٨٩٠ فوق جزء من حدائق سراى الجزيرة ، تبلغ مساحتها حوالى ٥٠ فداناً ، ثم فتحت للجمهور في صيف العام التالى ، وقد اشترك أحمد عثمان ومنصور فرج في تصميم النحت البارز لمداخل الحديقة .

الترام يسير فى القاهرة لأول مرة :

فى عام ١٨٩٤ صدق مجلس الوزراء على منح امتياز لإنشاء شركة الترام فى القاهرة ، ومنحها امتيازاً لمدة خمسين سنة ، وكان على الشركة أن تبدأ بإنشاء ثمانية خطوط لربط أنحاء القاهرة .. وفى ١٨ / أغسطس / ١٨٩٦ بدأ تسيير عربات الترام فى القاهرة ، فأحدث تسييره هزة فى النفوس التى كانت حتى ذلك الوقت لاتعرف سوى العربات وركوب الخيل أو الحمير وسيلة للمواصلات داخل العاصمة ، وفى عام ١٨٩٧ صدر أمر عال بردم الخليج المصرى ، وكان قناة مائية وتحويله الى طريق عمومى مراعاة للصحة العامة من ناحية وتيسيراً للمواصلات فى القاهرة من ناحية ثانية ، إذ تعهدت شركة الترام أن تقوم بنفقات ردمه وتسيير الترام فيه .

أول ورقة مالية فى مصر :

حتى نهاية القرن التاسع عشر كان الجنيه الذهب المصرى هو أقوى عملة فى منطقة الشرق الاوسط ، حتى احتاجت انجلترا الى كل قطعة ذهب وقضة فى مستعمراتها فسحبته بوسائل مختلفة ، وأقامت مجالس لإصدار العملات الورقية .

فى هذا الوقت عام ١٨٩٨ كانت مصر تقف على قاعدة صلبة من الذهب ، وفى نفس الوقت كان اللورد كرومر البريطانى يسعى لإقامة البنك الاهلى المصرى ، ويوقف عليه وحده مهمة إصدار أوراق البنكنوت ، وكنوع من الاغراء المادى لسحب الذهب من المصريين حددوا قيمة الجنيه الورق بمائة قرش وثمان الجنيه الذهب بـ ٩٧ قرشاً ، وكان هذا الفارق الكبير فى أسعار العملة دافعاً قوياً للتخلص من العملات الذهبية ، وفى عام ١٨٩٩ صدرت أول ورقة نقدية طبعوها فى لندن وعليها اسم البنك الاهلى المصرى .

وكالة البلج :

جاءت تسميتها من أنها كانت سوقاً عبارة عن مرسى صغير لاستقبال البلج من الصعيد تمهدا لجمعه فى المنطقة وإعادة بيعه فى القاهرة والوجه البحرى ، ثم تحولت

الوكالة أثناء الحرب العالمية الثانية الى بيع مخلفات الجيش البريطاني والمصري ، وكانت تطرح في صورة بالات للتجار المصريين ، ويقوم بشرائها تاجر ايطالى اسمه "افارينو" وهو من حاشية الملك والسراية ، ويقوم بعرضها لصغار التجار المصريين ليحقق ربحاً عالياً .. واستمر احتكار أفارينو حتى ظهر تاجر مصرى وهو " حسن صالح " واستطاع بنفوذه أن يحتكر سوق الخرقة .. وبمرور الزمن لم تعد الوكالة تبيع الخرقة فقط .

قصر البارون :

يوجد بضاحية مصر الجديدة ، وهو يعد واحداً من أجمل التحف المعمارية في العالم ، استغرق تشييده ثلاث سنوات ، وتم بناؤه على الطراز الهندى فى الثلاثينيات ، حيث بناه " البارون إمبان " البلجيكي الاصل والذي خطط ضاحية مصر الجديدة ، واقام عدة مبان فيها على الطراز الغربى ، وكان يسكن فيه مع عائلته قبل ثورة يوليو .

ويتكون القصر من خمس حجرات فقط ، ومساحة حديقته ه أفدنة ، ويمتاز بزخرفة الهندسية التى تظهر فى القبة الطويلة والحجرات المحلاة بتماثيل عن القصص الهندية الخرافية ، أما الحوائط فمرسوم عليها أجمل الطقوس الهندية .

وقد تم إستيراد مواد بنائه من الخارج ، وتم تصميمه بحيث لا تغيب عنه الشمس أبداً ، فجميع زواياه وحجراته تدخلها الشمس ، وقد استخدم فى بنائه المرمر والرخام الايطالى والزجاج البلورى الابيض والملون التشيكى ، ويستطيع من الداخل أن يرى كل من الخارج دون أن يراه أحد ، وقد زود بالعديد من التحف الثمينة ، واختارته جامعة كاليفورنيا قسم العمارة الشرقية فى استفتاء باعتبارها أجمل قصور الشرق الاوسط .

أول فريق نسائى عربى للقفز كان مصرياً :

بدأت قصتهن عندما أعلنت هيئة الفتوة عن إعداد فرقة للمظلات من الطالبات والمدرسات ، فتقدمت ٣٤ فتاة اختير منهن ١٢ فتاة بعد اختبارات طبية رياضية

ونجحت منهن ٧ فتيات استطعن أن يقفزن من برج لا يعرفن ما يحيط به وذلك لتأكيد صفتي الثقة بالنفس وعدم التردد ، وكُن في الواقع مثبتات بأحبال ، وبعدها أعدت الفتيات للقفز الحقيقي من الطائرة ، وكان التدريب شاقاً لمدة ثلاثة أسابيع بمدرسة المظلات ، وكان عمر الهابطات يتراوح بين ١٦ ، ١٨ عاماً ، وقد تمت تجربة التخرج على ملعب النادي الاهلى يوم ٣ فبراير ١٩٦٠ فى مهرجان الفتوة الذى ضم ١٢ الف طالب وطالبة وجمهور ضخم من المدعوين وحضره الرئيس جمال عبد الناصر ، وتم القفز من الطائرات الالوشن الحربية .

أحدث رياضة قدمتها مصر للعالم :

كرة السرعة وهى من ألعاب المضرب - (التنس والاسكواش وتنس الطاولة)
 ابتكرها المهندس المصرى محمد لطفى ، وهى عبارة عن جهاز يتدلى منه حبل ينتهى بكرة تشبه كرة التنس ، وقد حصل عام ١٩٧١ على براءة إختراع اللعبة .. وبعد الاتحاد المصرى لكرة السرعة والذى تأسس عام ١٩٨٤ أول إتحاد رسمى للعبة فى العالم ، وبدأت النول الاخرى فى إنشاء اتحادات مماثلة مثل فرنسا واليابان وانجلترا وبلجيكا ، وفى عام ١٩٨٦ أقيمت أول بطولة دولية لهذه الرياضة فى مصر التى فازت بها ، ويحاول الاتحاد إدخالها الى الاولمبياد الذى تبقى من شروطه دخول اللعبة فى ١٢ دولة موزعة على خمس قارات .

* * * * *

المراجع

* * *

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الموسوعات

- أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٣ .
- الموسوعة الذهبية ، القاهرة : سجل العرب ، ١٩٨٠ .
- دائرة معارف الشعب ، القاهرة : دار الشعب ، ١٩٥٩ .
- فاطمة محجوب ، دائرة معارف الشباب ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ .
- ناصر الانصارى ، موسوعة حكام مصر من الفراعنة الى اليوم ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٧ .
- موسوعة المعرفة ، بيروت : شركة إنماء النشر والتسويق ، ١٩٨٧ .

ثالثاً: الكتب العربية والمترجمة :

- ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ - ١٨٨١ ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٨٢ .
- ابراهيم ثبييه ، دراسات عن محافظة القاهرة ، الجزء الاول ، القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٦٨ .
- ابراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالة - الجزء الثانى ، القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ .
- إجلال خليفة ، الصحافة - مقروءة مرئية مدرسية مسجدة تجارية ادارية ، القاهرة : بدون ناشر ١٩٧٦ .
- احمد حسين الصاوى ، فجر الصحافة في مصر - دراسة في اعلام الحملة الفرنسية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- احمد زكى عبد الحليم ، نساء فوق القمة ، القاهرة : دار الفصيل ، ١٩٨٧ .
- احمد عبد الحميد يوسف ، مصر في القرآن والسنة ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة أقرأ ، العدد ٣٧٣ ، ١٩٨١ .

- السيد فرج ، القيادة والقادة العظام ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مطبعة الاعتماد ، ١٩٥٦ .
- السيد فرج ، حرب الصحراء المصرية ، القاهرة : مطبعة المعارف ، ١٩٤٣ .
- السيد فرج ، رواد الرياضة فى مصر ، القاهرة : مركز الاهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٨ .
- السيد فرج ، مع العسكريين ، القاهرة : شركة الشمعلى ، ١٩٥٧ .
- الكسندر ستيتيتشفيش ، تاريخ الكتاب - القسم الاول ، ترجمة محمد الأرنؤوط ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٦٩ ، ١٩٩٣ .
- امين عز الدين ، شخصيات ومراحل عمالية ، القاهرة : كتاب الجمهورية ، العدد ١٦ ، ١٩٧٠ .
- بدر الدين ابو غازى ، رواد الفن التشكيلى ، القاهرة : دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد ٤١٣ ، ١٩٨٥ .
- جمال بدوى ، نظرات فى تاريخ مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٢٢ ، ١٩٨٨ .
- جلال كامل ، اعرف بلادك ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، العدد ٩٨ ، بدون تاريخ .
- حسن ابراهيم وآخرون ، الازهر تاريخه وتطوره ، الطبعة الثانية ، القاهرة : الازهر - اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الالفى للازهر ، ١٩٨٣ .
- حسن صبحى بكري ، اسوان ، القاهرة : مطبعة التقدم ، ١٩٦٣ .
- حسن صبحى بكري ، مصر العليا ، القاهرة : مطبعة التقدم ، ١٩٦٣ .
- حسين فوزى النجار ، الاعلام المعاصر ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، العدد ٤٩٥ ، ١٩٨٤ .
- خليل صابات ، وسائل الاعلام - نشأتها وتطورها ، القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٧٦ .
- رياض رمضان العلمى ، الدواء من فجر التاريخ الى اليوم ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٢١ ، ١٩٨٨ .
- سامى الكيالى ، مع طه حسين ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، العدد ٣٠١ ، ١٩٦٨ .

- سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، القاهرة : دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .
- سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، القاهرة : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٧٦ .
- سيد كريم ، الكاتب المصرى وأدب القصة العالمى ، القاهرة : دار الهلال ، كتاب الهلال ، ١٩٨٨ .
- شوقى عطا الله الجمل ، دور مصر فى افريقيا فى العصر الحديث ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب - مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر - مصر النهضة ، ١٩٨٤ .
- صلاح قبضايا ، الصحف اليومية المصرية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ .
- طارق مصطفى وحسين محمود ، العصر الذهبى للرياضة المصرية ، القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٨٨ .
- عبد الرحمن الرافعى ، عصر محمد على ، الطبعة الرابعة ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٢ .
- عبد الحميد الكاتب ، قراءات ودراسات عن مصر والمصريين ، القاهرة : كتاب اليوم ، ١٩٨١ .
- عبد الفتى عبد الرحمن محمد ، سيناء أرض التاريخ والبطولات ، القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٧٦ .
- عبد المنعم شمس ، القاهرة قصص وحكايات ، القاهرة : كتاب اليوم ، ١٩٨٤ .
- عبد المنعم عبده ، عمالقة المانش ، القاهرة : اخبار اليوم ، بدون تاريخ .
- عواطف عبد الرحمن ، دراسات فى الصحافة المصرية المعاصرة ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨٥ .
- على الدين هلال ، السياسة والحكم فى مصر ، القاهرة : مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٧٧ .
- على بركات ، رؤية الجبروتى لازمة الحياة الفكرية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين - العدد ٨ ، ١٩٨٧ .
- عليا الجنزورى ، غارات أوربا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين - العدد ٥ ، ١٩٨٧ .

- غالى شكرى ، نجيب محفوظ من الجمالية الى نوبل ، القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٨٨ .
- فكرى بطرس ، من اعلام المسرح الغنائى فى مصر ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، العدد ١٤٢ ، بدون تاريخ .
- فوزية فهم ، الفن الاذاعى ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة كتابك ، العدد ٥١ ، ١٩٧٨ .
- مايكل كارفر ، معركة العلمين ، ترجمة محمد ابراهيم عبد العزيز ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، ١٩٦٤ .
- محمد عبد الرحيم وعبد العزيز مبارك ، تاريخ مصر القديم ، القاهرة : وزارة المعارف العمومية ، ١٩٥٣ .
- محمد عبد الغنى وعبد العزيز الدسوقي ، روضة المدارس - نشأتها واتجاهاتها الادبية والعلمية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- محمد عبد الفتاح والسيد فرج ، احاديث فى الحرب ، القاهرة : مطبعة المعارف ، ١٩٤٣ .
- محمد عبد المنعم خفاجى وعبد العزيز شرف ، عباس محمود العقاد بين الصحافة والأدب ، القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٨٥ .
- محمد فرج ، من معارك الاسلام الخالدة ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، ١٩٦٧ .
- محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، الطبعة الاولى ، القاهرة : دار الحديث ، ١٩٨٦ .
- محمد محمود الجوادى ، الدكتور على ابراهيم ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة اعلام العرب ، العدد ١١٨ ، ١٩٨٦ .
- محمود الشرقاوى ، بطولات عربية ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١ .
- محمود صبحى واحمد شوقى عبد الرحمن ، معارك الشرق الاوسط ، القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٥٠ .
- معن زيادة ، معالم على طريق تحديث الفكر العربى ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١١٥ ، ١٩٨٧ .
- منير محمد ابراهيم ، دراسات فى السينما المصرية - رواد وافلام ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٩٣ ، ١٩٨٥ .

- ميمونة ومارية ، مجموعة امهات المؤمنين ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، العدد ١٦ ، ١٩٨٣ .
- نعمان عاشور ، عشاق مصر ، القاهرة : اخبار اليوم - كتاب اليوم ، العدد ٢٢١ ، ١٩٨٣ .
- نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الاوسط والعالم القديم ، الطبعة الخامسة ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٨ .
- وليم نظير ، المرأة في تاريخ مصر القديم ، القاهرة : دار القلم ، ١٩٦٥ .
- يوسف الحمادى ، طه حسين ، القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٨٧ .

رابعاً : الدوريات

الارشيف الصحفى لصحف الاهرام ، والاخبار ، وآخر ساعة ، والجمهورية ، والوفد ، والمصور ، والهلال ، واكتوير .

الفهرس

* *

ص	
٩	- قبل أن تقرأ هذا الكتاب .
١١	- مصر فى القرآن الكريم .
١٥	- كيف كانت مصر قبل أن يبدأ التاريخ ؟
١٨	- أول أبجدية فى العالم .
٢١	- أول جامعة فى العالم .
٢٤	- أقدم تقويم فى العالم .
٢٦	- المصريون .. أول من عرف صناعة الزجاج .
٢٨	- الملك الذى بدأ به عصر التاريخ .
٣٠	- فرعون .
٣١	- أشهر الروايات العالمية .. أصلها فرعونى .
٣٦	- أول بناء حجرى ضخّم عرفه العالم .
٣٨	- أقدم سياساتير الألفية فى العالم .
٤٠	- الوحيدة الباقية من عجائب الدنيا السبع .
٤٣	- مراكب الشمس .
٤٥	- من الذى حطم أنف أبى الهول .
٤٨	- مصر تسجل أولى الرحلات فى تاريخ البشر .
٥٠	- المسلات المصرية .
٥٤	- أنبياء الله فى مصر .
٥٧	- الملك الذى بنى قصر التيه .
٥٩	- أول ثورة فى التاريخ .
٦١	- المدينة التى يوجد بها ثلث أثار العالم .
٦٣	- هتشيسوت .
٦٥	- أقدم علم مصرى .
٦٧	- أول ملك أقام إمبراطورية مختلفة الشعوب .
٧١	- السرايديم .
٧٢	- ممنون وطريق الكباش .

- ص
٧٣ - أول ملك مصرى يدعو للتوحيد .
٧٥ - رمسيس الثانى .
٧٩ - أقدم معاهدة مكتوبة فى التاريخ .
٨٠ - الفراعنة يعلمون العالم الرياضة .
٨٣ - أشهر أوبرا فى العالم .. مصرية .
٨٦ - جزيرة الاساطير .
٨٨ - عندما أغرق أهل الواحات جيش قمبيز فى الصحراء .
٩٠ - عندما قدمت مصر للعالم فن الكاريكاتور .

- فرعونيات :

- ٩٢ - عصور التاريخ المصرى .
٩٢ - قدماء المصريين يحرمون لحم الخنزير .
٩٢ - أول مشروع لإستصلاح الاراضى فى العالم .
٩٣ - أقدم حجر فى تاريخ العالم .
٩٣ - أقدم وثيقة طلاق فى العالم .
٩٣ - أول قناة بين البحرين الأحمر والأبيض .
٩٤ - أطباء بيطريين فراعنة .
٩٤ - قدماء المصريين والنظريات الرياضية .
٩٤ - لماذا أقام قدماء المصريين مدنهم شرق النيل فقط ؟

- ٩٦ - مكتبة الاسكندرية تغير علاقة الارض بالشمس .
٩٩ - منارة الاسكندرية .. أول منارة فى العالم .
١٠١ - حصن بابلين والعائلة المقدسة .

- مصريات :

- ١٠٣ - الواحة العظمى .
١٠٣ - مقبرة لامثيل لها فى العالم .

- ص
- ١٠٤ - مصر فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ١٠٦ - المصرية التى تزوجها الرسول .
- ١٠٨ - الاسلام يدخل افريقيا من باب مصر .
- ١١٣ - أول مدينة إسلامية فى افريقيا .
- ١١٥ - أول مسجد فى افريقيا .
- ١١٧ - عند جزيرة الروضة بنى أول أسطول بحرى إسلامى .
- ١١٩ - أكبر مساجد مصر .
- ١٢٠ - العروس الأسطورة .
- ١٢١ - ١٩ مدينة فى العالم تحمل اسم القاهرة .
- ١٢٣ - أسوار القاهرة .
- ١٢٥ - أقدم جامعة دينية فى العالم .
- ١٣٠ - مصر تهدي العالم لعبة التنس .
- ١٣١ - قلعة الجبل .
- ١٣٣ - مصر تكسر الكعبة المشرفة حتى عام ١٩٦٢ .
- ١٣٥ - المعركة التى أنقذت العالم من الدمار .
- ١٣٨ - خان الخليلى .

- إسلاميات :

- ١٣٩ - المصريون والبيت العتيق .
- ١٣٩ - مدفع رمضان .
- ١٣٩ - وكالة الغورى .
- ١٤١ - أول دولة عربية عرفت الصحافة .
- ١٤٥ - الحجر الذى وضع أساس علم الآثار المصرية .
- ١٤٦ - محمد على وحلم مصرى الملامح .
- ١٥٠ - أول مطبعة فى مصر .
- ١٥٢ - هذا الرجل دون تاريخ مصر .
- ١٥٤ - أول خط سكك حديدية فى الشرق .
- ١٥٦ - أول مجلس نيابى فى مصر .

ص

- ١٥٩ - عندما مات مائة ألف مصري من أجل قناة السويس .
- ١٦٢ - أول من نادى بتعليم المرأة .
- ١٦٥ - أول سلام وطنى مصرى .
- ١٦٦ - قصر عابدين .
- ١٦٧ - أول وزارة فى مصر .
- ١٧٠ - كان يوماً " حامى حوى الديار المصرية " .
- ١٧٤ - محمد عبده يؤسس أول صحيفة عربية فى أوربا .
- ١٧٦ - عملاق الأدب العربى .
- ١٧٨ - سيد درويش .
- ١٨١ - أول دولة عربية وأفريقية عرفت السينما .
- ١٨٣ - رائد أدب الاطفال فى العالم العربى .
- ١٨٥ - عميد المسرح العربى .
- ١٨٨ - أعظم متحف للآثار المصرية فى العالم .
- ١٩٠ - أم كلثوم .. أسطورة تمشى على قدمين .
- ١٩٣ - أول بلد عربى وأفريقى عرف كرة القدم .
- ١٩٦ - الرجل الذى قاد تمصير الطب .
- ٢٠٠ - أول حزب فى مصر .
- ٢٠٣ - النبيل الثائر .
- ٢٠٧ - مصر صاحبة فكرة أهم البطولات الافريقية والعربية .
- ٢١٠ - أول رواية عربية .
- ٢١٢ - أول دولة تشترك فى الاولمبياد من خارج أوربا وأمريكا .
- ٢١٤ - عميد الأدب العربى يحصل على أول دكتوراة مصرية .
- ٢١٨ - قصة اللاجئين السياسيين الى مصر .
- ٢٢٠ - الكنز الذى أصر أن يظل مصرياً .
- ٢٢٣ - سعد زغلول وثورة ١٩١٩ .
- ٢٢٧ - أول بنك مصرى .
- ٢٢٩ - الملك الصغير وأعظم كشف فى تاريخ علم الآثار المصرية .
- ٢٣٠ - لعنة الفراغة .

ص

- ٢٣٠ - رئيس الوزارة يسقط فى أول إنتخابات برلمانية .
- ٢٣٣ - حينما نصَّب العرب أحمد شوقى أميراً للشعراء .
- ٢٣٥ - أول فنان فى الشرق ينحت تمثال ميدان .
- ٢٣٨ - أول شرقى يعبر المانش .
- ٢٤١ - مصر تنشىء أول مجمع للغة العربية .
- ٢٤٣ - هل قتلت الذرة الدكتور مشرفه ؟
- ٢٤٦ - الاذاعة المصرية تقود حركات التحرير .
- ٢٤٨ - الشيخ محمد رفعت .
- ٢٤٩ - الاسكواش المصرى يحصد بطولات العالم .
- ٢٥١ - المصرى الذى قال له هتلر " كنت أتمنى لو كنت ألمانيا " .
- ٢٥٥ - معركة العلمين تغير مسار الحرب العالمية الثانية .
- ٢٥٩ - الدولة العربية الوحيدة التى فازت ببطولة أوروبا فى كرة السلة .
- ٢٦٠ - رياضة عملاقة فى الظل .
- ٢٦٢ - أكبر مشروع لتخزين المياه فى العصر الحديث .
- ٢٦٤ - المصريون ينهون أسطورة أقوى خط دفاعى فى التاريخ .
- ٢٦٩ - أول عربى يحصل على جائزة نوبل .
- ٢٧١ - أول أديب عربى يحصل على جائزة نوبل للأدب .
- ٢٧٤ - د. بطرس غالى .. سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة .

— لقطات مصرية :

- ٢٧٦ - قصر العينى .
- ٢٧٦ - القناطر الخيرية .
- ٢٧٦ - أول طابع بريد فى العالم العربى .
- ٢٧٧ - دار الكتب المصرية .
- ٢٧٧ - أول كوبرى أقيم على النيل .
- ٢٧٨ - حدائق الحيوان .
- ٢٧٨ - الترام يسير فى القاهرة لأول مرة .
- ٢٧٨ - أول ورقة مالية فى مصر .

ص	
٢٧٩	- وكالة البلج .
٢٧٩	- قصر البارون .
٢٨٠	- أول فريق نسائي عربى للقفز كان مصرياً .
٢٨٠	- أحدث رياضة قدمتها مصر للعالم .
٢٨١	- المراجع .
٢٨٦	- الفهرس .

المؤلف فى سطور

* * *

- د. السيد بهنسى حسن
- ولد بالقاهرة عام ١٩٥٨
- تخرج فى كلية الاعلام جامعة القاهرة عام ١٩٨٠ ، وحصل على درجة الماجستير فى الاعلام من جامعة القاهرة عام ١٩٨٦ ، وعلى درجة الدكتوراة فى الاعلام من جامعة عين شمس عام ١٩٨٩
- يعمل حالياً عضواً بهيئة التدريس بشعبة الاعلام التربوى بكلية التربية النوعية ببورسعيد .

- صدرت له المؤلفات التالية :

- العالم بين يديك ١٩٨٤
- رحلة الى عالم المعرفة ١٩٨٥
- أسس العلاقات العامة ١٩٩١
- الاتصال بالجمهير ١٩٩١
- وسائل الاعلام المحلية فى مصر (نشأتها وتطورها) ١٩٩١
- رأى العام وأساليب قياسه ١٩٩٢
- مقدمة فى التشريعات الاعلامية ١٩٩٢
- مدخل الى الاذاعة والتلفزيون ١٩٩٢

رقم الإيداع ٩٣/٥٨٢٦

I.S.B.N. 977-00-5396 - 1

دار أبوالمجد للطباعة

توزيع

مؤسسة الأهرام للتوزيع ' شارع الجلاء - القاهرة "

